

ANCORA IMPARO



القصور

فبراير ١٩٢٩، عرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ١٨ مجلد ٤

حدود المعرفة وتقسيمها

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

على مقتضى كفايات العقل الانساني

الكفايات التي هي اظهر من غيرها أثرا في حياة الانسان العقلية ثلاث : والظاهر أن هذه الكفايات هي الكفايات الأساسية التي تقوم عليها المعرفة وهي :

أولا - كفاية الاعتقاد

ثانيا - كفاية التأمل

ثالثاً - كفاية الاثبات

وعن هذه الكفايات الثلاث تنتج ثلاث صور من المعرفة . فمن كفاية الاعتقاد ينتج الدين ؛ وعن كفاية التأمل تنتج الفلسفة ؛ وعن كفاية الاثبات ينتج العلم . اذن فالدين والفلسفة والعلم ثلاثة اصطلاحات وضعت لتدل على ثلاث صور معينة من

صور المعرفة الإنسانية ، بحيث يفصل بينها في الاعتبار العقلي حدود موضوعه ؛ ولا تجتمع الا في حيز واحد ؛ اذ ترجع برمتها الى أنها تاج للعقل الانساني .
وما نغني بالعقل الانساني إلا ذلك الشيء الغامض المبهم الذي فيه من الفطرة ومن الكسب مزيج ينتج تكويناً نسميه العقل . وما دام العقل — كما سري بعد — أحد الاشياء التي نعلم بها ولو عجز العلم عن اثبات وجودها بإساليه الموضوعه ؛ اضطررنا الى القول بأن تعريف العقل وحده مستعص الى حد بعيد . ولكن يكفي أن نعرف في العقل أنه المصدر المكون من فطرة وكسب والذي ينتج عنه مجموعة المعرفة الإنسانية .

١ — كفاية الاعتقاد ونشوء الدين

في الحياة الإنسانية ظاهرة من الجائز أن تكون قد سبقت بالوجود أول مدارج الاجتماع . تلك ظاهرة الاعتقاد . فكما أن الانسان كائن اجتماعي بالطبع ؛ فهو كذلك كائن معتقد بالطبع ؛ أي أنه ذا عقيدة في صحة شيء وبطلان آخر .
فالحاجة ، حاجة الانسان الى الاحتفاظ بكيانه وحياته ؛ جرت الى الموازنة بين الحالات المحيطة به مقوداً بفطرته ؛ مسوقاً بمقتضى غريزته ، الى الاعتقاد بصحة عدد من الحقائق المرجحة التي تحف به ظاهراتها وتحوطه نتائجها .
عاش الانسان الهمجي عيشة الفطري الساذج في جوف الطبيعة يتلس أوجه الحقيقة ليزيح عن عينيه وشاح الجهل والعماية التي جرت الى عبادة الأوثان والعناصر ؛ ومضى يتأمل نواحي الطبيعة ليقع على قبس من نور الحق يحلوه به ظلمة الشك القاتل الذي يحوط بماضيه ويحف بمستقبله وينهك قواه في حاضره . فلم يجد سوى الوهم والتخيل ؛ يحبوهما الخوف من جهل المستقبل فراح بضرب مع أوهامه في فلولات الفكر القصي ، يأخذ يده الخيال وتنجده كلما زلت قدمه في مزلق الوهم . تصورات ما نزل بها من سلطان .

تلك حالات تطمئن اليها النفس ، ويسكن اليها العقل الفطري ، ما دامت آتية من ناحية الفكر منتهية بالانسان الى صورة من صور الاعتقاد بصحة شيء ما مهما كان ذلك الشيء في ذاته باطلاً .

فالإنسان اذن كائن معتقد بطبعه . وما كان للإنسان ان يتبدل بمعتقده معتقداً آخر ، قبل ان تصح عنده مقدمات تسوق اليه ، وما كان له ان يثبت على معتقدين متناقضين أو متضادين تلقاء شيء بذاته . في زمان بذاته . ذلك لان للعقل الانساني طبيعة لا تسع الا اعتقاداً في شيء بعينه في زمان بعينه .

من هنا نقول بان الاعتقاد النظري في الإنسان تكاة الدين ، كما أن الخوف والجهل منشؤه . قال المؤرخ ليكي في كتابه تاريخ حرية الفكر في أوروبا ، ص ١٦ جزء اول طبعة ١٩١٣ ما يلي

« نجد في حياة الإنسان الفطرية الاولى ان الاعتقاد بالسحر كان عاماً ، بل غالب ما ظهر ذلك الاعتقاد مصحوباً بضروب شتى من القسوة القائمة . والسبب في ذلك ظاهر . فان الفرع كان في كل الحالات الباعث الاول على تصوير الاديان . لان الظاهرات التي كانت تبلغ من عقول المتوحشين بعد مبلغ من التأثير ليست هي الظاهرات التي تدخل في حيز الاشياء الطبيعية من الاسباب الموصولة بالمسيبات التي تقع تحت التجربة ؛ أو تلك التي تنتج أكثر مظاهر الطبيعة عوداً بالنفع والخير على الإنسان ؛ بل هي الظاهرات المهدمة القاسية التي ترى على ظاهرها ؛ كأنها خارجة عن النسق العام . والحب والعطف أقل في الواقع من الخوف في النفس اثرًا . لذلك نرى أن أقل خروج في الطبيعة على اوجه تجانسها الظاهر : مدعاة الى احداث انفعالات نفسية في الإنسان . امعن في النيل من شعوره من ابعث مظاهر الطبيعة على الروعة الهائلة والاعجاب الساذج . فإذا وقع في عتل الحمجي من آثار الطبيعة ابلغها في الشدة والعتى ؛ أو اذا اصابه من الامراض مهلكها ؛ أو من اخطار الطبيعة ما يؤدي به الى العدم ؛ فهناك يستمد الحمجي من تلك الحوادث اسباباً يبنى عليها اعتقاده في الشياطين والارواح الشريرة . قى ظلام الليل الحالك ؛ أو في حدوث العواصف الشديدة العاتية وترديد الوديان والجبال صدى تلك الرياح المتناوحة ؛ أو في ظهور مذهب عظيم يضيء الليل بروحه وضياته ؛ أو في حدوث خسوف أو كسوف تظلم معه جوانب الطبيعة بعد اشراقها او في وقوع قحط يذهب بالحرث ولا يبقى النسل ؛ أو في أي مرض يكون له تأثير ما على قوام العقلية السليمة ؛ بل في كل ما يسوق الى شر أو ينتج ضرراً مبعث في نفس الحمجي

على الشعور بشيء، بتخيله بما وراء الطبيعة . وهو اذ يعيش معرضاً الى قواصر الطبيعة وأعاصيرها، جاهلاً لسلسلة الاسباب التي تصل بين أطرافها المشعبة، يقضى الهمجي عيشه في خوف مستمر، متخيلاً أن هالة من الارواح تحيط به، وإن جوا من الشر يأويه، ذلك يدل على أن منبت الدين الاصلى اعتقاد فطري ينزل منزلة الضرورات التي يرجع اصلها الى الغرائز، جرت الى تشكيله حالات أحاطت بالإنسان؛ فاختلقت نظراته في المعتقد الديني باختلاف تلك الحالات .

٢ — كفاية التأمل ونشوء الفلسفة

اذا خرجنا من عالم الاعتقاد ولجنا عالم التأمل؛ ويحسن بنا أن نبين هنا أن الإنسان كما هو معتقد بالطبع واجتماعي بالطبع . هو كذلك متأمل بالطبع؛ ولن يكون تأمل بلا اعتقاد؛ ولا فلسفة بلا تأمل .

يبدأ الإنسان بالاعتقاد من غير أن يكون له اختيار في ان يتأمل في حقيقة ما يعتقد به . فاذا داخل الإنسان الشك في حقيقة شيء مما يعتقد به بدأ يتأمل في ما يقوم عليه اعتقاده من المقدمات وفيما يمكن أنه يصح لدي العقل من النتائج التي تؤدي اليها هذه المقدمات . فاذا صح لديه من طريق ما ان الحقائق التي اعتقد بها بدنيا لا تلائم ما وصل به اليه التأمل؛ أخذ من ثم يتلصص طريقاً يوفق به بين معتقده واستنتاجه أي بين دينه وفلسفته . غير انه غالب ما يعز عليه أن ينفي الدين كما يعز عليه أن يلغي الفلسفة . فيحاول من ثم في المزج بينهما مزجاً اخرج لنا كل صور الدين العليا؛ وكل مذاهب الفلسفة اللاهوتية التي قامت على مدى الأزمان

٣ — كفاية الاثبات ونشوء العلم

من الاعتقاد ومن التأمل بمزوجين تتولد حالة ثالثة، هي من حيث الاصل فطرية في الإنسان . على أن هذه الحالة لن تنشأ إلا مع الشك، فان الإنسان اذا شك في معتقده ثم شك في استنتاجاته التأملية، نزع ضرورة إلى الاثبات . فاذا كملت لديه هذه النزعة الاثباتية نشأ مع كمالها الاسلوب العلي في أول مدارجه . فاذا تدرج في طريق الاثبات تحيزت الطريقة العلية الاثباتية على الاسلوب الحديث؛ فاصبحت عبارة عن وحي الحواس تحديداتها عن وحي المعتقد ووحى التأمل .

وهنا يجب علينا أن نرجع الى الفلسفة الاثباتية Positive Philosophy لنقول بأن ما وضع أو غست كونت من القواعد في تقسيمها يلائم تمام الملائمة تقسيم المعارف الانسانية على حسب الكفايات العقلية في الانسان . فان دراسة الادراك الانساني من كل ناحياته تدلنا على وجود قانون ضروري يخضع له العقل ، تبينه من أثره في النظام الاجتماعي والتجاريب التاريخية الثابتة .

ان كل فكراتنا الاولى ومدركاتنا وكل فرع من فروع معرفتنا، لابد من أن يمر بالتوالي على ثلاث حالات مختلفة. الاولى اللاهوتية وهي التصورية التخيلية : والثانية الميتافيزيقية الغيبية : وهي التأملية المجردة : والثالثة الاثباتية - أو تجاوزاً - البقية الواقعية هذا هو الاساس الذي تقوم عليه الفلسفة الاثباتية أى فلسفة كونت ، الحديثة وعليها يقوم التقسيم الاخير الذي اعتمد عليه الباحثون في تمييز العلوم بمتنضى الكفايات العقلية في الانسان . أما الحالة الاثباتية فهي التي ينشأ فيها العلم الصحيح .

إن من أخص ما يحتاج اليه في تحديد معنى العلم أن تظهر الفرق بين نزعة العلم ونزعة الدين أي الفرق بين ما تنتج نزعة الاعتقاد ونزعة الاثبات في الانسان من المظاهر . أما الدين فنزعة ذاتية - Subjective - محدودة في أنها تنسب أو تحاول أن تنسب قيمة ذاتية خاصة لخادثات الحياة وظواهرها ، وهي في أهم وجودها عبارة عن معرفة الوجود بشكل عام مطابق مستمد من الرغبات والضرورات الراجعة الى الشعور أو القلب الكامن ، والى روح الانسان اذ ترد الى النظر في حياتها الداخلية أكثر من نظرها في عالم الطبيعة الخارجى . أما نزعة العلم فيفخر العلماء بأنها غير ذاتية بل موضوعية عامة - Objective -

يصل الدين الى العالم الخارجى المنظور مزوداً بمطالب يحاول من طريقها أن يخلق جواً ملائماً لمجموعة من الرغبات والانفعالات الخاصة . أما العلم فيظهر خلواً من كل شيء ولا يصل الى العالم الا ليعرف الكون من طريق النظر الحسى في طبيعته .

(١) سمى البعض هذه الفلسفة بالوضعية خطأ وسعيتها في بعض ما كتبت باليقينية، ولكنى الآن أفضل اصطلاح الفلسفة الاثباتية على اصطلاحى الاول لان اليقين ولو أنه يؤدي المبنى الاصلى تماماً الا أنه قد يختلط لدى البعض بأنه التسليم اليقيني الذى يجرى عليه أهل الدين .

يترك العلم الطبيعة حرة في أن تلتقي في روع كل انسان سرها وروايتها بلغتها الخفية وبلغتها الحقّة . أما الدين فلا يرضى للطبيعة أن تسكلم بلغتها . فيضع لها لغة . وينتحي لها اسلوباً من البلاغة مخالفاً لبلاغتها . ثم يرجع في كل الظواهر الى استيفاء أغراضه الأولية ، لا الى الترجمة عن حقائق الكون كما تريد الطبيعة أن تلقى في روعنا .

هذه هي الحدود الموضوعية للكفايات العقلية الثلاث وما ينتج عنها من صور المعرفة . فلنحاول من ثم تحديد العلاقة الواقعة بينها .

هـ — العلاقة بين الدين و الفلسفة و العلم

لقد حدد الاستاذ د تيودور مرتز ، هذه العلاقة تحديداً قوياً : لهذا نعتمد عليه في شرحها وبيانها . قال

هنالك أشياء كثيرة تقوم في عقلية كل فرد من الافراد : شخصية في طبيعتها ذاتية في مبعتها ولهذه الاشياء في أنفسنا من الشأن والخطر ما لغيرها من مطالب الحياة وحاجاتها ومن هذه الاشياء تتكون المادة الحقيقية التي يتركب منها الفكر الخارج عن ميدان العلم وهي في جوهرها ومظهرها مناظرة للعلم الاثباتي أي أنها طر في تناظر . وفي هذا الشطر من الفكر لا يستطيع شخص بذاته أن يقوم بعمل ينتفع به الكثيرون على نفس الطريقة التي تحتذى في العلم فالأخذ بالبرهان في ذلك الشطر من الفكر مستحيل والاجماع على شيء فيه لا يضم تحت لوائه الا عدداً قليلاً من الناس . وذلك هو الدين .

أما الصفة التي تلازم ذلك الشطر من الفكر فكونه فردي ذاتي . في حين أن العلم مهما كانت صبغته ومهما كان أصله عام موضوعي : أي غير ذاتي . يرجع الى الموضوع لا الى الذات التي تفكر في الموضوع وتفحص عنه . فاذا مثلت الفكر بشيء ذي طرفين متناظرين الفيت أن العلم الرياضي في أحد طرفي الفكر . وان الدين في الطرف الآخر . وتجدان التجانس والاتفاق في الطرف الاول صفة ملازمة كالاختلاف في الطرف الثاني . تلحظ أن وحدة الفكر صفة ثابتة في الطرف الاول في حين أنك لن تقع لها على ظل في الطرف الثاني — ان وحدة الفكر تعرف في الدين ولن تعرف

فيما بين هذين الطرفين تقع على مسافة كبيرة من الخلف تصل بينهما . ان هذه المسافة يغشاها من الفكر صورة تصل بين الطرفين فتبرز حينا في هيكل من المعرفة وآخر في مثال من

الايان : فيخلط فيها قليل من الاشياء المحققة : بكثير من الايمان و الاعتقاد المبهم .
 تلك المسافة الكبيرة : وهذه المفازة المترامية الاطراف ؛ والتي تتوارد عليها صور
 التغير والاختلاف سريعة متعاقبة ؛ هي سكن الفلسفة الحقيقي ، ومنبتها الاصل .
 الفلسفة التي تتناول الحقائق ولا تأنف من الايمان . الفلسفة أصل المعرفة ومنبع المعتقدات
 واليقين . الفلسفة حلقة الوصل بين الطرفين المتناظرين . طرف العلم الاثباتي ؛
 وطرف الدين .

٦ - استعمال اصطلاح العلم ، استعمالاً مجازياً

بعد أن قطعنا هذا الشوط من البحث يجب علينا أن نبين أن اصطلاح العلم كثيراً
 ما يستعمل مجازياً فيدل على المعرفة . فان الغالب عند كل من يحاول أن يعرف شيئاً
 من حقائق الكون ، أو قضايا المنطق الجدلية أو القياس أو أصول الدين أو التشريع
 أو النفس أو الادب أن يسمى هذا علماً ، . والسكل معذور في أن يستعمل هذا الاصطلاح
 في هذا المعنى المجازي الواسع . لأن كل ما وصل اليه من مذاهب الفلسفة أو مبادئ
 العلوم أو أصول الشرائع من العالم القديم سمي علماً . ذلك لأن تقسيم المعرفة على
 مقتضى كفايات العقل الانساني وليد العصور الحديثة . ولهذا تجد من أصعب الاشياء
 أن تناقش شخصاً لم تحيز في عقليته الفروق الموضوعية بين أقسام المعرفة على مقتضى
 الكفايات التي تستمد منها في تكوين العقل . ذلك لانه يعتقد أن الدين علم وان
 الفلسفة علم وان العلم علم . في حين أن الاصطلاح الجامع لهذه الصور الثلاث هو
 المعرفة ، فالدين معرفة والفلسفة معرفة والعلم معرفة . ومن مجموعها تتكون المعارف
 الانسانية . ولا جرم أننا من غير أن نميز بين الفروق الموضوعية بين هذه الصور
 نضرب في ليل من الفوضى حالك السواد . لهذا نحدد صور المعرفة بما يأتي :

١ - الدين Religion - اعتقاد Bēlief - ذاتي Subjective

٢ - الفلسفة Philosophy - تأمل Maditation لا ذاتي صرف ولا موضوعي

صرف Neither purely subjective nor purely Objective أو استنتاج
 or deduction

٣ - العلم Science - اثبات استقرائي تام Perfect induction -

موضوعي Objective . و بين هذه الصور الثلاث يجمع اصطلاح واحد هو .

٤ — المعرفة Knowledge

على هذا نجد أن العلم محدود تحديداً تاماً بسيطاً وكذلك الدين . أما الفلسفة جسر يصل بين الشطرين المتناظرين شطر الدين وشطر العلم . فإذا لم نراع هذه الحدود وإذا لم نراع الدقة في استعمال هذه المصطلحات ، لم نستطع أن نحدد التفكير وبذلك تتخالف علينا المقاصد في العلم والفلسفة والدين . بل نعجز عن أن نحدد الاغراض التي نرمى اليها ونبالغ في تقسيم الحاجات الفكرية والمادية مبالغه قد تصل الى حد الافراط حيناً أو التفتير حيناً آخر . بل لا نخطئ اذا قلنا إن كل المناقشات التي تقوم حول المباحث العقلية تصبح خليطاً من صور الفكر لن تؤدي إلى نتيجة ولن نصل معها الى غاية وبذلك تقسح المجال للجدل المنطقي الذي ذاعت مع ذبوعه مذاهب السفسطة في العصر اليوناني .



ARCHIVE

لا جرم أن بحثنا هذا يظل ناقصاً اذا لم يظهر الباحث على اشياء عديدة يشتبك فيها العلم مع الفلسفة اشتبا كائناً . وعلى هذا نبدأ بالكلام في « الفرض » . وليس غرضنا أن نحدد ماهو « الفرض » في المنطق أو ماهو « الفرض » في الفلسفة القديمة . بل نقسم الفرض إلى قسمين : أولهما الفرض الضروري : وثانيهما الفرض الامكاني . ثم نمضي في اظهار الفرض الضروري لنستطيع بذلك أن نميزه عن الفرض الامكاني . أما الفرض الضروري فهو ما يقبله العلم على ما حددناه من قبل . وأما الفرض الامكاني فلا مكان له إلا في عالمي الفلسفة والدين .

٧ — تعريف الفرض الضروري

« الفرض الضروري هو عبارة عن الحكم الذي يقصر العقل على التسليم به بمتضى ما في العقل من ألفه لا يمكن الاحتفاظ بها إلا من طريق التسليم بذلك الفرض » في حين أن « العلم » Science يضطر إلى التسليم مع العقل بصحة ذلك الفرض ولو أنه يعجز عن اثباته بالطرق العلمية الموضوعية .

٨ — تعريف الفرض الامكاني

« هو الفرض الذى يستوى فيه حدى الوجود والعدم ؛ أو الذى يحتمل أن يكون له حقيقة موجودة ؛ كما يحتمل ان لا يكون له أية حقيقة فى الخارج . ومعنى هذا أن العقل اذا سلم بالفرض الامكانى أم لم يسلم ؛ فانه يظل محتفظاً بألفته كاملة . فى حين أن العلم يرفض التسليم بالفروض الالكانية رفضاً باتاً تاماً ؛ ما لم تثبت صحتها ثبوتاً قاطعاً بالاساليب العلمية المعروفة .

٥ - شرح المنهج فى الفرض الضرورى

الطريقة العلمية تقوم على وحى الحواس . ولذلك يقول الباحثون فى الأسلوب العلمى « كل ما لا تثبته الحواس لا يمكن أن يكون صحيحاً » . وهنا قال سبنسر وجاراه فى ذلك الكثيرون . على أن الحواس التى يفقد الانسان بفقدانها كل ذاتية عقلية فيه نقصة ؛ لا تؤدى إلينا من الإدراك إلا ما يقوم مقام الفرض الصرف فى كثير من الحالات . ولقد عدد فلاسفة العلماء حقائق كثيرة نحن مجبورون على الاعتقاد بصحتها ؛ فى حين أن العلم يعجز عن معرفتها وإثبات وجودها بطريقة الموضوعية . واليك مثال من ذلك .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(١) وجود عالم خارج عن حيزنا

خذ مثلاً التكاثر التى تكتب عليها . كيف تعرف انها خارجة عن حيزك ؟ وبالأحرى كيف يمكن أن تثبت عليها انها خارجة عن حيزك ؟ انك اذا نظرت اليها أو لمستها او وقعت تحت حرك بحال من الأحوال ؛ فكل ما فى استطاعتك أن تعرف منها ليس سوى مدركات حواس كائنة فيك ؛ وليست خارجة عن حيزك . لافى لونها وصورتها ، بل أيضاً فى صلابتها وقوتها ؛ والدليل على هذا أن فقد أعصاب البصر يمنع عليك أن تراها . وان فقد أعصاب اللمس يمنع عليك أن تحس بها . وان فقد الحواس جميعها يمنع عليك أن تدرك أنها موجودة البتة . ذلك فى حين انه وان لم يكن فى استطاعتك أن تعرف من وجود تلك التكاثر عليها إلا احساسات كائنة فى حيزك . إلا أن تركيب عقلك قد وضع على نظام يحملك على أن تعتقد بأنها كائنة فى حيز خارج عنك . فاذا اعتقدت بما يخالف ذلك ؛ وأخذت تؤدى عملك بما يوحى إليه به اعتقادك هذا ؛ كان ذلك دليلاً على أن ميزان العقل قد اختل وتفككت الفته

هذا فرض ضرورى يسلم به العقل قسراً : ويسلم به العلم وان عجز عن اثبات وجود
التكافة فى عالم خارج عن حيز الانسان باساليه الموضوعه .

(ب) — فى أن وجود المادة يتوقف على وجود قوى الجذب والدفع

أما أن قوى الجذب والدفع حقيقة طبيعية ؛ فذلك مالا سبيل إلى إدحاضه أو
التشكك فيه . فانا اذا أخذنا جسماً صلباً وأردنا أن نفصل بعض أجزائه عن بعض
فانه يقاوم مجهودنا . وكذلك هو يقاومنا اذا أردنا أن نضغط بعض أجزائه مثبتهً بذلك
انه انما يتركب من دقائق تتجاذب وتتدافع فى آن واحد . وإلى هذه الحقيقة تعود
ظاهرة التفاعل وعدم التفاعل فى العلم الطبيعى ؛ بل وفى أجزاء الطبيعة برمتها . ومع
كل هذا فان هذه الحقيقة تعد الادراك العلى فى تعليل كيف ان دقيقة واحدة تجذب
أخرى فى حين انها تدفعها وتقاومها . وفى ذلك يقول سبنسر اننا لانستطيع أن نأتى
بقطعة من المادة يظهر فيها ان جزءاً يجذب آخر فى حين أنه يدفعه . ومع هذا فان
الاعتقاد بذلك الزامى ضرورى .

اذن فالتسليم بوجود قوى الجذب والدفع فرض ضرورى العقل مقصور على
التسليم به ؛ وفى ذلك يجاريه العلم كرهاً ولو أنه يعجز عن اثبات وجود هاتين القوتين
بطرقه المعروفة .

(ج) — فى بقاء القوة

أى فى حقيقة أن كمية القوة الموجودة فى الكون ثابتة لا تزيد ولا تنقص
يقول العلامة « سبنسر » ان هذا الاعتقاد أساس كل العلوم الحديثة . وانه النبع
الفائض الذى نستمد منه العلم بكل النواميس الطبيعية . يقول : ان كل النواميس
الطبيعية الآخر ليست سوى توابع تعود إلى هذه الحقيقة العظمى . وكل الاستقراء
العلى « يفرض » ان القوة ثابتة . لانها إذا لم تكن كذلك أصبحت أدوات قياس
الأبعاد التى هى فى ذاتها عبارة عن قياس القوة الجاذبة . وكل أدواتنا الأخرى التى
نحقق بها استنتاجاتنا العلمية متغيرة بين يوم وآخر أو بين ساعة وأخرى . وبذلك
تصبح كل المعارف الطبيعية غير ممكنة . لذلك كان مبدأ بقاء القوة ، ولولم نستطع أن
نثبته علمياً ، اعتقاداً الزامياً ضرورياً . والعلامة سبنسر يعتقد أن هذا « الفرض »

وان كان أساس العلم الطبيعي : إلا أن العلم ، يعجز عن ادراكه واثبات وجوده بطريقة المعروفة التي تعتمد على الحواس . وهذا مثال حق ثبت قاعدة إن كثيرا مما لا يمكن أن يدركه العلم الطبيعي ؛ يجب أن يعتقد بوجوده . اذ لولا هذا الامر : لتحلل ذلك الهيكل النظامي الذي ترتكز عليه معرفتنا .

هذه أمثال ثلاثة وفي مستطاعتنا أن نأتي بأمثال أخرى . فالعقل ووجوده في ذوات غير ذواتنا لا يمكن اثباته بالطرق العلية . وكذلك الاثير والاعتقاد بتفوق العقل على المادة : والشجاعة على حب الملاذ والاعتقاد بوجود السبية العلية . كل هذه الاشياء تفسر على الاعتقاد بوجودها عقلا باعتبارها فروضا ضرورية في حين أن العلم يجاري العقل فيها ولا ينكرها عليه . بل هو مضطر باتخاذها قاعدة يبنى عليها ولو أنه يعجز عن اثبات وجودها بالاسلوب العلي

هذا هو الفرض الضروري فلنحاول من ثم في تطبيقه على بعض الاشياء التي تقوم عليها معرفتنا نعرف الفرق بينه وبين الفرض الامكاني ولنجعل الفكرة في وجود الله محورا يدور حوله البحث .

<http://Archivebeta.Sakrnet.com>

١٠ - الاعتقاد بوجود الله فرض ضروري

يعتقد كثير من أصحاب العقول الراجحة في هذا الزمان أنه ليس في الفلسفة من شيء هو أبعد عن ألفة العقل من تلك الفكرة التي يطلق عليها اصطلاح « الناسوتية » - انثروبومورفزم - Anthropomorphism أي الفكرة القائلة بتزويد الله بشيء من الخصائص الانسانية . على أن الاعتقاد بأن الخالق مكون على حسب نماذجنا العقلية ؛ أو أنه صورة من صور الفكر الانساني لا اعتقاد فيه من الباطل بقدر ما في العقول بأن الارض مركز النظام الشمسي ؛ وان الانسان محور العالم . وعلى الرغم عما في هذا النقد من الصحة ومطابقة الواقع ؛ فان محاولة الاعتقاد بأن علة الكون من الممكن ادراكها بما يبعد عن ادراك ذواتنا ؛ أمر بعيد عن الامكان بحكم الطبيعة ؛ بل قول هراء لا أثر له من الحقيقة .

خذ لذلك مثلاً ، اسينوزاً ، فانه أبعد الفلاسفة عن الاعتقاد بأن الخالق مكون على نموذج عقله ؛ ومضى في فلسفته متخيلاً أنه اجتاز هذه العقبة الكثرود ؛ بأن جعل

الخالق عبارة عن « امتداد وفكر » . غير أن « كتور » ما رتبوه ، تدقّض هذه الفكرة متسائلا :

من أين أتت لاسينوزا فكرة « الامتداد » إلا من النظر في حالات جسمه الطبيعية ومن أين أتى له أن الله « فكر » إلا من النظر في حالات عقله . — ذلك لأن الامتداد والفكر ليسا سوى شيئين هما أخص ما تتصف به الاجسام والعقول .

وكذلك سينسر . فانك إن نظرت في فكرته في الله لم تجد أنه تخيل الحد الذي وصله « سينوزا » فكما أن الخالق عند سينوزا لم يكن إلا شعباً انسانياً تمثله حالا في مكان — امتداد وفكر — كذلك كان الخالق عند سينسر عبارة عن تمثّل صرف لفكرة غير معينة هي فكرة « القوة » ، وهي فكرة مستمدة من أحط الخصائص الانسانية : خاصية ادراك الحس : أذ قال بأن الخالق « قوة خفية » تدبر الكون .

وأنت مهما قلبت وجوه الرأي وأمعنت في النظر فانك تجد دائماً أن فكرة القوة كما ثبت من قبل : مستمدة من قسم من ذاتيتنا : أي من ادراك الحس . إذن نجد أن سينسر بدلا من أن يجعل الخالق بعيدا جهدا البعد عن الذاتية البشرية كما كان يعتقد إذا به يتمثله على نموذج مستمد من أحط خصائص الانسان . على أنه يسر أن حمل على « الناسوتية » ، لأنها تزود الله بأرقى الخصائص الانسانية : مستقلا ذلك في جانب الله : رجع فزلت قدمه فيما زلت فيه قدم غيره من الفلاسفة : فزود الخالق بخصائص مستمدة من أحط الصفات التي يشارك فيها الانسان أدنى الحيوانات بدلا من أن يتركه مزودا بأرقى الخصائص الانسانية .

ومن الجلي بعد هذا أننا في كل المباحث التي تتعلق بالنظر في أصل الأشياء : لا يجب مطلقا أن نقابل عما اذا كنا نصور « علة الكون » ، على نسق مستمد من ذاتيتنا . لأن تصور العلة على نسق الذاتية البشرية أمر لا يمكن أن تنصرف عنه ذات انسانية فانية . بل الواجب أن نقابل دائما عما اذا كنا نصورها على نسق مستمد من نظريات سطحية أم نصورها على نموذج مرجعه الوسعة في النظر ، والآلفة التامة المواقفة لنظام العقل الانساني .

أما وقد أظهِرنا أننا لا نستطيع أن ندرك من « علة الكون » إلا نموذجا مرجع تصوره إلى

تجاريبنا الذاتية ، فإنه يكون من الجلي أن اعتقادنا في وجود إرادة عاقلة أى علة خالقة ، أو عدم اعتقادنا ، يرجع إلى ما ندرك من فكرة السببية . ومادام فهمنا للسببية عائداً الى ما ندرك منها حسب تجاربنا العلمية ، أى أنها تنحصر في القياس على السوابق الطبيعية الظاهرة أجلى ظهور ، فمن الواضح أننا لانرضى في عقليتنا فكرة التسلسل السببي الا بالاعتقاد في أن الاشياء لا بد من أن تكون قد نشأ بعضها عن بعض متدرجه في سلسلة منظومة خلال ، الزمان ، وهذا أمر يلزمنا الزام ، الفرض الضروري ، بوجود إرادة عاقلة مخبوءة وراء عالم الظواهر الطبيعية ظلت مؤثرة في الماضي والحاضر ، وستظل كذلك في المستقبل .

غير أننا اذا اعتقدنا بان السببية الحقيقية تشمل في مدلولها فكرة ، الارادة ، . فمن الظاهر اننا اذا اردنا أن نحفظ بألفة العقل البشرى : تلك الألفة الصحيحة التي لا يمكن أن نتخذ غيرها دعامة للبحث وراء الحقيقة : ، فمن المحتوم علينا أن نعتقد في ارادة عاقلة حرة . نتخذها علة للأشياء ، أو بعبارة أخرى ، أن نعتقد في خالق . وعلى ذلك نلزم القول بانه كما يكون رأينا في السببية ، كذلك يكون معتقدنا في الدين .

اما اذا أردنا أن نصل الى نتيجة جلية واضحة في بحثنا هذا : فيجب أن نظهر أولاً أن العلة الوحيدة التي في استطاعتنا أن نتناولها بمعرفة يقينية وبحث اختباري هي ارادتنا الذاتية : وقدرتها على تحريك أعضاء الجسم : والاجسام التي تقع تحت سلطانها . وما فعل الارادة الانسانية في الواقع الا الانتقال من حركة عقلية الى فعل ظاهري . أى الانتقال من العقل الى المادة . وما دامت معرفتنا للسببية من طريق الاختبار مقصورة على ذلك : فمن الظاهر الجلي اذن : اننا اذا تردنا وبداهتنا الفطرية قلنا أن نعود بالكون . كما فعلت كل الأديان . الى فعل عقل عظيم نعرفه باسم باري . الاشياء . فإذا ما فعلنا ذلك نكون قد حفظنا على العقل البشرى تلك الألفة التي يتطلبها الاعتقاد الصحيح

ان هذه النتيجة . على ما فيها من السذاجة وقربها من أحكام العقل الاولى لا يتركها العلم من غير أن يتحداها بسلطانته . يتدخل العلم في هذه النتيجة ويحسم في المناظر والعقول بان تلك الحركة العقلية التي نسميها الارادة ليست اذا ما بحثت

من أساسها سببية حقيقية . ولا تزيد عن كونها ظاهرة عقلية او عرض من أعراض سببية حقيقية . وما تلك السببية الحقيقية لدى العلم الا تلك الاهتزازات التي تناول نشاط دقائق المخ ومراكز الحس العسية . وعلى ذلك يكون مضمون السببية الصحيحة عند العلم ليس الانتقال من الحركة العقلية الى الفعل الطبيعي بل الانتقال من سابقة طبيعية الى لاحقة طبيعية . أى من مقدمة طبيعية الى نتيجة طبيعية . ولا تعدى مطلقاً حكم السنن التي تنصرف فيها وتنتجها .

يقول العلم إن الحركة العقلية التي ندعوها الإرادة ليست سوى عرضاً يلزم اهتزازات دقائق المخ المادية وليس لها من أثر في أحداث الأفعال أكثر من أى عرض آخر

فاذا كانت نظريتنا في الكون . ليست سوى استعراض صرف للنظريات التي تخلفها عقولنا مواءما كان تكوين عقولنا يدل على أن الإرادة ليست السببية الحقيقية وانها ليست الا عرضاً من أعراض السببية الحقيقية فظاهر أن الاعتقاد في عقا مدبر أو إرادة ترد اليها العلة في وجود الكون . يتعظم على صخور العقل البشري ويتفرق بدداً وتحلل محله عندنا تلك النظرة المادية الضيقة التي تسوقنا الى القول بأنه ليس في العالم الا سلاسل من السوابق الطبيعية ونتائج متلاحقة تتبع احداها الاخرى . على تنال الاحقاب وخلال تواتر الزمان . كما كانت . وكما هي كائنة . وكما ستكون . على أننا اذا أردنا أن نرد على القائمين بالسببية العلمية وكفايتها لتحليل كل ما في الكون والحياة فليس من قصدنا أن ندفع براهينهم برهاناً ببرهان . ولكن قصدنا انحصار في أن نظهر انهم انما ينظرون في العالم من بين أقدمهم نظرة ضيقة يتبدلون معها من ألفة العقل والحقيقة التي في مستطاع العقل أن يدركها بعناء صرف لا نظير له من شيء في هذا الوجود الأعماء المادة الجامدة .

ينصرف الناس في كل ما يتناولونه بالكلام والبحث وهم على شعور تام بأن كل واحد منهم انما يملك شيئاً يقال له القوة المدركة . وإن لهم شيئاً يقال له حس الجمال الموسيقي وما إليها من الخصائص . كما انهم يملكون ذلك الشيء المبهم الذي يسمونه

الإرادة . فإذا سقت إجمالك مقتعاً بأن الإرادة ليس لها وجود حقيقي . وأنها ليست
سوي عرض من أعراض اهتزازات دقائق المخ لم يبق أمامك من شيء آخر إلا أن
تذكر مع إنكارك الإرادة كل وجود حقيقي لكل الخصائص العقلية التي للإنسان .
وعلى نفس الحجج التي يستند إليها الماديون في إنكار الإرادة نستطيع أن تستند
في إنكار كل القوى المدركة والملكات الأخرى .

تستطيع أن تقول مثلاً بأن القوى المدركة برمتها إنما هي عرض لاهتزازات
دقائق ما في مادة المخ . وبذلك لا يكون لها وجود حقيقي البتة . وكذلك الحال إذا
نظرت في الجمال . يمكنك أن تعتبره كمجرد وهم أو خيال . وليس حقيقة ثابتة خالدة .
تستطيع أن تقول إن الجمال عبارة عن مجرد تنسيق للمادة في صور معينة لا يلبث أن
يزول أثره إذا نظرت فيه من عدسة المجهر . وهكذا الموسيقى . في قدرتك أن تدعي
إنها عبارة عن مجرد اهتزازات مادية موقعة على أنسجة مادية . وليس لها وجود حقيقي .
وكذلك إذا نظرت من تلك الناحية في حب العظمة والشجاعة والفضيلة والشرف
ومضاداتها من حب الذات والملاذ والسقوط الأدنى . فإنه في استطاعتك أن تعتبرها
حركات خلابة خاصة توجه توجيهاً معيناً لا أقل من هذا ولا أكثر .

فإذا عمدت إلى النظر في العالم كما ينظر فيه الماديون مولياً بوجهك عن خصائص
الإنسان العقلية واكبت على تقديس ما ترتكر عليه هذه الخصائص من القوى
والمواد الطبيعية وحدها فأنك لا تقتل بذلك الإرادة وحدها كوجود حقيقي . بل أنك
تقضي على الشعر والموسيقى والحقيقة وعلى كل المراتب والفروق الكائنة في العقل بين
منازل النكر والعواطف .

وعلى الجملة تقضي على كل قضايا العقل الإنساني . ولا تترك في الكون من شيء
الأكثلة مواتاً وصحراء مجربة من المادة والحركة . ولما كانت المادة والحركة لا يمكن
إدراكهما إلا من طريق الحواس ففى استطاعتك أيضاً أن تذكرهما . إذ لا يكون
لديك من سبب يملك على أن تعتقد أن العالم مكوّن على النموذج الذي توحى
إليك به الحواس

إلى هذا الحد من التهورس والفوضى يكون النظام العالي في نظرك إذا تطلعت فيه

من هذه الوجهة المادية الصرفة ومن الظاهر الجلي أننا اذا أردنا أن نرد على العالم نظامه وألفته على مقتضى ما في العقل الانساني من نظام وألفة فإن من الواجب أن لا ننظر فيما يمكن أن يثبت أو ينفي نظرياً بل ننظر فيما يمكن الاعتقاد به عملياً . هذا مع علمنا بأن هذه الألفة سواء أكانت مبنية على وجهة النظر المادية أم وجهة النظر الروحية فإنها أقصى ما يمكن أن نبلغ من صلة بالحق في هذه الحياة .

والمثال : اني مضطر لان اعتقد بوجود عالم خارج عن حيزي لأتخذ اعتقادي هذا دعامة حقة وأساساً ركيزاً في سبيل بحثي عن الحقيقة . ذلك على الرغم من أن الفلاسفة قد ينكرون ان للعالم الخارجي وجوداً حقيقياً في ذاته . كذلك اعتقد ان هنالك فرقا قائماً بين النفسية والذيلية . وبين سمو المدارك الروحية والشهوات . وبين الانانية والتضحية . وبين الذاتية والغيرية . ولو ان الماديين اذ يرجعون بهذه المعاني بلا تفرق بينها الى اهتزازات دقائق غير مختلفة أي اختلاف ما انما يلزمون انفسهم الحجة بحكم العقل بأن هذه المعاني لا يختلف بعضها عن بعض اختلافاً حقيقياً .

أراني اعتقد بوجود حقيقي للذكاء والادراك والجمال والموسيقى والشعر والحقيقة ولو ان هذه أيضاً يمكن ردها الى مجرد حركة بعض خلايا لا ادراك ولا ذكاء فيها والى قوات لا تعدو تلك الخلايا ادراكاً ولا تبرزها معرفة وذكاء .

وعلى هذا النحو اراني مضطراً الى الاعتقاد بوجود حقيقي لما نسميه « الارادة » ولو أن الماديين قانعون بانها ليست سوى عرضاً يصاحب حركة الدقائق في المراكز العصبية .

فاذا كانت ألفة العقل البشري تتطلب شيئاً للعالم المرئي واذا كل ما في مستطاع اختباري أن يصل من علم بالسبب الأول ينحصر في الفعل العقلي للارادة التي أشعر وأحس بها فمن الواضح الجلي اني مقصور بضرورة ألفة عقلي ومقتضياته على الاعتقاد بان هذا الكون العظيم معلول لارادة عاقلة أي الى خالق . وليس من معنى ذلك اني أعرف أو أعلم ان للخالق وجوداً حقيقياً . اكثر بما أعلم أو أعرف أن للعالم الخارجي المحيط بي وجوداً حقيقياً . إنما كل ما أعلم أو أعرف اني جبلت على اني لا استطيع ان أرد على عقلي ألفته واحتفظ بنظامه الا اذا اعتقدت بوجود خالق ذي

إرادة حرة عاقلة و الا فان كل معتقداتى الثابتة تنهار وتتحطم و يطور على سبيل الحيرة والفوضى .

ولست أجد من ضروريّة تقضى على بأن أظهر كيف أن عقلا أو ارادة تكون علة للعالم ، كما انى لست أعلم كيف أن دقيقة من المادة تجذب أخرى في حين أنها تدفعها . ومع ذلك فاني مقصور على الاعتقاد بسببية الجذب والدفع ، كما أنه ليس في استطاعتي أن أعرف كيف يتحد العقل مع مادة المخ ومع نشاط دقائقه وحركاتها وليس لذلك من علاقة لاتصال العلة بمعلولها أو السبب بالسبب بالمعنى العلمى ، لان ذلك يتطلب الموازنة بين الاصطلاحين ، ولا يمكن أن نضع موازنة بين ذلك الشيء الغامض المبهم الذى نسميه العقل ، وبين القوة ومادة المخ مثلا . ويكفى لدى أتى يجب أن أعتقد بحقيقة العلاقة الكائنة بينهما . فلست أعرف مثلا كيف أن إرادتى تكون سببا دافعا إلى على إحداث حركاتى البدنية . ولكن يكفى عندي أن أعتقد في حقيقة أن إرادتى تدفعنى على القيام بحركاتى الجسمانية ، وعلى هذا الشأن ، وعلى هذه القاعدتات ، يكفى عندي ان الزم بالاعتقاد بوجود خالق ، من غير أن أجد نفسى مضطرا لأن أظهر كيف أنه السبب في وجود الاشياء ؛ وكيف أنه علتها ؛ وفضلا عن كل هذا فان الكون المادى اذ يقتصر وجوده لدينا على تكوين عقولنا ؛ فليس من الضروري أن اجعل المادة موضع اهتمامى في بحثى وراء الحقيقة : بل أوجه كل همى نحو ذلك الشئ الذى لا يكون للمادة عندي من وجود إلا به - أى العقل .

على هذا نجد أن الاعتقاد بوجود الله أو خالق أو مصدر للاشياء أو علة لها أو ماشئت قل : فرض ضرورى يقوم على حاجات العقل ومقتضياته . وعلى هذا الفرض الضرورى فس كل بقية الفروض التى لا يمكن للعقل أن يحتفظ بألفته من غير أن يسلم بها ؛ ولا يمكن للعلم أن ينفيها ؛ ولو عجز عن اثبات وجودها بأساليبه الموضوعية .

١١ - ما بعد الفرض الضرورى فرض إمكانية

عرفنا الفرض الامكانى بأنه الفرض الذى يستوى فيه حدى الوجود والعدم ؛ أو الذى يحتمل أن يكون له حقيقة موجودة ؛ كما يحتمل أن لا يكون له أية حقيقة في الخارج . وذكرنا أن معنى هذا أن العقل اذا سلم بالفرض الامكانى أو لم يسلم فانه يظل محتفظا

بالفقه كاملة في حين أن العلم يرفض التسليم بالفروض الامكانية رفضا باتا صريحا ما لم
تثبت صحتها ثبوتا قاطعا بالاساليب العلمية المعروفة وعلى مقتضى التحديد والشرح الذي
حددنا به الفرض الضروري يمكن أن نتخذ هذا التحديد قياسا نقيس عليه في التفريق
بين الفرض الضروري والفرض الامكاني

إذا استطعنا أن نعي هذه المبادئ فلا جرم أننا نستطيع أن نحدد المعقولات تحديدا
يجعلها أكثر خضوعا لاحكام العقل وكفائاته وخرجنا من ظلمات الجدل الى وضوح
الطريق العقلي الصرف نمتع بشعرائه وتتخذ قاعدة نبني عليها صرح العلم ونشيد من فوقه
بناء الفلسفة والآداب

اسماعيل مظفر



أطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

تاريخ الفكر العربي

في نسوئه وظوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

الاشتراكية

عن الاستاذ روبرت رتشاردز

١ - الاشتراكية والدولة

يكاد يكون من المستحيل وضع تعريف دقيق للاشتراكية فيجب الا يشمل التعريف المقترح علم الفلاسفة عن اليوتوبيا لا غير لكن يجب أن يشير الى فلسفة التاريخ والنظريات السياسية والمذاهب الاقتصادية وأصفر جهود تبذلها المجالس البلدية وحركة الديمقراطية العالمية . وأنه يمكن معالجة المسألة من أية من هذه النواحي المتباينة ومن هذا نرى كيف اختلف الكتاب اذ اختلف كل واحد منهم طريقا من هذه الطرق لبحث الموضوع فتناقصت وجهات نظرهم . ومن المفكرين السياسيين فريق يعضد فكرة الخضوع للجماعة سواء أ كانت الحكومة أم أية هيئة أخرى مماثلة لها . وفريق آخر يمجّد الفردية ويدعو اليها . والكتاب مهما اختلفت آراؤهم وتباينت وجهات نظرهم لا بد متفقون على أن الفرد مقياس النجاح . وتنحصر نقطة الخلاف في اختيار الطريق التي تحقق قصارى النفع للأفراد . فالبعض يدالون على أن أمثل سبيل للوصول الى هذه الغاية هي انقاص عمل الحكومة للنهية الصغرى أو محوها وإزالة نظامها من الوجود وهذه هي وجهة نظر الفرديين المتطرفين الذين تمت فلسفتهم السياسية بصلة الى فلسفة الفوضويين الذين يعتبرون الحكومة لعنة وثقمة . والبعض الآخر - ومن بين هؤلاء فلاسفة انجلترا والمانيّا - يمجّدون الحكومة حتى يعتبرونها غاية في ذاتها تحقق مهمتها بحياة الفرد من رعتها على الوجه الأكمل . وينحاز الاشتراكي غالبا لجانب الحكومة ويعتبر محين حالة الفرد وسيلة لزيادة النشاط الحكومى أو أية هيئة أخرى مسيطرة كالطوائف.

وما الاشتراكية إلا وليدة نظام العصر الصناعى الحديث وقد ظهرت لأول مرة

في ثوبها الحالى كنقد للفلسفة السياسية الراجحة في أوائل القرن التاسع عشر والاشتراكية مع ما وصلت اليه في عصرنا من خطورة المركز والاهمية السياسية مذهب يرجع أصله الى الماضي البعيد . وانا لنخطئ كل الخطأ اذا تناسينا هذا اذ نخرج من بحثنا بصورة مشوهة لهذا العنصر الفعال في تاريخ الفكر السياسي وذلك المذهب الذي لا يفتأ الكثيرون يعدونه مثلاً أعلى في حياة الجماعة .

ان ظهور الاشتراكية في عصر تطور الصناعة الحديث يعال تلاقها الوثيقة بالمسائل المادية . وليست الاشتراكية نظرية سياسية لا غير ولكنها أيضاً إحدى التعاليم الاقتصادية : أو كما هو الشائع في الفلسفة السياسية الحديثة من أنها ترمى أن تصير حلقة اتصال جديدة تربط الفكرة الاجتماعية بمظاهر النشاط البشرى

وقد طابق ظهور الاشتراكية امتداد السلطة السياسية بطبقات من المجتمع كانت لهذا الحين محرومة من حقوقها وقد كان من الطبيعي أن يتغني بها افراد هذه الطبقات وقد خرجوا من إسارهم بهذا المذهب ويعتبرونه فلسفتهم الاقتصادية السياسية فأساس الاشتراكية إذن حركة ديموقراطية عالمية لا تلجأ لنشر الدعاية لنفسها إلى اذاعة مذهبها لا غير — كما كان يفعل كارل ماركس وأشياعه — ولكنها تستهدف في قلب نظام المجتمع رأساً على عقب وتحويل الأثام إلى مجموع منتجين ومستهلكين حيث ينال كل نصيباً عادلاً من الحقوق والامتيازات . ولا مزية في أن جهود المفكرين في كل مكان لتحرير الافراد والامم سوف تحول وتحدد هذه النظرية التي اجتهد الناس في أن يصوروا فيها المثل الأعلى للدولة والتي تحاول الحركة الديموقراطية في العالم قاطبة الوصول اليها بأية سبل .

وقد حدد كل من افلاطون وارسطو، المفكرين الاغريقين الدولة، بتعريف يمكننا حين نطبقه أن نعرف ماهيتها ونحكم على مشروعيتها . والدولة في نظر كل منهما ارقى نظام للحياة الاجتماعية وغرضها الاسمى النهاية العظمى من السعادة لرعاياها . فالدولة أو الجماعة السياسية كما يقول أرسطو في كتابه السياسات ، رأس المجتمع يعيش تحت أكنافها الجيم وترى إلى تحقيق قصارى ما يمكن من النفع العام ، وهـ تـمـخـض الحياة الأولية عن الدولة كإحدى ضرورياتها وتبقى عليها لتحقيق سعادة الافراد ،

وأحسن مثل للدولة ليس تلك التي تساعد رعاياها على احراز الثروة والتمتع بالملكية أو القوة أو الشهرة ولكن تلك التي تمكنهم من أن يحصلوا أكبر قسط من الفضيلة والحكمة ؛ وأن أمثل دولة هي التي يتساوى افرادها أو يكادون يتساوون في الثروة والمراتب والاخلاق والمواهب ولكن معظم الدول تتكون من عناصر ثلاثة فطبقة في غنى مفرط وأخرى في فقر مدقع وثالثة بين بين ولسنا شك أن التوسط خيرها جميعاً . ويكون اذن من الواضح انه من الأفضل أن يكون لنا من هذه الثروة حدها المتوسط وانما لسعيدة تلك الدولة التي تتمتع بمثل تلك المساواة وتتحاشى التطرف في الارستقراطية أو الديمقراطية ؛ أو بعبارة أخرى تلك التي لا تسود فيها حكومة الاغنياء أو تستبد بها حكومة الفقراء فتصبح مثل « مدينة لا يسكنها الاحرار وانما يعيش فيها عبيد محقرين وأسياد محسودون »

وبمثل هذا يقول أفلاطون أن المثل الأعلى للعيش موجود في حياة الجماعة والدولة في نظره صورة مكبرة للفرد تبرز فيها مساوى حياته ومحاسنها . وكالفرد الذي لا يستشعر بالسعادة إلا حين تتعادل مواهبه وتزن طباعه . نرى أنه يجب أن يراعى في نظام الدولة مثل هذا التناسب وأن تكون حالة الفرد رائداً لمن يجد في وضع هذا النظام

ويرجع أصل الدولة الى اختلاف حاجيات افرادها وتباين جهودهم في اشباع تلك الحاجيات . فلتكوين الدولة يجب أن يجتمع أربعة أفراد أو خمسة على الأقل كل يمتاز بموهبة خاصة تساعد على انتاج شيء معين يحتاج اليه الآخرون . وتنشأ قبل أن تبشر الدولة مهمتها طبقات ثلاثة : الأولى طبقة الصناع ، وتتحصر مهمتهم في انتاج الضروريات المادية للسكان والثانية ، طبقة المساعدين ، الذين يحموا الرعايا وثمرات عملهم من السلب والنهب والغارات ثم ، أولى الأمر ، ويجب أن تكون سعادة الدولة ورفاهيتها شغلهم الشاغل

وقد كانت الثروة والملكية خليقين بتقسيم الدولة إلى قسمين : اغنياء وفقراء . كل يمسك الآخر ويتآمر عليه ويتربص ان تنزل به التوازل . وقد رأى أولو الأمر أنه من الخطر ان يتمتعوا بالكلية الشخصية . فكان من ذلك أن جعلوا الملكية — التي

تضم أطرافها النساء والأطفال - ينهم على الشيوع ولم تصب المساواة جزءاً من عناية أفلاطون وأرسطو . وهذا نقص بين في كتابتهما فقد أحيا كلاهما باللائمة على النظام الديمقراطي ولم يترك أحدهما في المثل الأعلى لدولته مكاناً للعامل الذي تلقى على عاتقه أحقر الأعمال لأنه لم يكن في نظرهما حليفاً بالميزة السياسية . وإنما كان في اعتبارهما كقطعة الآلات أو المتاع تتحمل الواجبات ولا تحظى بالحقوق وفي هذا تبين كيف امتاز الفكر الحديث عن أرقى ما وصل إليه الفكر الإغريقي القديم . ذلك بأنه قد وسع دائرة الرعاية حتى أصبحت أطرافها تضم هؤلاء الذين ينحصر عملهم اليومي في إنتاج ضروريات الحياة والذين لا يتسع أملهم للتفكير في إدارة الحكومة كأحرار الإغريق . إذ إن ظروفهم ضئيلة بذلك

أما الرومان فلم يهتموا بتحديد طبيعة الدولة ووظائفها إذ كان يشغلهم تفكيرهم في القاء أعبائهم على كواهل الأمم الأخرى ومع ذلك قد تمسحوا في تحقيق فكرة الدولة كما صورها أرسطو وأفلاطون من وجهين بأن اقترحوا أولاً أن تكون الرائد في تكوين الدولة الحديثة ذلك المثل الأعلى الذي تقدمه الطبيعة . وقد ألقوا على عاتق السياسيين مهمة القيام بالبحث عن هذا المثل الطبيعي وتطبيقه ليصلوا بالدولة لدرجة الكمال . ثانياً بوضع قواعد تدير على مقتضاها الجماعات والأفراد في علاقاتهم وتأييد هذه القواعد بجزاء . وهكذا خط الطريق لإنشاء دولة المدينة الصغيرة في الماضي ، ثم الدولة الحديثة التي تقوم على الأمم ومهد السيل لدولة المستقبل المتراصة الأطراف التي قد تشمل العالم بأكمله

أما القرون الوسطى فحق ما قيل فيها من أنها كانت لاسياسية : إذ لم تعرف الدولة بمعناها الحقيقي واختفت دول المدائن التاريخية من الوجود ولم تكن الأيام قد تمخضت بعد عن دول الأمم الحديثة أما الوحدة الحكومية فقد كانت في هذه العصور تمثل في الطائفة ، أو الإقطاع ، وكلاهما نظام اقتصادي . وكان كل ما يهم الناس حينذاك من السياسة استقرار مقام على مسرح أوروبا بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية من النزاع على صولجان الحكم الذي قبضت عليه الإمبراطورية

الرومانية القديمة بحزم وعزم وقوة ثم لم تلبث يدها ان تمحذلت عنه ابان تدهورها واضمحلالها

ولهذه الأسباب كانت الترون الوسطى خلواً من شي جديد في التفكير السياسى الانسانى وانه لمن الواضح أنه لم تعوزها عناصر الاشياء فقد كان للفكرين فى سياسيات ، ارسطو ، انموذج ينسجون على منواله كما كان لهم فى كتاب ، اوغسطين ، ملخص لسياسة دولة تقوم على المبادئ الدينية كما كان هناك كثير من التعاليم المسيحية التى كان من الممكن ان نزيد بها فى بقاء الأسس القديمة . وقد كان هذا الفقر فى التفكير السياسى داعياً إلى التشتت والانقسام للذين كانا من مميزات القرون الوسطى ان تعاليم ، الآباء الأولين ، لجديرة بالنظر والاعتبار فقد كانت ، الوصايا الجديدة ، أول نذير بالهزيمة على الفنى والثروة اذ عدتهما نقمة من الله وممانعاً من رحمة وعقبة تحول دون الخلود فى جته والسمو إلى ملكوته . وفى ميلان قام ، امبروز ، يث : الملكية الشخصية . وتد كان الجدال بينه وبين ، فالتيان ، صريحاً فى تحريم هذه الملكية الشخصية كما كان أول صدى للنزاع الذى قام بين الحكومة والكنيسة والذي صادفه اينما بحثنا فى تاريخ القرون الوسطى . وفى الاسكندرية كان ، كلينت ، ينادى بان تكون ملكية كل مافى العالم شيوخاً بين الجميع وهو فى ذلك يقول ، ليس من الحق ان يصيب الاغنياء من الثروة نصيباً غير عادل اذ أن الاشياء جميعها كانت بطبيعتها ملكاً مشاعاً بين الجميع ثم جاء شخص فقال ظلماً وعدواناً هذا ملكى وآخر قال ذاك من نصيبى وهكذا قامت القسمة بين البشر الفانين ، وليس من المسيحية فى شي أن يسعى المرء فى الثراء على حساب الآخرين مما أدى بالآب الاول أن يلعن التجارة لعنة أبدية . وما قاله ، ترتليان ، انه ، إذا أحمى الطمع لم يصبح هناك مبرراً للسعى وراء الكسب وإذا انعدم مبرر الكسب أصبحت التجارة فى حيز العدم ، ويشير ، جيروم ، إلى أن ربح الفرد هو لاحالة خسارة لفرد آخر ويجهل ، سان كريسوستوم ، بان محاولة المرء العنى عن طريق الحق والعدل ضرب من المستحيل



فليكس لادانتك
<http://ArchiveSakart.com>

وأثره في علم الحياة - البيولوجيا

ولد العلامة « فليكس لادانتك Felix Le Dentec » في بلدة بمقاطعة بريتاني سنة ١٨٦٩ ومات سنة ١٩١٧ تاركاً وراءه من الأثر في علم الحياة - البيولوجيا - مالا يحسوه الدهر وقد تدرك شيئاً من أهمية هذا الأثر فيما لو أطلعت على أسماء مؤلفاته فقط واليكها :

« بحث في عملية الهضم عند الخلية في الحيوانات الأولى »
 « بحث في حياة الاجسام المكونة من عدة احياء اتحدت ببعضها في الحيوانات الأولى وبعض الاسماك »

« المادة الحية » ، « نظرية جديدة في الحياة » ، « الاحياء السبورية والبدورية »

، المكروبات الكربونية - صفتها - قلبها - نشوؤها - ، الشكل المفرد أو الاحياء
 الموحدة الخلية ، ، نظرية الجرم في علم الحياة والمعرفة النهائية ، ، التطور الفردي
 والوراثة - نظرية في قلب الكميات ، ، الذاتية وخطأ الذاتيين ، ، اللاماركيون
 والداروينيون ، ، الوراثة الجسدية ، ، التسليلات ، ، الوحدة في الكائن الحي ،
 ، التآخر ، ، أوساط العارف أو الحياة وبقية المحسوسات الطبيعية ، ، بحث في علم
 الحياة ، ، الشرائع الطبيعية ، ، التأثير الوارثي ، ، للصراع العالمي ، ، نبذة في علم
 الامراض ، ، الالحاد ، ، الانسان والعلم ، ، مبادئ فلسفة علم الحياة ، ، أهمية العلوم ،
 ، العلم والمعرفة ، ، ارتباط النشوتين ، ، علم وظائف الاعضاء ، ، عظمة الحياة ،
 ، الاختلاط والالفة العالمية ، ، الانانية وحدها أساس الهيئات الاجتماعية ، ، ضد
 ماوراء الطبيعية أو الفيات ، ، علم الحياة ، ، ميكانيكية الحياة ، ، ملاحظات في علم
 الحياة حول مرض السرطان ، ، المعرفة ، ، مشكلة الموت والرأى العالمي ، :

أما رأيه في أصل الحياة ونشوتها فيتلخص في قوله :

في خلال العصور البعيدة التي تفصل بين أصل الحياة وهذه الانواع الكثيرة العدد
 والمختلفة الاشكال نرى الكائنات الحية وتغيرها ، فاذا استطعنا أن نرتب مجموعة كاملة لفرع
 حي من هذه الفروع العديدة راجعين بها الى ملايين الاجيال الغابرة قدرنا أن نفهم
 الناس حقيقة التطور الذي يختار العقل اذا ما حاول أن يصفه وصفا يشمل كل نواحيه
 فالآثار العريقة في القدم المكتشفة بواسطة علم طبقات الارض تبين ان الحيوانات
 القديمة ذات الاعضاء الكثيرة وجدت في أزمان مختلفة وتطورت تدرجا نحو الكمال
 بواسطة تجمع صفات مكتسبة بالانتخاب الطبيعي من المحيط الذي وجدت فيه ولكن
 هذه الآثار تكون - أقول هذا بكل تحفظ - مجموعة كاملة للاحياء من أبسطها الى أرقاها
 تركيا فاذا رأينا أنه لا يزال يوجد ابهام في علم ترتيب الاحياء فان الاكتشافات التي
 حققها البيولوجيون قد أوضحت ذلك الابهام وبينت حقيقة تاريخ تطور الانواع
 قديما كما بينت حقيقة التطور الذي تخضع له الافراد اليوم . فالحيوانات الدنيا التي تكون
 من خلية واحدة وبويضة واحدة هي أبسط من هذه الخلية وتلك البويضة والانواع
 الحاضرة التي ترجع الى انواع عريقة في القدم هي أرقى تركيا من القديمة لانها

تطورت حسب ظروفها الخاصة . فنلاحظ مثلا الحيوانات ذات الخلية الواحد كالبريوزوا التي تعيش بذاتها أو الأميبا Amoeba ونرى تركيبها العجيب اذا ما قارنا بينها وبين الانسان . ومع ان الفرق بينهما لاحد له في الظاهر سواء في الترتيب المدهش أم في الميكانيكية الدقيقة فان النتائج تدلنا على انهما من أصل واحد تفرعا منه بواسطة عوامل طبيعية تحكمت في كل منهما منذ وجود الحياة الاولى . وبدلا من المقارنة مع الانسان ذاته نقارن الموحدة الخلية كبريضة الانسان مثلا ، بالاميبا ، ليهل علينا الادراك اكثر .

وكل اختلاف حيي بينهما يتلشى أمام حقيقة الطبيعة التي أوجدتهما إذ أن كليهما يتشابهان ويطلق عليهما اسم الحياة . ربما يقول قائل وما الذي يستتج من هذه المشابهة الموضوعية بين خليتين اذا كانتا متباينتين فيما ستورثانه من الصفات والظواهرات ؟ فالجواب على هذا الاعتراض هو : أن نظرية التطور توضح بكل سهولة كيفية نشوء الانسان على سطح هذه الكرة من ، بروتوبلازما ، حية بسيطة بكل معنى الكلمة ترضخ لقوانين الكيمياء العضوية التي تقدر أن توجد أجساما حية من المادة .

يقول البعض إن الحياة مازالت سرا مغمضا فما أحد يعرف كيفية وجودها أو متى كان وإنها المشكلة التي عجز البيولوجي عن حلها واعترف امامها بعجزه وبعدم مقدرته ولم ينفر عن التصريح بافلاس العلم وعلى الأخص علم الحياة ؟ ولكن المشكلة التي ظهرت انحصرت أولا في وجود الحياة ولم تكن المشكلة في تفرع الاحياء والملاحظة تبين لنا اتصال الاحياء ببعضها . ولا مشاحة في هذا ونحن لا نقدر بدون قليل من الافتراض أن تظهر الاصل الاول للحياة . فاذا كانت الحياة لها مقاما بين بقية المحسوسات الطبيعية فيجب أن يكون لها كهذه المحسوسات علة يمكن تعليلها تكون غاية في الدقة خذ مثلا جسمان صلبان في موضع واحد يمكن بقاؤهما مدة لانهاية لها غريبان عن بعضهما ولكن اذا حدث حادث فجائي كتغير في حالة الجو أو نحو ذلك وأثر فيهما من أية جهة كماوية كانت وتسج من هذا التأثير قوة للتفاعل فان التبدل سيحدث لكل منهما ويختلفان عن بعضهما كل الاختلاف ويمكن أن يبيد . فالحياة هي نوع من المحسوسات

متجانس . فهي ستبقى في الموضع الذي يغيرها ويبدلها في الظاهر مادامت العوامل ودام الكون .

منذ مدة خمسين سنة خلت لم يكن يعرف ، الجليسيرين ، كبلور فشامت الصدف أن يكون ضمن برميل يحتوي على نظرونه Salpêtre ، فحينما اختلط به تولدت بعض مؤهلات كيمياوية عضوية وهذه المؤهلات كانت قوة تفاعل كريستالوجين Cristallogène وتخمر بسهولة من الملاحظ ، وهذه القوة للتفاعل انتهت بإيجاد البلور نفسه بوجود عناصر ، المورفوجين morphogène ، التي أوجدت في الجليسيرين الاستعداد الكافي للتبدل . هذا المثل المقتبس من قوة تفاعل الكريستالوجين ينطبق على قوة تفاعل الحياة المتجانسة المركبة ويساعد على فهم الفكرة في كيفية وجود الحياة على سطح هذه الكرة .

فالعلامة ، باستور Pasteur ، بواسطة عدة مقامات عميقة أظهر أن في وسط ما يحتوي على جميع أنواع الاحياء لا تظهر الحياة خاضعة للقوانين الطبيعية الاعتيادية وهذا يدلنا على أن الحياة نوع من المحسوسات الشاذة الدقيقة كبقية الاجسام الكيماوية تنفرع بعوامل طبيعية حسب وضعية الكائن الحي . وهذه العوامل تفسر بقولنا ، حينما يوجد كربون وهيدروجين وأوكسجين توجد الحياة ، ولا تنمو إلا اذا وجد كحول الاثيليك ، Ethylique ، وربما يعترض البعض بأن هذه العناصر الثلاثة وجدت معا في كل العصور في مواضع بدون هذه الكحول ووجدت الحياة في هذه المواضع ونحن اليوم نقدر أن توجد هذه الكحول مع هذه الثلاثة العناصر ولا نقدر أن توجد الحياة ؟ فالجواب على هذا الاعتراض هو : أن مسألة التطبيق العمومي تتشابه بالاختلاف في هاتين الجملتين فلا نقدر أن نعرف فيما اذا كان في كل المرات تظهر الحياة في الاوساط التي تحتوي العناصر اللازمة لها إنما تؤكد أنه اذا وجد وسط يحتوي على هذه العناصر تقدر بواسطة عدة تربيّات أن توجد بعض دقائق حية وعندما تأكد من وجود صفة معلومة لها نحددتها تحت شكلها المعروف . وباستور كان قد حل قسما من هذه المشكلة بإيجاده وسطاً مغذياً لكل الانواع من الاحياء . وبعد ما فرغ من عملية التركيب نقدر أن نعرف بواسطة التحليل أن هناك ، بر وتوبلازما ، كانت في طريق الحياة وليس من الوهم في شيء ، الظن بمقدرة الوصول الى طريقة تركيب سمّامة للحياة . نعم إن هذا التركيب لا يظهر

الحياة تحت صورة نوع من الاحياء المعروفة إنما يمكن الوصول الى معرفة نسبتها الى خلاصة حي من الاحياء المعروفة على وجه التقريب .

فالوصول الى اكتشاف شكل خلاصة الحياة حيث يكون الموت ظاهراً باقل درجاته ممكن . وبواسطة التركيب يمكن تحقيق بضعة أشياء لم توجد الى اليوم حية فالحياة قد تنوعت الى ألوف الاشكال المختلفة التي لم نخطر بغيرنا أبداً وقد يكون لا نهاية لهذه الاشكال التي نحسبها محدودة — هذا ما يظهر لنا بكل وضوح ويجعلنا تؤكد عداوة الاختياريين ، Spontaints ، للعلامة باستور الذين يشتون الظهور الاعتيادي فقط للاحياء الموحدة الخلية في السائلات ويدفعنا للقول بان ما يظهر دائماً من الحيوانات والنباتات يرجع الى أنواع معروفة ستكشف بعد ، دارون ، . ولا يجب السهو عن معرفة ان كل نوع مستقل بذاته هو خلاصة نوع غريب جداً عاصر القرون الطويلة المملوءة من الحوادث الغير الاعتيادية كالطوفان والتبدلات الطبيعية البطيئة . فالوقت هو الذي يبين لنا أصل الحياة بواسطة التبدلات التي اجراها في الانواع . ولا يجب الجزم بان الحياة لم توجد دائماً لانها وجدت وظهرت وما وجد وظهر فهو موجود أبداً إنما ليس على صورته الحاضرة .

فالصدفة هي التي جمعت في دفعة واحدة العوامل الضرورية لهذا الظهور وأصل الاتواع يبين لنا امكان ايجاد انسان أرقى من الانسان الحاضر متسللاً منه . لان الكيمياء بواسطة التركيب قد أوجدت دقائق حية تحسب أصل هذه الانواع كلها . ويمكنني القول بان الكيمياء أظهرت وجود الحياة والموت في المادة ولكني مع كل هذا يوجد البعض يقولون . ان هذا مستحيل ؟؟ —

أما في التطور فانا اذا لاحظنا الاختلافات الظاهرة في نشوء الاحياء منذ البويضة حتى تمام الشكل نراها تبدى وتنتهى هكذا :

$$١ : - ١١ = ١١ = ١١ = ٣١ ، الخ$$

فالوراثية تنتقل تماماً من هذه الاولى الى بقية ما يأتي وتكون مظهر الشكل وفي الاحوال الشاذة حيث الوسط يتسلط بقوانينه الصارمة المخالفة للواقع على كيان الشكل . فالتحول يتوقف تماماً ولكن لا يكون النوع دائماً راضخاً لهذه القاعدة لان الامر

يرجع إلى قوة كيانه وصفاته الخاصة . ففي هذه الحال اما ينقرض النوع أو يتقاوم عوامل المحيط . فاذا لم يمت فإنه يأخذ في التحول في صفاته وأشكاله حتى يتغير حسب مقتضيات المحيط وهذا ما يسمى بالشكل المكتسب ومشكلة الوراثة في الاشكال المكتسبة هي هذه :

١ . — عندما يكون النوع خاضعا لشكل نشأ من التطور هو (ب) وتأخذ يميل نحو شكل آخر هو (ث) قبل هذا الشكل الجديد يظهر في خلاصة توريث النوع ؟ —

٢ . — هل التبدل الذي حدث في خلاصة توريث النوع هل هو نفس هذا الشكل الجديد (ث) المكتسب الذي سيكون في ذرية النوع ؟ . وهكذا الشكل (ب) الذي انتهى بتبدل النوع في حد من العمر سيظهر في ذرية النوع في نفس الحد من العمر الذي انتهى به ؟ ؟ —

فتجرب نعرف ان الكائن الحي هو بمثابة طريقة معادلة : وكل تبدل يحدث له في أية ناحية من نواحيه يغير حركته كلها وعلى الاخص خلاصة توريثه فالشكلة الاولى بسيطة أما الثانية فصعبة ومبهمة .

ان الوقت هو الذي يظهر روح التبدل فالتغير الذي يحدث في كيان النوع الحي يبقى ويقوى في خلاصة توريثه اذا ما بقي اما اذا كان هذا التغير وقي فإنه يضمحل في نفس الوقت الذي نشأ منه . فالانشقاق الوقى في الموازنة ينتج عادة اصلاح الموازنة المعروفة . من هذا تتلاشى الاشكال المنشقة المستجدة . لكن اذا كان هذا الانشقاق قد دام مدة فالموازنة المعروفة تتغير حسب العوامل والضرورات ولا يمكن للوسط المختلف العوامل ان يوجد أشكالا جديدة من الحيوانات اذا بقي فيه الحيوان مدة طويلة . لان الزمان الذي يمضيه الحيوان فيه يكون اداة لاضمحلاله وموته . ولكن اذا مارس الحيوان مقاومة عوامل الوسط زمنا طويلا فان صفاته الاصلية تكاد ان تعابا جملة في مكافحة عوامل التبدل الذي يستمر حتى بعد انتقاله إلى وسط يلائم صفاته الاصلية . مثلا رجل تعود على حمل الاحمال الثقيلة وأخذ يزاد قوة يوما عن يوم منذ ابتدائه في

ممارسة الحمل فهذا الرجل سيصير حمالاً قوياً وسيأخذ صفة القوة حتى ولو لم يعد حمالاً .
فحكم العادة يقضى بطبع مجموع الشكل بطابع لا يمكن محوه من صفات الشكل لأن هذه
الصفات تؤثر في الموازنة الكيميائية الميكانيكية وأيضاً في الموازنة الحيوية الجسدية . وفي
هذا التأثير تبدل وضعية الموازنة في المواد الفردية الجيلاتينية التي منها يظهر التحوير
الذي يلحق صفات الشكل وهيأته . فهذا ما يورثه الشكل المكتسب وفي هذه الحال
ينتقل التعديل الذي حصل الى خلاصة توريث الشكل في البويضة ويظهر في عموم
الذرية الآتية في شكل صفات جديدة مكتسبة تقوم مقام الصفات التي تعدلت في
أصل النوع . وعندما تكون صفة معلومة عاشت زمناً ما بسلطة طبعت بمجموع الشكل
بتركيب يقرب من الانقراض . وهذا التركيب ينتهي بحلول غيره أصلح منه محله فهذه الصفة
لا تعاود الظهور أبداً في ذرية النوع لأن الشكل الجديد المكتسب يطابق قواعد
المطالب الضرورية للحياة ولكن هذه تقضى وبوجود صفة مثل تلك التي تقرب من
الموت كما تكون على أشدها ولا تدع لها مجالاً للظهور ثانية ففى غير هذه الحال يمكن
ظهور مثل تلك الصفة محتملاً في أوقات مختلفة مثلاً : ان الزائدة البودية الموجودة في
النوع البشرى كانت يوماً ما ضرورية لنوع سبقه هو (ب) وقد حدثت عدة تغييرات
في شكل هذا النوع (ب) منذ وجد السبب الذي كيفه للشكل الموجود اليوم (ث)
ولكن في خلال هذه التغييرات لم يعارض سبب ما هذه الزائدة البودية معارضة قوية
فبقيت ظاهرة الى اليوم بشكلها المضر . وأيضاً لاحظ في نوع من السوائل نوعاً من
المكروبات الكربونية يكون تأثيره معروفاً فاذا نقلت هذا المكروب الى سائل
أصلح بقي على شكله انما يتغير قليلاً في مفعوله ولكن في ذريته التي تنشأ في هذا
السائل الجديد فان درجة تأثيرها لا تكون نفس الدرجة التي في الاصل . فالمكروب
بعد مكث مدة طويلة في السائل الجديد يفقد من قوته . ولكن بما ان معارضة عوامل هذا
السائل الجديد ليست قوية فان هذا المكروب لا يلبث مدة قصيرة حتى يرجع كما كان
عليه وهكذا ذريته . وعندما يحجر على الصفة (ب) من الشكل (ا) فان هذا
الشكل يميل الى تبديل يكون نتيجة نقص هذه الصفة المتوقعة عن العمل انما بعد
رفع الحجر عن هذه الصفة . اذا كان ممكن رفع الحجر . فان الشكل (ا) يكتسب

شكلا جديدا يستمر في ذريته . هذا مع اضمحلال هذه الصفة أيضاً ،
 أما رأيه في الالحاد فينحصر فيما قاله في الصفحة العاشرة من كتاب ، الالحاد
 Atheism ، وترجمته : انا ملحد كما انا بريتاني . بريتانيا مقاطعة في فرنسا . كما انا
 أسمر أو أشقر فلا أعرف لأي سبب ولدت في تلك المقاطعة ولا أعرف لأي سبب
 أنا ملحد ولا يوجد عندي فكر خاص يجعلني أظن ان الالحاد أحسن من غيره . من
 بقية الاعتقادات ولكني لا أقدر أن أقبل غيره . ويقول المثل يمكن يكون طاهيا كما
 يمكن أن يكون شواء . وأقدر أن أقول بانى ولدت ملحدا وهذا الالحاد يشبه الشواء في
 في المثل انما هذا التشبيه ليس ضروريا للالحاد فاننا لم اذكر مرة انى آمنت بالله مع
 انى كنت في صفى أنجب كل رفاقي في حفظ التعليم المسيحى الخ . . وهذا يثبت ما
 قاله الدكتور غوستاف لوبون من ان الاعتقادات جميعها ترجع الى العاطفة للاشعورية
 اتي تنمو بنمو الانسان وتطبعه بطابع لا يمكن محوه أبدا .
 ابراهيم حداد

ARCHIVE
<http://www.archive.org>

أطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

نزع الفكرة الأوروبية

لما قرأت نيتشه

للقائد الفرنسي : أميل فاجيه

من أعضاء الأكاديمية الفرنسية

— ٣ —

لم تكن الأديان من المسائل التي خصبا ، نيتشه ، بالبحث والتمحيص أكثر من غيرها . إلا أنه مع ذلك قد شملها بنظره وأصدر فيها حكمه .

تساءل عما إذا كان الاعتقاد بالخرق وبالله وبخلود الروح قوة للإنسانية أو ضعفاً : وعما إذا كانت الجماعات البشرية تصح أو تمرض بالميتافزيقيات والأديان .

ترى هل تقوى الأديان البشر أم تضعفهم ؟

لقد أجاب ، نيتشه ، بأن الميتافزيقيات والأديان دليل ضعف في الإنسانية . وإنها تزيد في ذلك الضعف الذي يحيق بالإنسانية منها مقدار ما يزداد الاعتقاد بها . وليس في وسع أي إنسان أن ينكر أن الأديان تولدت من روعة الجهلاء ، وهولهم بأزاء قوى الطبيعة . إذن فالأديان نشأت في الأصل من ضعف الإنسان . غير أنها صارت فيما بعد حصة محمودة . والمراد أن الناس قد افترضوا وجود قوى طيبة وكريمة إلى جانب القوى العدائية الهائلة التي تحيط بهم . ألما نرى من حولنا وجوه الضعفاء التي ترتعد وتلحق وتبتل خاشعة ؟

إن الدين حاجة في الإنسان خلقتها فيه عاطفة الضعف أو غريزة الضعف . في الإنسان « حاجة إلى الدين » وهذه الحاجة خلقت العضو الخاص بها . وما دامت الحاجة موجودة فالعضو باق (العضو ووظيفته) ففي أصل كل دين - من الوجهة التاريخية - وفي صلبه من الوجهة الأدبية ، نقص في الإرادة أو ضعف في الإرادة . وليست الإرادة في احتياج إلى اليقين لأنها تسبح إلى عرضها من تلقاء نفسها . أما الدين

فهو في حاجة الى اليقين . الارادة تسفع بطبيعتها الى غايتها ولكن في الدين دافعا خفياً هو الخوف .

ولا يخفى أن ترقى العلوم الطبيعية وتعميم تعليمها قد أضعفا من العقيدة الدينية في أوهام الناس . فان تلك العلوم قد فرت الظواهر الطبيعية : كالصواعق والعواصف والامطار والرعد ووضحت أسبابها

فالمدين يحسبون أن الحاجة الى الاعتقاد ضرب من الحاجة الى العمل : يخطئون . ان الحاجة الى الدين لا تخرج عن الحاجة الى التوكل والركون الى الراحة والهجوم . ان المتدين يحتاج أبداً الى تضد يتوكل عليه . قل ، نيتشه ، انما تقاس درجة القوة الكامنة في ديانتنا أو بعبارة أصح درجة الضعف فيها . بعدد المبادئ التي يأتي الذين ان يراها مترعزة لانه يستخدمها كضد وسند . وكذلك خالق الانسان : تفند أمامه احدى مواد دينه انقصة ويأتي إلا أن يسلم بحاجته الى الاستمرار في تصديقها واعتبارها حقيقة لا مرية فيها . . . هذه الرغبة في التصديق انما هي أيضا رغبة في سند يتوكل عليه . وبالاختصار هي غريزة الضعف في الانسان . الانسان الذي وإن لم يكن هو الخائف للديانات من كل نوع . يعد على الأقل الحافظ الامين لها .

ويحوم حول جميع تلك المبادئ الوضعية غيم كالح من التشاؤم . وسواء أكان ذلك نتيجة الملل والتعب أو الاعتقاد بالقضاء والقدر أو الخية أو الخوف من خية جديدة أو سوء الطبع أو الاقراط في الفوضى (الفوضى الداخلية والعجز عن حكم النفس وضبطها في شدتها وجوحها) أو ظواهر عاطفة الضعف من كل نوع . . . فان الدين أبناً مطلوب والحاجة اليه دائماً ماسة مقدار ما يكون ضعف الارادة في الانسان . . . ومن هنا يمكن استنتاج أن قوة الانتشار التي تمتاز بها الديانتان العظيمتان في العالم: البوذية والمسيحية - انما ترجع في الاصل الى مرض عضال في الارادة .

وبمقدار ما يكون في الانسان من ضعف يكون معتقدها ظروفاً للصحة وما يملكه من القوى العلية والنشاط السكام تدعوه الى اللواذ بالله والاستعانة به . وكلما شعر المرء بضعفه ازداد إيمانه بالدين .

ولقد يؤتى الانسان القوة فينسبها الى الله . كذلك هو مدفوع الى الدين من جانبي

القوة والضعف . قوته الحادثة وضعفه العادى . ومن شأن الحالة الاولى أن تشعره بالحالة الثانية .

هذا رأى فردريك نيتشه فى أصل الاديان وهو يتلخص فى أن ضعف الارادة فى الانسان أساس كل دين .

والى تلك الغريزة المزدوجة الخالقة للاديان، يضاف الخالقون أنفسهم . ونعنى بهم الذين يدبرون الغريزة الدينية . أولئك يقومون بعمل بسيط فى ذاته ولكنه عظيم النتائج . إنهم يرسمون نظاما لحياة الشعب ويصلون بينها وبين الله ويجعلون حياة الشعب مقيدة بالقاعدة التى يرسمونها (التعاليم والطقوس) ويقنعونه بأن لحياة العادية معنى هو معنى جميل الهى خفى مستحب عند القوة الهائلة التى تدبر العالم وأنه مرغوب فيه منها حائز لرضاها . وبذلك يصغون حياة الشعب العادية بصفة إلهية .

ولما أقف بنو اسرائيل حياة السلب والنهب . جاءهم رجل فدعاهم الى الله الذى اصطفاهم دون سائر شعوب الارض وخصهم بحبه ورحمته وأوحى إليهم انه يرضيه أن يرى تلك الشعوب غنيمة لهم مسئلة لسلطانهم . اذ ذاك صار لحياة الاسرائيليين . وهم شعب سلب ونهب - معنى جميل . وصار ذلك المعنى خيرا أدبياً ومثلاً أعلى تهون الحياة من أجله . وجلى أن ذلك الرجل صاحب تلك الدعوة الى الشعب الاسرائيل قد سما بغريزة الدين وحبائهم السعادة والخير .

ثم مالذي فعله ، بوذا ، ؟ لقد رأى من حوله فئة قليلة مبعثرة فى كل طبقات الشعب من الصالحين الكسالى . فلم يقنعهم بأكثر من أن الكسل حالة سامية . حالة إلهية . وأن الرغبة فى الهجوع وفى العدم اسمى فكرة للعالم وأنه ليس لله سواها . وبذلك خلق من الجود ديانة وأنه حين أوتى هذه الفكرة البسيطة كان عبقرياً فلقد أدرك فى الحقيقة أنهم أناس لا يفهمون أنفسهم ، ولكى يكون المرء صاحب رسالة دينية يلزم أن يكون ذا ألمعية سيكولوجية وذكاء غارق فى تفهم طبقة ذوي النفوس المتوسطة التى لم يعترف أفرادها أنهم من نوع واحد . وأولئك لا يؤلف بينهم غير صاحب الرسالة الدينية . ومن أجل ذلك كان تأسيس الديانة أشبه بحفلة طويلة يتعارف فيها الناس ،

ومتى أسست الديانة بهذه الطريقة ونظمت انتقلت بالعادة والافتداء والوراثة

وبرهنت على وجودها وتأيدت بما يصدر عنها من الافعال الدالة على البسالة الحقيقية ولما كانت القوة تولد غالباً من الضعف ينتهى الامر بالديانة الى السيطرة على الالاب وأن تكون ذات نفوذ أدنى قوى

ولكن هل نحن فى حاجة الى القول بأن الاستشهاد فى سبيل الدين لا يدل على شيء ؟ لعله يدل على أن واحداً من الناس أشد اقتناعاً من غيره بالديانة . على أن الاقتناع ليس دليل الحقيقة . إذن فالشهداء لا يدلون على شيء قط ولكنهم يفتون ويهرون بحوادثهم . وهم ضروريون لانتشار الديانة . أنهم الاعمدة الحقيقية التى لا تمزعزع للعبد . قلأ يبرهن الشهيد على حقيقة الديانة . ولقد كان تعذيب الشهداء مأساة كبرى فى التاريخ مأساة اجتذبت الاقئدة وأثرت فى النفوس . إذن هل يعد الصليب برهاناً ؟ .

كذلك تمد الديانة سلطانها على جزء من الإنسانية تؤيدها الاعمال الرسمية وطقوس الاعتراف والاخلاص والتضحية . ولا يهدمها غير ظهور ديانة أخرى مطابقة لحالة جديدة ولكنها دائماً حالة ضعف فى الإنسانية أوفى جزء منها . ولنضرب مثلاً للطريقة التى تقوم بها الأديان : محاولة ديانة الألمانى التى لا تخرج عن كونها ضرباً من دین الإنسانية . ان تحمل محل سائر الديانات الأخرى لبت شعري ماهى تلك الديانة التى تدعو إلى الشفقة والرحمة ؟ نقول انها بقية من الديانة المسيحية . وهو أمر واضح . ولا بد من أن يكون كذلك . فانه يجب أن تكون الديانة الجديدة متفقة مع الحالة النفسية العامة . بل لابد من أن تكون تلك الحالة النفسية العامة ذاتها معروفة فى صيغة الفكرة الدينية .

على أن هذه الديانة الجديدة — ديانة الألمانى — نقي صريح للمسيحية فهى لاتدعو إلى الله بل انها لاتفكر مطلقاً فى الله . ومن الممكن أنها لاتؤمن به وتكر فكرة الدولة وفكرة العدالة المعترف بها فى إيماننا . وتكر السلطة وكل فكرة تصدق بها المسيحية . هذا إلى أنها تعتمد أيضاً على جانب الضعف الإنسانى وتهيب به وتصبغه بالصبغة الإلهية وتتفق مع حالة الكلال والاعياء التى سادت أوربا من بعد حقبة الحروب والغارة الألمانية والصلح الملح . ولقد جعلت من ذلك الكلال والاعياء فضيلة : فقالت : اليوم لادم يراق ولا حرب ولو كانت عادلة ان

الرحمة كفيلة بوقف المذابح ! ، ومعنى ذلك فى الواقع ، أيتها الملا ! هل أتم جنباء ؟
حنا ؟ دعونى اعلنكم بسر الهى يسركم : وهوانكم على حق ،
تلك هى الطريقة التى يحاول بها الدين الجديد أن يهدم الدين القديم ويوفق
أحيانا إلى النجاح .

وهناك شيء واحد يستطيع هدم جميع الأديان دون أن يحل محلها دين آخر
وهو هدم كل ما هو خارجى للطبيعة . وإنما تلخص رسالة نبي المستقبل فى أن
« لا وجود لله » وهى أول كلمة يتلفظ بها « زاراتوسترا » .

نقول إنه لما تملكك « نيتشة » هذه الفكرة — فكرة نفى الخالق — تمادى
فيها إلى حد أنه نسي النظرية الحية اليهوهى أن العالم مظهر للجمال . وهذه النظرية
تؤدى إلى الله . بل إنها على الأقل تنطوى على شيء الهى . فإذا كان العالم مظهر جمال
فلا بد من وجود صانع أو نفترض أن العالم نفسه صانع . أى صانع نفسه . وهو ما يزيد
فى الوهية النظرية .

على أن « نيتشة » حين تحمس لفكرة الإنكار تنفى جمال العالم . ولا بد من
الاعتراف بأنه لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . نفى نيتشة عن العالم النظام والجمال
والحكمة فقال إنه ليس الكامل ولا بالجميل ولا بالشريف . ولا ينبغي أن يكون شيئاً من
ذلك . ولا يسعى بناتاً إلى محاكاة الإنسان ! . . .

ترك رأي « نيتشة » المتناقض فى الوجود الذى تنفى عنه الذكاء والحياة على اعتبار
أنه أشبه فى نظامه ودقته بالمجموعة العضوية وقال إنه يتميز من هذا التشبيه وأيد أن
من أعظم الشرف وصف العالم بالما كينة ، ماشين ، لأنه لم يصنع لغاية وانكر أن فى
الطبيعة قوانين وقال إنه ليس هناك سوى ضرورات الخ — ترك رأيته فى الوجود
لكى تكمل رأيته فى الأديان .

يعتقد فردريك نيتشة أن الأديان لا تلاشى إلا إذا استطاع الإنسان أن يدرك
أو أن يرى شيئاً آخر يختلف عنه . صوره تبين صورة . قال « كيف يتاح تأويل
الأشياء مادام الإنسان يجعل من كل شيء صورة مماثلة له ؟ ونحن متى وصفنا الأشياء
لأنعرف إلا أن نصف أنفسنا . وما دام الإنسان لا يرى ولا يعرف غير نفسه بحجة

تفسير الأشياء فيظل خاضعاً للاديان الناشئة عن ضعفه الطبيعي والتي تغذى وتعيش من ضعفه الادبي .

لما قيل نبتشة ان الناس قد مضى عليهم حين طويل من الزمن وهم يؤمنون بخلود الروح الانسانية . وان هذا الايمان ، ارادة في القوة ، وفي طول البقاء ، وانه حلم اوليبي يلد على عظمة الانسان ورغبته في أن يكون اشبه بالآلهة (اولبيا !) أجاب الفيلسوف : قد يكون هذا ممكناً . غير أن لارادة الانسان في القوة اخطاءها أيضا . وهذه الارادة التي تزعمونها ليست في الواقع إلا ضعفاً . هي الخوف والارتبايع من الموت . ومن ذلك الخوف ينشأ الاعتقاد في خلود الروح أو ، الارادة في القوة ، كما تصفونها . والانسان مرغم حين يؤمن بخلود الروح على أن يتخذ قبل موته مذهبا أو شيعة دينية ينشئ اليها . لأن سلامته ترتبط بذلك المذهب الذي يختاره . ولقد كانت كراهة ، نبتشة ، للمسيحية سبباً في مقتلسائر الاديان والميتافيزيقيات كان فردريك نيتشة شديد الممت للمسيحية ، عدواً لها . وفي اعتقاده أن المسيحية ليست شيئاً آخر سوى ضرب من تسلط الطبقة العامة . وهذا حق في الواقع . ومن أجل ذلك صار عدواً للالهة للمسيحية . ورأى فيها عائقاً دائماً لآرائه ومبادئه . وان المسيحية هي تسلط الطبقة العامة أي ما أسماه نيتشة ازدراماً بالقطيع المنظم .

وفي رأى الفيلسوف الالماني أن تلك الديانة قد مهد السيل لها ، سقراط ، و ، افلاطون ، اللذان هما العقول - برغم آرائهما السياسية - الى عدم النظر للأشياء إلا من الوجهة الخلقية واعتاد أن يزدرى حق القوى . حتى الاصلح . وينكره . وان يجبراً جميع الناس على الخضوع لقاعدة واحدة .

و كذلك ، البوذية ، أو ما تسرب منها قد هيأت السيل للمسيحية . والبودية هي أولى الديانات التي قامت على طبقة العامة ودعت الى حظيرتها وديانتها جميع طبقات الناس على السواء . ثم من أدعى النبوة من العبرانيين الذين كانت حركتهم شعبية صريحة . حركة قوامها العامة وغرضها ديموقراطية مبنى على المساواة .

وكل هذه التمهيدات التي هيأت السيل للمسيحية بمقوثة من نيتشة . على أنه كراهته

للمسيحية اشد . والطريقة التي نشأت بها المسيحية معروفة . فان كل حدير ومنحط
وعليل وسافل في المجتمع قد دعى الى ان يكون قديساً لكي تسبل عليه الحلة الالهية .
وان يكون عظمياً شيئاً من اعتناء الله . واحتقر كل ماعوحي وقوى وجميل وشريف
في المجتمع . واقتربت الأمانة في الحياة وفي الجهاد .

قال فرديريك نيتشه : ان المسيحية دين جدير بالعصر القديم الذي هرم . وانها
لاخروج للدنيات التي شاخت وفست . وعلى هذه الدنيات المنحطة وحدها تستطيع
ان تبسط نفوذها . في العصور التي غمضت فيها الأعين وسدت الآذان بالطين بحيث
لا تصفى إلى صوت العقل والفلسفة ولا تسمع الحكمة الحية المثلثسواءاً كانت تلك
الحكمة تحمل اسم : ابقراط ، أو ابقور ، - في تلك العصور يمكن أن يكون رفع
الصليب والانداز بالقيامه كافيين للتأثير في سوق الشعوب المنحطة الى غاية ملائمة لها
فلنذكر في روما التي صدحت فيها أناشيده جوفال ، ولنذكر في عبي « فينوس »
لكي ندرك معنى رفع الصليب أمام العالم . . .

ولقد كانت أغلب الشعوب في ذلك الزمن تولد بارواح قد ارتوت حتى الثمالة من
اللذات وبمشاعر واحاسات قد شاخت واعتراها الهرم . . . ان هذه المسيحية
باعتبارها نعمة الزمن القديم صادرة من نفوس متصدع عليل . هذه المسيحية حتى في
نظر الذي لا يدرسها الآن إلا من الوجهة التاريخية فقط هي بلسم للاندن . غير أنها
أيضاً سم زعاف للشعوب العذراء الشابة . فان بنورها حين بذرت في نفوس الجرمانيين
القديماء . أولئك الأبطال ذوي الارواح القوية استحال عقيدة الخطيئة والهلاك
الابدى إلى سم بل إلى اختلاط وفوضى في الشعور وفي الحكم . وكانت النتيجة ان
ضعفت قوى تلك الشعوب الجرمانية القوية وانحطت ،

وطبيعة المسيحية ان تصبغ الضعفاء والأذعان والهماجة بصبغة الهية . ومن ثم كان
عداؤها للحياة وعداؤها للفن . وللمسيحية في كل زمان ازدراء للحياة ذاتها . ازدراء
مزوج بالحقد للحياة تحت لبوس الدين ابتغاء حياة أخرى اصلىح أليست العقيدة
التي تدعو الى حياة أخرى تقضى على هذه الحياة الحاضرة أو تجعلها مصدر شكوى
وتلعننا وتدعو الى مفارقتها والرغبة في الخروج منها أو النزول بها الى حدها الأدنى .

وهذا لعمري منشأ احتقار الدنيا والحقدها عليها في أصل المسيحية . انها تمقت المسرات وترتاع من الجمال واللذة وتدعو الى حالة مستقبلية اخترعتها للحط من شأن الحاضر وزيلحة الرغبة في العدم والراحة الدائمة إلى سبت السبوت ! ،

انظر إلى القديس بولس وهو ، باسكال اليهودي ، كما ان باسكال هو ، بولس المسيحي . انظر في ذلك الرجل الضعيف المريض الذي كان مصاباً بالصرع بل ربما كان في ماضى حياته من المجرمين . ذلك العبد الاسير للشهوات العنيفة . لقد جعل كل همه ان يمحو الخطيئة فيه بالاتصال المتين بالله اعنى أن يلاشي الحياة في الموت الذي هو حياة أخرى . الحياة الأخرى الوحيدة المرغوب فيها . كان كل مجهود متجها إلى الفناء . الفناء الحاضر الذي هو الشرط اللازم والمعبود للحياة الحقيقية في عرف المسيحية .

والى عدائها للحياة يضاف **عداؤها الدائم للجمال والفن** . ومن الممكن ان يقال ان كل ما هو عدو للحياة عدو للفن . ذلك لان الحياة تتركز على المظهر . على الفن والمثل الاعلى وهو حلم تتركز على الاعتقاد في مثل وهي تتجلى فيه الجمال . مثل باهر باعث على القوة نقول ان المسيحية عدو للفن لانها لاتسلم بشي خارج عن دائرة شريعة الخلق ، مورال ، وترى في الخلق غرضها وغايتها . وهو ما ينفي الفن او يقيد ويهزل به الى درك الانحطاط أى يقتله . قال « نيتشه » : ليس هناك عائق يحول دون النظر إلى العالم وتفسيره من ناحية الجمال الفنى (استيتيك) البحتة سوى العقيدة المسيحية التى تأتى الا ان تكون محصورة فى دائرة الخلق (مورال) والتى تعد الفن بمبادئها المطلقة وشدة تمكها بالله أ كذوبة وتحصره فى هذه الدائرة أى انها تنكره وتنفيه وتقضى عليه وتخصه باللعنة . وبالاختصار لاتؤمن المسيحية بالفن مطلقاً . تنكر كل قيم الجمال . انها عديمة ، نهليست ، بالمعنى العميق للكلمة . واذا كان مذهب «سقراط» يقيد الفن بالاخلاق ويرى ان لا بد لكل عمل انساني من التقيد بالخلق فى غرضه إلا انه لا يبطله ولا ينفيه . ولكن المسيحية تنفيه وترتاع منه وترى فيه عداً ومتى كان المسيحي موهوباً بالذكاء ومتى كان عميقاً يدرك المسيحية ويفهمها مثل « لوتشر » و« كلفن » و« باسكال » فانه ينفى الفن . اما اذا كان المسيحي وسطاً فى الفهم أو لا يدرك الاثلاثة

أرباع المسيحية فانه ينزل بالفن إلى حد ان يجعله خاضعاً مستذلاً للخلق مثل «تولستوي» ومتى كان المسيحي مخلصاً أو سطحيّاً أو حديث العهد فانه لا يخلو من الغرض وبالاختصار متى كان لا يدرك شيئاً في المسيحية فانه يحملها مقترنة بالفن كما فعل «شاتوبريان» !

وفي الحقيقة أن المسيحي انسان عاشق للموت . انسان هو ظل الفناء . انظر من حولك ترى المسيحيين من عاشاق الفناء . ترى النساء والرجال الذين تملى عليهم جبلتهم الطبيعية الميل الى الفناء كأنهم مسيحيون بالاستعداد الطبيعي . والقساوسة المسيحيون اشبه الأنواع بالاقزام وبالمخلوقات التي تأوى بطن الأرض .

وتدعى المسيحية أنها اعادت الطبيعة الانسانية صورة أخرى . وفي الحقيقة انها افسدتها . فلقد خلقت عواطف جديدة ليست من الانسانية في شيء . وأنها حين قضت على الشهوات احوالها عن غرضها وجعلتها شراً مما هي وأشد فساداً . وتزعم المسيحية انها قضت على الطمع الذي هو من خير العواطف الانسانية وأقربها إلى الطبيعة لانه «ارادة في القوة» . هذه الارادة قد استحالته إلى رغبة في غزو السماء . وقد ألقت بالانسان في كفاح قاس عنيف ضد نفسه وضد العالم . كذلك احلت المسيحية شهوة سيئة محل شهوة طيبة . وإنما تكون الشهوات سيئة متى نظر اليها بعين سيئة وشأن النفوس العامة انها ترى في كل ما هو عدو لها مثلاً سيئاً وشرّاً ويلاً . فالخدار من ذلك . ان العدو لازم للحياة بل لكل حياة . والمخلوق الذي يفترض انه بلا عدو إنما هو مخلوق تعس حقير قريب من العدم . واخيراً فان المسيحية بقضائها على الحب واعتبارها ايام خطيئة وعدواً خفياً رهيباً قد أسبغت عليه حلة الشعر وألته وجعلت منه لذة يحلمون بها وينشدونها برغبة وتهافت مقرون بالانتفاض والتوجس الحلو المستحب . فهي في الوقت الذي ادعت فيه أنها هدمت الحب قد خلقتة . ولما قالت انه من عمل الشيطان صار ذلك الشيطان أهم من القديسين بفضل أسرار الكنيسة وخباياها في المسائل الغرامية . وبفضل الكنيسة صارت مسائل الحب ذات أهمية حقيقية عند كل الاوساط وأصبحت مدار الشعر وموضوعاً أساسياً للتواليف الخيالية . فالمسيحية قد جددت الطبيعة البشرية ولكن عن طريق افسادها والنزول بها الى درك

الانحطاط وعل هذا الاعتبار يعد نيتشة المسيحية ديناً مفسداً

ومن بعد الاديان نظر ، نيتشه ، في العلم وطريقة النظر بالعقل ، راسيوناً ليس ،
على اعتبار أنهما من العوائق القوية ضد مذهبه .

والعلم باديء الامر ليس سوى العلماء . قوم استحوذت عليهم الكتابة والاستحياء
واختاروا الاحتجاز واتصفوا بقصر النظر . أشد ما يستغرب منهم أنهم لا ينظرون الى
العالم ولا يتعرفون الناس ولا يعلون ماهية الانسان ولا يدرون مبادئ العلم نفسه الذي
يدرسونه ولا أصوله وينابيعه الاساسية ولا غايته ونتائجه تغلب عليهم الاعتقادات
الباطلة . ويصبغون الأوهام بصبغة المذاهب ويهبونها قوة الصيغ العلية . صيغ المعامل
والمجامع . هم عمال المعرفة الذين لا يدرون شيئاً مثل عمال المصنع الذين لا يعرفون نهاية
العمل الذي يخرجونه . هم الطبقة الوسيطة بين الجمهور وصفوة المثقفين . على أنها لا تصف
بصفات الجمهور ولا بالصفات التي تنسب الى النخبة المثقفة . وإنما لتضم من الادعاء
أكثر مما يحسب على أية طبقة أخرى من طبقات المجتمع والنوع البشرى — كذلك
تحدث نيتشة عن العلماء كأستاذ وفق الى التخلص من حرقة الاستاذية .

واذا نحن صرفنا النظر عن الفائدة العملية للعلم نفسه وهو ما يجعل له بعض الأهمية
كان خدعة كبرى . ابتدعه ، سقراط ، من قبل المسيح بأربعمائة سنة تقريباً . ومن قبل
، سقراط ، لم يكن هناك علم أو على الأقل كان الانسان البارز هو الانسان الذي يعيش
بغريزته (الفطرى) وهو في أسنى صورته الفنان أو الشاعر . وفي عهده كانت الاولوية
في عقل الانسان وفي اعتبار الناس إنما هي صورة الانسان النظرى أى الانسان الذي
يريد الدليل على كل شيء ويطلب المعرفة لكي يقيم ذلك الدليل . الانسان الذي يتعلم
ويرتب معلوماته وينتقد ويجعل لما يعلبه برهانا ونظريات وبالاختصار — الانسان
الذى ينظر في الموجودات بالعقل ، راسيوناً ليست ، .

ذلك الانسان — العالم والراسيوناً ليست — هو عدو مبين أيضاً للفن وللحياة . ولقد
عرف ، سقراط ، بأنه عدو للفنون وأراد ، أفلاطون ، أن يطرد الشعراء من الجمهورية .
قال ، نيتشه ، : إن أعظم ضد للنظرية الطراجيك (أي الفنية نسبة الى فن الطراغوديا

اليونانية (انما هو العلم . فان الفن يحجب الى الانسان الحياة تمثيله لها في قوالب الخيال
 أما العلم فانه يغير لونها ويجمعها باردة كالثلج - بين يدي في تحدياتها - ولم يحبه الفن
 يقتله العلم . ومن يفكر في النتائج المباشرة لذلك الروح العلى الذي يسير الى الامام
 دائما وبلا مهل لا يثبت أن يدرك كيف لاشئ الأسطورة والميثولوجيا وكيف أنه بذلك
 الهدم انتزع الشعر من موطنه الطبيعي الاسمي « إيديال » وجعله ضالا كالشريد الذي
 لا مأوى له .

وفي الحقيقة أن سقراط صور ذلك الانسان النظري بمذهبه الذي لا يخلو من عمق
 برغم أنه لا يتعدى الفكر المبدئي . على أنه مذهب خطأ بصفة جوهرية . يقول بان
 المعرفة أساس الخلق على اعتبار أن الانسان الذي لا يفعل الخير هو الانسان الذي لا يعلم
 الخير ولا يدره . وأن المرء متى عرف الخير فانه لا بد فاعله .

وهذا لعمري خطأ محض والعكس هو الحق . إن الانسان الذي يدرى الخير
 لا يفعله لانه يتمتع بمعرفته . وهذا لعمري يكفى لارضاء كبريائه . ولان معرفة الخير تجعل
 الانسان يعتقد أنه قد فعله وأنه قد أدى واجبه . والخير غريزي وهو في الفعل . ويندر
 أن يوحيه الفكر أو المعرفة . وما زال فعل الخير نتيجة حركة غريزية لاصلة لها بالمعرفة .
 غير أن هذا الرأي أساس مذهب الانسان النظري . قال سقراط للعالم : تعلموا وفكروا
 وأقيموا الدليل . فان المعرفة هي المقدرة . والمقدرة على فعل الخير . وما المعرفة والتفكير
 والبرهان إلا الانسان كاملا . وما بقى إنما يتعلق بالطفل . ، وكان ينبغي أن يقول للناس
 : اتبعوا غرائزكم فانها صالحة .

واجتهد ونيتشه ، في اقامة الدليل على أن مذهب « سقراط » مضاد للحياة . وعلى
 اعتبار هذا المذهب تكون الحياة شرا ويكون سقراط متشائما شديد التشاؤم .

أنشأ سقراط الانسان النظري وجعله من اصدقاء الانسان الذي يعيش بالغريزة
 والانسان الذي يحجب الحياة الي الآخرين - الفنان - وجعله يعلم ويبرهن ويرسم
 النظريات . وكل هذا من ضروب العبث والمحال . فان العلم تقدير على أن يصدر كل
 و نه ولكنه عاجز عن أداء غايته . وما الذي يحضر عليه العلم ؟ المعرفة . معرفة الطريقة
 التي يتاح لكل ماهو في الانسان أن يدرك بها ما ليس في الانسان . إذن فهي ليست

طريقاً للمعرفة وإنما هي وسيلة نعرف بها أنفسنا . ونختبر ملكاتنا في حالة استعمالها . هي ملاحظة كيف نرى وكيف نشعر ونفكر ونقيس وكيف نقيم الدليل . ونحن الى الآن لم نتجاوز هذه الدائرة . لم نخرج عن دائرة البحث في أنفسنا وتعرف كل ما هو منا وفينا .

على أنا حين نختبر ملكاتنا نصفها حتى لكأننا نضعها في أميق !

ولكن ما هي النتيجة التي وصلنا اليها بعد اختبار ملكاتنا وتصفيتها الى هذا الحد؟ عرفنا مقدرة تلك الملكات في حالة استعمالها والمبالغة في تهذيبها وحدود ادراكها للعالم . على أن معرفتنا بالعالم لم تزد . ولم نتجاوز في دائرة المعرفة حدود أنفسنا . ولقد وسعنا مذهب « أنا » دون أن تعدى دائرته . وأنا لانزال حين نطلب المعرفة لانخرج عن حدود البحث في الانسان أي في أنفسنا . وما بقي ، الانسان في حدود المعرفة يمثل الدور نفسه في هذه الكو ميديا بعينها . لا يستطيع أن يتأمل الاشياء إلا بالعين ذاتها تلك التي أوتيتها وألقاها . ثم ما الذي انتهت الانسانية الى معرفته بعد تلك الآلاف من القرون ؟ عرفت أعضائها . ومن الممكن أن يكون معنى ذلك العجز عن المعرفة . إن الانسان لا يريد أن يخرج عن حدود ذاته ، في تعرف الاشياء ولا يريد أن يعرف ما ليس منه .

إن العلم يريد أن يعرف العالم ويفسره ويجه علما حقيقيا أي كاملا ومنطقيا أو بالحري يريد أن ينتهي من تفسير اللانهاية في الواقع . إن العلم عاجز عن أداء هذه المهمة . أنا حين نأخذ شيئا من اللانهاية لتوضيحه ندل على عجزنا لان كل جزء من اللانهاية إنما ينسب الى ما لا يقبل التفسير قبل أن يتم توضيح كل شيء . إذن تكون تفسيرات العلم سطحية الى حد أنها تشبه أن تكون غير تفسير . وأن كل معارف العلم ليست من المعرفة في شيء . العلم لعب جدي وقور ومشرف ، ولكنه لا يكفى لأعطاء الاولوية في الانسانية الى الذين يلعبون وأن يعهد اليهم بمهمة الارشاد في الجماعات البشرية . إن في ذلك لسحراً كبيراً . ولقد يشبه المشتغلون بالعلم أولئك الذين يسرعون في حفر بئر عمودية في الارض فيلاحظ أحدهم أنه اذا قضى العمر كله في الحفر لا يستطيع أن يبلغ من العمق إلا جزءاً بسيطاً وأن عمله لا يثبت أن يكون في آخر الامر مضحكاً بعمل جاره .

يدن فالعالم والمصكر النظرى ومن يظفر فى الوجود بالعقل إنما هو انسان محط
هو به انسان . وأنت اذا كنت قد قرأت . فوست . وفهمت ذلك السر البديع
فانت يدرك بلا شك أنه قضاء على ثلاثة أشياء فى الانسان النظرى . فان . فوست . قبل كل
شئ . هو الانسان الحديث . الانسان الذى يعبر فيه على أغرفى سق عصر سقراط
لعمري هو الانسان المولع بالمعرفة والثقافة . ولقد أدرك ما فيها من غرور فقام بتجربة
فى حياة العاطفة ولكنه لم يوفق كل التوفيق . وهو بعد أن استغرق فى تأمل العصور
الإغريقية القديمة انتهى به الامر الى حياة العمل . الى الحياة الفعالة الخالقة وإن كانت بعيدة عن
البرهان وعن الانشاد العاطفى .

والمراد من ذلك أن مجاح . فوست . ينحصر فى الصعود من القرن التاسع
عشر الى عصر النهضة ومن عصر النهضة الى اليونان التى سبقت عهد سقراط . وهو
ما يفضى اليه كل ترق حقيقى . وإنما الحياة العلية حياة النظر بالعقل هى الانحطاط .
ولا يستدل من سيطرة العلم الا على أن القرن التاسع عشر قد انخدل عن سلطان
المثل الأعلى .

لقد تكون للعلم ميزة أنه يفضى الى حب الاطلاع . ولكن حب الاطلاع آخر
الشهوات . ومن يولد بهذه الشهوة إنما يولد شيخاً . لأن الشاب لا يطلب غير
الحياة والعمل . والعصر العلى هو العصر الأخير للانسانية .



وليس ثمة وهم أشد من الرأى الشائع فى عصرنا والقائل باقتران الحضارة بالعلم
هذه لعمري فكرة كل انسان يعتقد أنه يدرك ويفكر . هي فكرة الخاصة والعامة .
يعتقدون أن الانسان المتمدين هو الانسان المثقف وهو خطأ مبن . فان الصانع
أو الفنان الذى لا يدرك شيئاً مطلقاً أو رجل العمل الذى يدرك بعض الدرائة ويعلم
الشئ القليل هو انسان مهذب ومتمدن أكثر من العالم . قال نيتشه . لقد وقع عالمنا
الحديث فى شبكة الثقافة الكندرية . وهى الثقافة التى تعد الانسان النظرى مثلها الا على
الانسان النظرى المسلح . بالقوى ومقاتل المعرفة . والذى يعمل لخدمة العلم ويرى

في سفر الطقوس . هذا المثل الاعلى هو المبدأ والغاية لجميع طرائقنا الخاصة بالتربية . ومفروض على كل نوع آخر للحياة (الفن و حياة العمل والصناعة) أن يسكن من أجل وجوده وأن يترقى على اعتبار أنه عمل متساهل فيه لا كفاية وغرض جوهرى من أغراض الحياة . ومن الميول النفسية المروعة أن الإنسان المذهب لا يعترف به الا في ثوب الإنسان المتعلم . وحتى فتنا الشعرى قد تشأ في بادى الامر من محاكاة الامثلة العلمية . فالأغريق الاصيل يرى مثل « فوست » لأول وهلة غير مفهوم . . .

وليس العلم هو الوسيلة الوحيدة للاتاج والاثمار . فان للأفعال أثماراً ايضاً كما قال « جوتة » . ولعل العلم أدنى وسيلة للاتاج . وانه ليعوق وسائله السامية ويقف حائلاً دونها . انه يحقم يعوق الناس عن الاتجاه الى الناييع الفياضة . ومن عيوبه أنه يجعل العالم بارداً كالثلج ويخففه . دون أن يؤدي غرضه المزعوم وهو تفسير لغزهِ وجعله (العالم) مفهوماً .

وهل للعلم تلك الميزة الحسنة وهى انه هادم للدين ! وهل العلم والدين حقاضدان ! ان العلم مبنى على عقيدة أشبه شيء بالدين أو الدين نفسه . وهو دليل على أن الإنسان فى احتياج الى ديانته أى الى تصديق تصوفى وان يقوى ويعزز فى فكر الإنسان ذلك الميل الى التصديق وتلك الحاجة الخارجة عن العقل والقريبة الى الطفولة ويريد بها الحاجة الى اليقين التصوفى .

والحاجة الى الدين التى اكتسبت فى عصرنا الصبغة العلمية والوضعية انما تفسرها الرغبة القوية فى الحصول على شيء ثابت مكين . الرغبة فى الحصول على عضد . وهو ماتمليه على الإنسان غريزة الضعف التى مازالت الحافظ الامين للاديان والمتأفزين بقيات . فالثقة فى العلم انما هى ضرب من العبادة والتقوى . ولا يصنع الإنسان الا بما يؤيد البرهان انه صحيح . ولكنكى لكى يعتاد هذا الضرب من التصديق المبنى على البرهان لا بد له من عقيدة سابقة يوقن بها ان ماهو مؤيد بالبرهان خير مما لا برهان عليه . اذن فالعلم قائم على عقيدة أشبه بالدين .

قد نقولون إن هذا ليس ديناً وانما هو مجرد الرغبة الطبيعية المشروعة فى اتقاء

الحديعة والغش . فليكن ذلك . ولكن تلك الرغبة في اتقاء الحديعة تفرض مبدأ آخر هو أن تجنب الحديعة والحذر منها خير من الوقوع فيها . هذه الرغبة في الحق ليست شيئاً آخر سوى أنها دين .

فالعالم الذي يدعى أنه حرر الانسان والذي ينبغي ان يحرره انما يحوجه الى العبودية . بل انه يجعل تلك العبودية لازمة . واذا كانت الحضارة العلمية قد وصلت شيئاً فشيئاً الى فكرة المساواة بين جميع الناس فان الحضارة لا تستغنى عن شعب من العبيد يقوم بالعمل في مناجمها وسككها الحديدية ومنشآتها ومصانعها وهذا لعمري تناقض بل هو خطر قد يودي في يوم قريب بحضارتنا تحت التأثير المزيج للضرورات العملية والنظريات وكلاهما يفضي الى خاتمة واحدة حين تتضارب فكرة المساواة بحاجات الحضارة العملية .

وهنا استعان نيتشة برأيه في أن دوام الحضارة لا يكون الا بوجود طبقة من المستعبدين .

عبد الحميد سالم

للبحث بقية .
ARCHIVE
<http://archivebeta.sakint.com>

ظهر الجزء الأول من

اصِلُ الانواع

وَنَشُونَهَا بِالْإِنْتِخَابِ الطَّبِيعِيِّ وَحِفْظِ الصُّفُوفِ الْغَالِبَةِ فِي الشَّاحِرِ عَلَى الْبَقَاءِ

فاطمة من دار العصور ومن المكاتب الشهيرة

تحسين النسل

-٢-

الانسان المطلوب : المطلوب إيجاد أناس أذكاء أصحاء أقوياء قادرين على العمل الصالح لأنفسهم ولذويهم وللبيئة الاجتماعية . أما أولئك البلباء المجرمون المشوهون أصحاب الأمراض المعدية المتوارثة فقير مرغوبين بالمرءة ؛ لأنهم يتسبون في الأكتاف من أمثالهم الذين يعيشون عائلة على الإنسانية زيادة عن كونهم ينشرون بينها الشرور ولو كان آباؤهم قد منعوا من التناسل لما خسرت الإنسانية شيئاً بل بالعكس كانت قد ربحت كثيراً . وعلى كل لم يفت الوقت بعد ؛ فعلياً أن نوقف تناسل أمثال هؤلاء . أما بالافتناع أو بالجبر . والاحسن هو العمل للوصول إلى غايتنا عن الطريق الأول لو أمكن ذلك .

حقيقة أنك تطلب شيئاً كثيراً من الرجل إذا حاولت منعه عن الزواج وعن التناسل ، ولكن التضحية من أجل المجموع غاية سامية يجب أن يقدمها كل منا بطيئة خاطر . وعلى كل هل يود الأب أن يرى ولده متألماً أو مشوهاً ؟ فلنقنع الرجل ذن أو لا بأن ابنه سيكون غير صالح للحياة فقد تنجح في مهنتا لدرجة ما . يجب أن ينظر الواحد منا الى تاريخ اسلافه ليرى ما اذا كان قد تسلسل عن عائلة تتوارث مثلاً الصرع أو الجنون ثم ليستشر أحد الاطباء فالطبيب هو الذي يساعدنا للحكم على ذلك ، لأنه أكثر منا وقفاً على أسرار الوراثة ويمكنه تقدير ما يورث وما لا يورث من الصفات . وعلى كل حال فانه من عين الصواب أن يعرض كل انسان فراشه للطبيب كي يفحصه قبل أن يقدم على الزواج

أما في الأوساط الفقيرة البائسة فيجب العمل لتحديد النسل ، لأنه لا فائدة من إيجاد خلائق تضرغ طول حياتها بين أحضان التماسه فتندفع نحو الاجرام . ومن حسن الحظ أن عصرنا الحالي لا يحتاج ؛ كالعصور السابقة ، إلى الكمية ، بل يحتاج

فقط الى القيمة : وذلك بفضل ما استجد من الآلات . فاذن يجب علينا أن نفهم الناس أن الاكثار من الاطفال مسئولية عظيمة تجاه ذواتهم وتجاه أطفالهم ؛ وذلك من الوجهتين المادية والادبية معاً . وبالطبع تصبح المسئولية عظيمة أيضا حيال المجموع والتوصل الى تحديد النسل يمكن اتباع طريقة التعقيم Sterilization الجراحى للذكور — لأنها خطيرة اذا أجريت فى النساء — وهذه الطريقة قد أصبحت بسيطة بفضل تقدم العلم ويمكن أن تتبع أيضا حتى مع الأصحاء الذين يكثرون من التناسل فيمكنهم أن يوقفوه عند الحد الذى يراعونه أو يطبقونه . وأما فى المعتوهين والمرضى فلا مانع من جمل التعقيم اجباريا

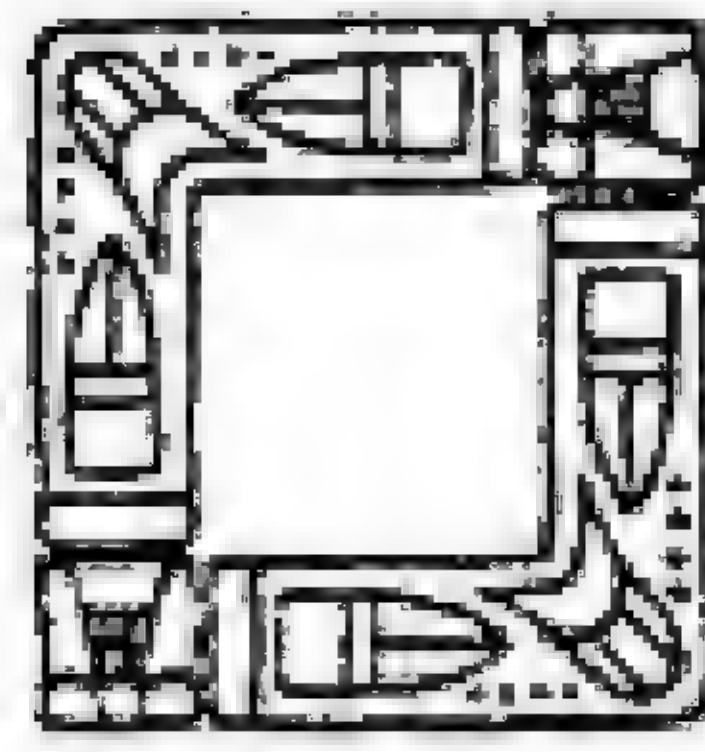
وقد أجريت — ٥٠٠ — عملية تعقيم اجبارية خلال ١٨ سنة فى إحدى مستشفيات الأمراض العقلية (وذلك بنسبة ١ الى ١٢ من المجانين) وقد اختير من يأس الاطباء منهم لتغلغل الجنون فى عائلتهم مثلا . فلم يتضرر أولئك الأشخاص بالمرءة بل بالعكس تحسنت أحوال البعض منهم . وليس فى ذلك أى معنى للحجر على الحرية لان أمثال هؤلاء لا يفقهون للحرية معنى وهم بالفعل مقيدة حرياتهم فى المستشفيات . وحتى اذا لم يكونوا محجوزين فإن حالتهم لا تعد حرة ماداموا يراقبون خوف اذا هم أوبعا كسونا وربما يؤذون الاطفال لما يبدوون به من المظاهر

أما المجرمون فيجب أن يعطى لمن لم يتعود الاجرام منهم فرصة لبدأ حياة أحسن . ويجب أن نعترف بان السجن لا فائدة منه لتعودى الاجرام ولكنه بالعكس هو لهم أشر مدرسة . وربما يكون الحبس القصير المدة تحت رقابة ونظام مخصوصين رادع ، لبعض الناس ولكن اذا لم يكن هناك أمل فى الردع أفلا يكون من حق الإنسانية أن تطلب حماية ذاتها من أولئك الاشرار وذلك باطالة مدد تقييد حرياتهم حتى لا تاح لهم فرص كثير فالتناسل بذلك الامر الذى يتكاثر معه افراد الوسط الاجرامى . وكذلك يجب ملاحظة ان الاجرام يبدو غالبا بين المصابين بالصرع والجنون وداء الميل الى السكر وغيره

يجب على الهيئة الاجتماعية أن تحتاط لنفسها تماما وان لاتعير التفاتا كبيرا لعاطفة الخو الانسانى فالعضو المضر يجب فصله بدلا من تركه يسمم بقية الجسم

والمطلب الأخير الذي لم نشرحه ؛ ينتج ولا شك شيئا من التقدم لأن الطرف الثاني لا يجازف بالتزوج من الطرف الأول إذا كان مسلويا مثلا
ومن يدري فر بما يأتي الوقت التي تقدم فيه الإنسانية على استئصال المضر أو
الأقل على إجباره بطريقة التعقيم عن التكاثر يضاف الى ما سبق ان المستقبل يتطلب
قيمة وليس كية

ع . ع



أطلب من دار العصور للطبع والنشر
ARCHIVE
ومن جميع المكتبات المعروفة
www.archive.com

مَعْضَا الْمَلِكِ الْحَسَنِ

ومقالات أخرى

علمية وفلسفية وانتقادية

بقلم

اسماعيل مظهر

الليل

La Nuit

من أغاني بليزيس^(١)

معربة عن الفرنسية بتصرف

حينما برخي المسا أستأره^(٢) ويوارى جثة التور دجاه
أسرع السمر حثيثاً نحوه^(٢) في المروج الخوق قد حط عصاه



واقداً . لكنني ألهه باسماً . ما كان إلا حالمًا
ثم أبقى ساعة ساكنة . أتقبل الحسن فيه نائمًا

برهة في إثر أخرى تنقض وأنا ينمرني إيناسه^(٢)
وأقبله ولكن لا على شفتيه .. إنما أنفاسه ..

ألم الأتقاس لكن هوّى نارُهُ تعلو لأبراج القواد

(١) نشرت قطعة سابقة من هذه الأغاني بالعدد ١٥ من المصور

(٢) الضمير في نحوه عائذ لحبيبها — الخو: الخضراء

يغمر النفسَ فأُنسى أنه فوق هذا العشب في أنس الرقادِ

ثم أهوى فوقه لثماً ؛ وفي ضمه للصدر يصحو طرباً
نرتوى من منهلٍ عذبٍ من الـ قبلِ الحلوۃ ؛ من نهر الصبا

في عناقٍ ، وعناءٍ ، وصفا ليس من يرقبنا غير النجوم
ينقضي الليل على رغم ويا ليله في مجلس الوصل يدوم !

ثم يبدو الفجر فصاحاً فلا يذر الأسرار ما لم ينطق
نسترق الخطو حتى لا نرى . قد توعدنا على أن نلتقى .

أى جزءٍ فيك يا أرض خفى عن عيون الناس لا تنظره
أى جزءٍ فيك يا كون خفى عن شعاع الشمس لا يغمره ؟

لا نرى الصبحَ به مقتضياً أثرينا . إننا نخشى طلوعه
فيه نحيا في هوانا أبداً لا نرى الفجر اهدنيه (٣) يا طبيعه

حسن كامل الصيرفي

(٣) الضمير في اهدنيه يعود على المكان الخفى

المدنية اليهودية المستقبلية

أعتقد أن عهد ما يسمونها المدنية المسيحية - مدينة أوروبا الحالية - على وشك الزوال و بالطبع ستقوم مقامها مدينة أخرى أعتقد أنها ستكون أكثر اهتماماً بالماديات من المدنية الحالية ولكن على نقيض آخر

من السهل ملاحظة التباين التالي اليهودي الأخذ بخناق العالم والمسير لأموره دون أن يبدو لانظار العامة رغم أن الخاصة ترتجف كلما فكرت في تزايد السطوة والجبروت الذين لا بد سلا زمان هذه السيطرة الآخذة في الزيادة

كذلك يشعر المفكرون أن اليهود قد أثروا في توجيه الرأي العام الى جهة غير الجهة التي كان يتطلع اليها وانهم قد استفادوا من القلق الاقتصادي الذي نتج عن الحرب هذا اذا أضفنا حقيقة أن الذي ربح الحرب الأخيرة هو نفوذ اليهود دون سواهم واستثمروه خير استثمار

وانك اذا بحثت كل حركة هدامة أو مجددة في الوقت الحاضر تجد أن محورها الدعاية اليهودية ، الامر الذي يمكننا مشاهدته متجلياً في موقعين: أولاً في روسيا وثانياً في فلسطين. وهذين الموقعين هما بحق مريض المدنية المستقبلية

ففي روسيا نجد الثورة تزكيا الدعوة اليهودية التي تجد المجال فسيحاً لمهاجمة المسيحية - حاملة علم المدنية الحالية - اما فلسطين فسياسة اليهود تختلف فباعها هي في أرض البلشفية. فاليهود يريدون أن يشيدوا في فلسطين نقطة ارتكاز يوجهون منها جهودهم حيث شاءوا وحيث يجدون فائدة

فكما أن روسيا ليست غير معمل البارود البلشفي الذي يعمل على تعسف المدنية المسيحية فإن فلسطين ليست غير العنبر الذي يتولد فيه المدنية اليهودية المستقبلية

و يشعر الصهيونيون أنهم في حاجة الى حماية أقوى دول العصر حتى تثبت أقدام مدنياتهم الجديدة وعندئذ يكون من أيسر الأمور عليهم إزالة تلك الحماية بفضل ملهم وثقوذهم وبريطانيا نفسها تشعر بنمو الصل اليهودي تدريجاً بين احضانها وعيها

تحاول أن تزيل عنها ويلاته المستقبلية مع علمها بأن امبراطوريتها ستكون أول من
يتحمل صفعات اليهودية المميتة

وانى اذا قلت فلسطين اقصد مركز الشرق الادنى في المستقبل . فلسطين جند
اطرافه العراق ومصر والثانية كانت تتصل اتم الاتصال بها وأما الاولى فزمن
اتصالها الوثيق لن يتأخر كثيراً

فالأحياء في المستقبل سيرون في اليابان مثلة الشرق الاقصى وفلسطين مثلة الشرق
الادنى وأمريكا مثلة الغرب الاقصى قوات تعمل في مناطق نفوذ لا تحتك مع بعضها
احتكاكاً جدياً قبل مرور امد غير قصير

والاحظ أن اليابان تمثل مدينة تغلب فيها النزعة الفلسفية في حين ان الولايات
المتحدة تمثل مدينة تغلب فيها المادية . أما فلسطين فتكون بين أي جامعة بين النزعتين
لوقامت حرب واحدة أخرى فتقل على مدينة أوروبا السلام فان الأور وباوين
سيهدمون ويذبحون بعضهم البعض بينما تقف اليابان وأمريكا وفلسطين موقفاً يصح
أن يقال عنه الحياء التام . هذا اذا لم تقدم أميركا وفلسطين على مد يدها للتجارين
بملايين الجنيهات لكي تزكو نيران الحرب . الامر الذي يعود على كليهما بألاف أرمئات
الآلاف من الجنيهات

هناك مشروع لمد أنابيب النفط من الموصل — أغنى الاقطار في النفط — الى ثغر
حيفا الفلسطيني وستصل بغداد بحيفا بالتضبان الحديدية وبالطيارات وبالسيارات ومن
يذكر ما يحبه الغيب من المخترعات والمكتشفات الغربية فان فلسطين ولو انها لم تصر بعد
فستكون يوماً ما رضى الانكليز أم غضبوا ملكاً لبني اسرائيل . واذا قلنا بني اسرائيل
فنحن نتكلم عن أمة موحدة المرى كثيرة المال لها رأس يفكر . لذلك ستصر على أن
يكون لها كلة الفصل في الهيمنة على مركز فلسطين الاقتصادي أولاً ثم سيأتي الوقت
الذي يلتفت فيه اليهود الى الهيمنة السياسية والتوسع أيضاً

ان مستقبل فلسطين التجاري حسن جداً فهي قلب العالم ومنها تمتد الشرايين
تم اليها من الغرب ومن الشرق واليهما معاً وفي ذلك الوقت لن تكون لقناة
السويس قيمة الا للذين يرومون قتل أوقاتهم في السياحة أما الطرق العملية (التجارية)

من سيارات وطائرات فكلها ستضطر الى اجتياز فلسطين في ذهابها وعند اوابتها
سنسمع يوما من الايام ان حيفا هي عروس البحر المتوسط وانها أكبر محطة
للطيران يحط فيها كل من يطير من الشرق الى الغرب وبالعكس
أما معمل البارود فكان مؤقت أو مزرعة لتربية التعاليم الخطرة والسوم
الفكرية التي يراد منها محو الانظمة الحالية وسيكون اسمها يوما ما الانظمة العتيقة البالية
يجب أن نتطلع الى ذلك اليوم فانه سيكون الحد الفاصل بين عهدين عهد مصر
الذهبي وعهدها المظلم . فبعد ذلك اليوم ستكون مصر كية مهتلة وستكون عضوا أثريا
في مملكة داود الجديدة

نريد أن نرى وان تعلم حتى اذا ما اضطررتا الظروف أن تقفروجها لوجه مع
اليهود نكون أمة يخشى جانبها ولو جزئيا. وأما اذا اضطررتا الظروف الى الاندماج
في النهضة السامية فكون قد قنابسطا غير صغير في تشيد المدينة المقبلة
وعلى مانعمله في الوقت الحاضر يتوقف مصير هذا البلد في الاجيال القادمة. أما
ماهر حادث فقد نتج عن جهود اسلافنا في الاحتباب التي مضت
العلم والثروة هما السلاحان الواجب التسلح بهما لمواجهة المستقبل قبل نحن فاعلون
لتلاقى ما قصر اباؤنا فيه ؟

عمر عنایت

أطلب من دار المصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

العقائد

سياسة حزب العمال

محاضرة للمستر ماكدونالد في باريس

ان محاضرة يستعرض فيها زعيم العمال في انكلترا سياسة حزب لذات أهمية كبرى نظراً لاقترب الانتخابات العامة .

بدأ المستر ماكدونالد بالقول بأن زيارته كانت محوطة في أول الأمر بشيء من الشك والقلق الذي استحوذ على العقول من جراء مرض الملك مما أثار في قلب كل انسان في انحاء الامبراطورية قلقاً يمتزج بعاطفة الحب العميق مما جعل هذا الشعور الفياض من أظهر مظاهر العطف الذي تجلى في زماننا هذا فيجدد بكل الحكام والعظماء في هذا الزمن ان يحسدوا الملك جورج للسكينة التي اتخذها في قلوب كافة طبقات الشعب ثم بدأ المحاضرة باستعراض نمو حزب العمال في انجلترا فأشار الى سياسته في جعل مرافق الحياة العامة في الدولة ملكاً للامة وانها سوف تسير على أسس تطويرية لا ثورية وان حزب العمال أكثر تباعداً عن البولشفية من حزب المحافظين ذاته وأكثر بعداً كثير عن ظواهر الرجعية في بعض أنحاء أوروبا التي تتصل بالعطف نحو الفاشيزم ثم عطف على السياسة الخارجية فقال ان سياسة العزلة البريطانية القديمة قد زالت وما قضى عليها ليس نمو الجيوش الحديثة فحسب بل نمو الصلات الاقتصادية التي ربطت الأمم بعضها ببعض وجعلت كلا منها يعتمد على الآخر بقدر — وذلك مما دلت عليه خبرتنا اثناء الحرب العام .

ثم أنبأ بانها فكرة أخرى وهي أن حزب العمال لا يعتقد ان السلام في العالم لا يمكن استقراره بمحاولة الوصول الى توطین ميزان القوى بين دول العالم أو بأى ضرب من ضروب المعاهدات أو الاتفاقات الثنائية. ويرى الحزب ان عصبة الأمم يجب أن تعتبر محاولة تعاونية تشمل كل الأمم في أقرار السلم في العالم. ولا يمكن الوصول الى ذلك الا متى شعرت كل أمة ان قضيتها الخاصة مهما كانت لا يمكن أن ينظر اليها أو تحل الا حسب عدالتها وأحققتها ومتى شعرت بهذا الاحساس فهي تنظر بدورها الى قضية الشعوب الأخرى بنفس منظار النزاهة والتجرد من التحيز ولن

يعضد حزب العمال أية محاولة من جانب أية دولة الى اقرار السلم عنوة وبقوة السلاح أو إتيان أى تغيير فى معاهدات الصلح قوة واقتدارا . وسوف يشد الحزب ازركل الجهود للاسراع فى تصفية التعهدات المؤقتة التى فرضتها معاهدات الصلح وتحقيق عهد الصلح وتحقيق عهد الاطمئنان والتأكيد الذى اعطى قبل امضاء هذه المعاهدات وسوف يعضد الحزب مبدء الجنسيات دوليا كانت الحدود والفوارق السياسية لا تحدد بالدقة التامة الفوارق والفواصل بين الأجناس . ثم نحن يا نو الحزب جديا لأن يفرض على الدول القيام بتعهداتها فيما يختص بمعاملة الاقليات بحيث تشعر هذه الاقليات الارتياح والاطمئنان الى ولائها السياسى . وقد أشار المستر بلدون قريبا الى مسألة الصلح كما لو كانت توقف على محور عنصر ، التمر ، فى الطبيعة الانسانية يد أنه (أى بالمستر ماكدونلډ) يخالف هذا رأى لا لأن هناك عنصرا من ، التمر ، باق فى طبيعتنا متغلغل فى الاحشاء يعوق انتهاز سبل السلم بل لأن هناك من الخوف فى قلوبنا والشك وعدم الاستقرار فى أحوال العالم السياسية ما يحول دون ذلك . فمسألة السلم هى قبل كل شىء مسألة ثقة . ومسألة الثقة هى مسألة الأمان والطمأنينة فيجب أن تشعر الامم بالارتياح العقلى وأن هناك ما يحميه دون وقرع المظالم . وقد كانت الامم للآن تسعى للحصول على الحماية اللازمة بقوة سلاحها يد أنها لم توفق الى الحصول عليها قبل هناك من سبيل به تشعر بهذه الحماية والوقاية من الاعتداء كما يشعر كل فرد فى البلد الذى يسود فيه سلطان العدالة والقانون ؟ فمحاولة الوصول الى قدر كاف من حماية النفس هو الذى أدى دائما الى شوب الحرب .

إن الجيوش والمحالفات المطلوبة للدفاع هى بنفسها الجيوش والمحالفات التى أدت الى تخوف جيرانها من الاعتداء .

السعى فى الحصول على الطمأنينة

فى سنة ١٩٢٤ كانت معضلة الأمان تقف أمامهم وجها لوجه فى جنيف ووافقت عصبة الأمم على مشروع تمهيدى لعلاجها يعرف بالبروتوكول . . وقد توالى الحوادث سريعا منذ ذلك الحين . فقد أمضيت معاهدة لوكارنو ووافق الجميع على عهد كيلوج وهذه الاتفاقات عدلت الحالة نوعا ما عما كانت عليه عام ١٩٢٤ يد انا للآن نسعى

للحصول على الأمان الذي يمكن مؤتمرات نزع السلاح من الوصول إلى اتفاقات
مؤسمة على افتراض امكان الحيلولة دون الحروب لا على التخوف من شوبها.
فالتحفظات التي أدخلت على اتفاقية كيلوج من جانب الفرنسيين والانكليز
وامريكا نفسها - تعبرت على هذا الشعور بعين من القلق والتخوف وتحت ستار
الدفاع عن النفس أبقى الباب مفتوحا أمام امكان وقوع حرب عامة ومن جهة
أخرى فالمفاوضات في صدد نزع السلاح كانت كلها تدار على افتراض أن الدفاع عن
النفس قد يكون ضروريا وأن مشروع نزع السلاح الذي قد تقبله أية دولة يجب
أن تكون على قدر ما تقتضى حاجتها العسكرية في حالة وقوع الحرب. فهناك فرنسا
لجأت إلى حماية مطالبها الحرية الممكنة بجيش مرابط وعلى انكلترا حماية سبل البحار
وامر يكأن تحمي اهتمامها بجعل الطرق البحرية مفتوحة أمام متاجرها في حالة حرب
عامة. وكانت النتيجة آخر الأمر أن شتى المقترحات التي وضعت للوصول إلى اتفاقيات
لنزع السلاح كانت بحيث لا يمكن أن يقبلها فريق من الأمم وإن قبلها فصيرها الرفض
من الفريق المقابل. وما ذلك لأن الفن العسكري للدفاع عند أمة يختلف عنه في فريق آخر.
فلو أمكن سلسلة من الحلول المتوسطة بعض التضحية للوصول إلى اتفاقية على هذا الأساس فلن
يكون ذلك حقيقة اتفاق في سبيل سلام العالم بقدر ما هو التخفيف عن العبء الثقيل
الذي ينوء تحته دافع الضرائب في كل البلاد وقد يكون ذلك الحل مما يرفع عن كاهل وزراء
المالية يد أنه لن يرضى وزراء الخارجية وفي ختام محاضراته صرح المستر ماكدونالد
أنه واثق متى وضح الغرض وسلت النيات السياسية أن في مقدور انجلترا وفرنسا
والمانيا حماية سلام العالم بواسطة عصبة الأمم فلو اشتركت أمريكا وتعاونت للوصول
إلى هذا الغرض داخل العصبة أو خارجها أمكنهم توطيد سلام العالم يد أنه لا بد من
التواصي بالصبر ومن الاستعداد لبذل الجهود نحو تغيير الحالة الحاضرة إما إذا لم يكن
هناك سبيل إلى تغييرها فإن حربا أخرى واقعة لا محالة

اعترافات متطفله

قصة تركية مترجمة عن كتاب « أحسن القصص »

بقلم منير مخندان

إلى صديقة قديمة

وأنت أيضاً تلومينى مثل سائر الناس .. امرأة هربت مع عشيقها تاركة وراءها زوجها وثلاثة من فلهذات كبدها !

انى وأيم الله حينما أرى هذا العنوان ، لو لم أكن بطلة هذه القصة لكنت أولى من بادرت الى اللوم والتقريع . ولكنى أعلم انك على جانب عظيم من الذكاء وبعد النظر بحيث لا يأخذنك بريق الظواهر ولا تخدعك المظاهر ..

فهل لم يكن فى امكانك أن تفهمينى تفهماً حقيقياً أكثر من غيرك ؟ فلم لم تنظري - ولو مرة واحدة - الى قلبى فى هذه الخمس عشرة سنة التى قضيتها فى هذه الحياة التى تنتقدونها الآن .

انك لم تبحنى عن أصل هذه الضجة التى لا كتبها الا لينة فى البيئة التى اتعبى اليها طيلة هذه المدة

نعم ! انى عشت عيشة خاطئة لا يغفرها رجل ولا امرأة ، ولا تقبلها بيئة من البيئات والاطساط . الا أن هذه الحياة : لما كانت مظلمة باسم وستار زوجى ، لم يجد أحد منكم فى نفسه الشجاعة الادبية الكافية لتوجيه أى نقد وطعن الى أوالى زوجى وجهالوجه . مكتفين فى زوايا مجالسكم الخفية بالهمسات واللمزات . لماذا .

انى كنت امرأة تصطبغ عشيقها الى منزل زوجها وتعيش معه عيشة الاخدان بين سمم وبصر زوجها .

لماذا لم تهملوا الى طردى من مجالسكم ؛ حينما كنت أحضر اليها مع زوجى وعشيقى فى وقت واحد ؟

واذا كنت ؛ انت ؛ أيتها الصديقة ؛ لم تعرفي داخلية حياتي الخاصة ؛ وانت اقرب الناس اليها وادراهم بها لهذا لم يعلم ذلك أى فرد من أفراد البيت التى تنتمى اليها . وبعد ما خرجت من مجلسكم اخذت تبلغنى الضجة التى اقاموها حولنا نحن الثلاثة . وقد كنت اعلم تمام العلم بما تيكته سدوركم نحوى من الكراهية والازدراء اللذين لم يكن يظهر لها اثر على شفاهكم وقتئذ لاسباب تعلمونها ؛ ولكنى كنت فى حيرة شديدة من سكوتكم وكيف كنتم تصبرون على ذلك ولماذا ؟

فالآن اذا صرحت لك ؛ لماذا التزمت السكوت فيما مضى واليوم أمعنتم فى توجيه سهام النقد وقوارص اللوم والطعن ؛ فلا تغضى ، أيتها الصديقة ؛ من ذلك ؛ أنى فيما مضى كنت أحمل اسم زوجى متسترة وراء ستاره ؛ فكان زوجى على جانب عظيم من النفوذ وعلى قسط كبير من الغنى والسيادة فى عالم المال والعمل حيث كان كل واحد منكم . رجالا ونساء . فى حاجة الى الاستفادة من جاهه وغناه . فكنتم تخشون نقد حياته الخصوصية الا فى زوايا مجلسكم السرية ؛ حتى ان الرجال منكم كانوا يدافعون عنه بأنه يجهل الواقع . فكذا كلكم رجالا ونساء كنتم تخصوصونى دونه باللوم والتقريع والطعن والتشهير .

ومن الطبيعى أن الرجل المخدوع يعتبر معذورا . كما انكم لم تكونوا لتجدوا فى نفسكم الحق فى الطعن فى شاب عازب منخدع . اذن ؛ تمنع تبعه الذنوب التى ارتكبها هؤلاء الثلاثة كلها على عاتقي ! انا المرأة فقط

نعم انكم لم توجهوا سهام نقدكم ونصال طعنكم الى هذه المرأة المذنبه التى تبذرها اليثات ، ولا تصفح عنها أية عقلية من عقليات المجتمعات والاوساط ؛ فيما مضى جهارا ؛ لقضاء أوطاركم المادية من زوجها اذ ذاك . والآن تلومون نفس هذه المرأة بقارص الكلام ولا ذع النقد والتقريع لفارقتها زوجها وأولادها الثلاثة فى حين انى أعتقد ان ماعمله هنا هو أعقل عمل قمت به وأشرف ما قدمته فى حياتى . حرري عقلك من قيود الماضى . وأساليب التفكير القديم البالية وأصغ الى ما سأشرحه لك (فى هنية ثانية)

هل تعرفين . لماذا أقدم لك هذه المقدمة البسيطة قبل الشروع فى تاريخ حياتى ؟

لا أقصد بذلك قطاسكات الضجة القائمة من حولي الآن والتي تفيض بها مجالكم هناك ؛ بل
انى أريد به أن اظهركم على خطئكم البين في سوقكم الكاسدة وعقليتكم الفاسدة
التي ماهى في الحقيقة الا مجموعة أفكار بالية

* * *

كنت ذبابة غنية في يثتى وفي الوقت نفسه من أجمل الفتيات فيها . من يوم ما عرفت
نفسى أعرف اننى مخطوبة . ولما أشرى متى ولما اذا عصفوا خطبتى على الغير
وكان خطيبى أيضاً من أسرة غنية الا أنه كان دميماً عيلاً لا يعرف الحديث وكان أشبه
بالشبح منه بالإنسان . وكان اسمه ينضبنى ويشير عندي شيئاً كبيراً من الميائج والآسنياء .
كلما ذكر اسمه واستمر هذا الى أن أكملت دراستى . وبعد ذلك شعرت بانى في حاجة
الى أن أتعرف عن كذب ماهية هذا الرجل الذى سيكون شريك حياتى المستقبلية .
وكما تقدمت في تعرفى به وتفهمه . زدت منه نفوراً وكراهية . وربما كان الاحترام
الزائد والحفاوة الباهرة اللذين كنت أقابل بها من يثتى قد أحدثا عندي شيئاً من
الغرور والكبرياء . وما من يوم يمضى ويمر الا وكنت أتخفى فيه أن الوفاق بينى
وبينه يكاد يكون ضرباً من النجاسات

ولما فاتحت والدى في هذا الموضوع مبدية له رأيي أنصرخ في ذلك أظهدمة
كبيرة بل وذعر ذعراً من هذه الصراحة ووقتها فى نفسه فتضرب على رأسه كمن وقع
في مصيبة كبيرة وقال :

— أواه ... وهل كان هذا جزاء ما تحمكه في سبيل تربيتك ؟ ... ماذا حدث
وماذا ارتكبت من الاخطاء . واذا كنت قلت انى لا أريد خطيبى . فبل أكون قد
أتيت شيئاً نكراً ؟

وقال والدى :

— انى قد تعهدت ... ولا يمكن أن أرجع عن عهدي الذى قطعتة ..
هل تعرفين ماذا شعرت حينما سمعت هذا القول . شعرت بانى في نظر والدى
كالطير الذى اشتراه ووضع في القفص وعنى بتربيته والمحافظة على حياته فله اذن
حق اطلاقه وفك إيساروكا أنه الاستمرار في حبه واعتقله انى شاء ومتى أراد .

وما دام أن والدي قام بتربيتي وعنى بتهديتي ودراستي منذ نعومة اظفاري فمحكوم علي
أذن أن أبقى أسيرة والدي وأمة عطفه السابق فاقدة كل ارادتي مضطرة الى أن أقضي
نحبي

أنا لا أملك شيئا من نفسي بل أنا ملك له لاغير . فإذا رجع هو عن عهد
قطعه عني فذلك يعتبر ماسا بكرامته وخدشا في شرفه . ولكن اذا رددت كلاما قاله
غيري وهو في الوقت نفسه مما يمسني ويهد من كياني فذلك يعتبر وقاحة مني وتصرفا
فيما لا حق لي فيه

هكذا حصل . تصادم فكري في رأسي بين حتى وحق والدي مدة سنة . وفي
النهاية فاز حتى بالمعركة فبادرت حالا الى اثبات أن لي كيانا مستقلا ووجودا خاصا
حيث عمدت الى ارسال خطاب الى خطيبي بتطليقي اياه

نعم وقد تعرضت حينئذ أيضا للملامة شديدة والى نقد غير قليل من الناس . وأصبحت
هذه الفتاة الجرئة الوقحة التي طلقت خطيبها بدون إذن من أبيها موضوع كثر من
القول والقال والاراجيف الذائعة في المجالس طوال الليالي والايام . وزاد والدها منها
فقورا واشتموا زانا والناس لوما ونقدا مرا

ثم تزوجت وكان زوجي معدودا من كبار الاغنياء لاني داخل القطر فقط
بل من كبار أغنياء العالم حيث كانت له مكانة مالية في الاقطار الاجنبية أيضا .

وهل رضيته زوجالي لغناه . . . ؟ أصدقك القول : فأقول نعم : اني تزوجته لغناه .
وقد كنت أنا أيضا على جانب كبير من الثروة والمال ولم يكن لي بها من كبير حاجة .
إلا أن مركزه الاجتماعي السامي ونفوذه الكبير في دوائر المال والعمل حملاني على
الاقتران به حيث صادفنا دوى في نفس التواقة الى الترف والبذخ وغير خاف اني
كنت امرأة خيالية جدا . ولا سيما اني كنت مفتونة بحياة الصالونات الفرنسية وتأثرة
بها بفضل اكارى من مطالعة وقراءة الروايات الفرنسية بشغف كبير . . . فلم يكن في
امكان أحد سواه أن يهيئ لي أسباب الترف والبذخ وأن يمهّد لي السيل الى تلك
الحياة الراقية الفاخرة الباذخة .

وقد مضت السنون الأولى من حياتنا الزوجية بكل هناء وسرور . فكان زوجي

يحبني لدرجة العبادة والجنون ولم يكن يدخر وسعاً في سبيل ارضائي مهما كلفه ذلك من التضحيات وكنت أنا بدوري أحبه . ورزقت منه ثلاثة أولاد . زادنا كل واحد منهم بدوره سروراً على سرور وسعادة على سعادة .

ولكن المرأة مهما كانت جميلة فاتة فانها لا يمكن أن ترضى أبدا رجلاً غناداً . فلما رأيت أن زوجي يتوسل شيئاً فشيئاً ببعض الاسباب التي تديم وتسهل له السهر والسمر طوال الليالي . فقابلته أنا - مثل سائر النساء - بتمثيل أدوار الغيرة النسائية الجبلية بكل اتقان ومهارة وذدت عن سعادتي وهنائي بكل ما أوتيت من جمال نسائي فإن بل بكل ما عندي من قوة ذكاء وشخصية مستقلة ولكن كل ذلك وباللاسف لم يجد قبلاً لأنني علمت علم اليقين أنه يخادع خيلة له يحبها ويعشقها لدرجة الجنون وينفق عليها بإسراف وتبذير .

وهل تدركين : ماذا تفعل المرأة في مثل هذه المواقف ؟ فلما أن تطلق . أو تقابل المثل بالمثل وأما أن تلتزم السكوت ولما اني كنت أحب زوجي فلم يكن الطلاق منه بغيثي ولا الفراق عنه أمنيئتي فضلاً عن أن لي أولاداً منه . وأما السكوت . . فهذا عمل فيه شيء كثير من المذلة والحرمان والجنون والخوف فلم يبق الا المقابلة بالمثل نعم ! لأجل هذا حاربت نفسي وقاومتها بكل قوة وشدة مدة سنة كاملة . وكان زوجي ينكر كل ما يرتكبه من الأعمال المنكرة الجارحة لاحتاسي وعواطفى والمضادة لشعورى وعقليتي . غير اني كنت أملك كثيراً من المستندات التي تثبت معاشرته لهذه المرأة وصلته المنيئة بها .

وقد حصلت على هذه المستندات بمعرفة شاب يحبني لدرجة الجنون بل وكان على أهبة الاستعداد لتقديم حياته الغالية لأجل وفي سبيل ارضائي .

ولما تعرفت بهذا الشاب في بيتي شعرت في نفسي - وأنا امرأة ذات ثلاثة أولاد - لأول مرة بعاطفة غريبة حادة ملكت على مشاعري ومداركى . . . الحب !

كنت لا أزال في العشرين من عمري . وكنت شابة جميلة لم تنق بعد مرارة العشق أو حلاوته ان كانت له حلاوة

وقد أصبحت لا أشعر بأي نقصان في حياتي الخاصة بعد تعرفي بهذا الشاب .

وتبين لي بعد أن فتحت قلبي للحب والهيام أن هناك أشياء كثيرة في نواحي الحياة ولذا نذرها للخلاية لم أتزوجها بعد ولم أعالجها قط .

وكان في أمكاني بما من من المستندات أن القى القبض على زوجي وهو متلبس بالجريمة . ولكن ماذا كان يحدث بعد ذلك ؟ لا شك في أننا كنا نفترق مرغمين كان عشيقى شاباً مفعماً وكان لحيه تأثير كبير على أشد من الذي تحدثه الروايات الخيالية البليغة . ولكن لم يكن في مكنته أن يأتي لي بالحياة الفاخرة . حياة الترف والبدخ التي أحبها حبا جما .

فكانت لي عربة نفخة وبيل سيارة فاخرة . وكنت أقابل بضروب الخفاوة وأنواع التجلة والتكريم في جميع المجالس والصالونات التي أغشاها . وقد كنت أنظر دائماً إلى الحياة من قمتها لا من أسفلها . وادناها . حيث لم يكن في مقدوري أن أنزل إلي مصاف الناس وواطئ مستواهم وفي الوقت عينه كان من المحال أسلوب الحب والهيام . وهكذا كنت في حيرة بين عاملين متضادين . فكنت محبة ومحجوبة . وكان الحب وحياة الترف والبدخ يتجاذبان بينهما فكنت خادعة ومخدوعة . ولكن تشجعت فعزلت على أن أجمع بين هذه المتضادات والمتناقضات كلها من غير أن أضحي بواحدة منها . زوجي يخدعني . فمن حقني اذن أن أخدعه . وكان يخفي خداعه هذامني . فمن حقني أيضاً أن أخفي خداعي له خلية يطارحها الغرام والحب والهيام . ولي كذلك عشيق أقيم محبة . وهكذا العين بالعين . والسن بالسن

نعم لم ترناحوا أنتم لمنطقي وتفكيري هذين ولم تقبلوهما ولكن لا أدري كيف رأت عيونكم المتشعبة الفياضة بالانتقادات الدقيقة التي تكاد تشق الشعرة الواحدة إلى أربعين شقة طويلاً لا عرضاً ، شخص عشيقى الذي نجحت كل النجاح في إخفائه عن عيني زوجي ؟

نعم ! نعم ! انكم أنزتم سراجكم في مجالسكم طوال الليالي بالظعن على انا وأطفائموه خاتمين مجالسكم بالنقد المر لعشيقى وقد أشفقتكم كلكم على زوجي وتأثرتم لاجله . لماذا هل لكونه رجلاً ؟ ألم تكوني أنت في تلك المجالس : وأنت أنت

تلك المرأة التي عاشت معي من نعومة أظفاري وعاشت بسرائر قلبي وصفاء طويتي ؟
لماذا لم تعترفوا لي بالحق الذي اعترقتم به لزوجي حينذاك

إن أفكاركم البالية وتفكيراتكم السقيمة - التي دأبت من القديم على أن ترى
الأسرة قائمة على أساس واه ينهار في أول صدمة حيث لا تشرطون فيها الحب المتبادل
والعفة المتعاقبة ؛ لم تر من العدل قط الاعتراف للمرأة بحق من الحقوق بل انكرتها
واعتبرتها كية مهملة لا وجود لها ولا كيان .

ولكن الانسان جبل على أن يبحث عن حقه ويعثر عليه بعد جهد جهيد متى
وجد أمام الظلم والاستبداد وجها لوجه . انكم لم تمنحوني الحق الذي حصلت عليه .
وقد كنت أشم رائحة التدمير والاستياء مني مرسومة على وجوهكم . ولكن لم يكن أحد
منكم ليجراً بمجابتي بالحقيقة والواقع لم تكن قد بقيت أية قيمة لزوجي بعد في
حياتي الخصوصية . فكنا نحن الاثنان مرتبطين بعلاقات مادية بحتة ؛ كنت في حاجة
الى ثروته الضخمة واسمه الكبير . فكنت اغرر به وأخدعه وأخادعه وها هي
أقبح صورة من حياتي وقد يكون هو يحبني ؛ ومع هذا يعاشر امرأة أخرى . غير
أنه خوفاً من أن يخيم البؤس والشقاء على مستقبل أولاده وأن يتسبب في خراب بيته
وانهدام كيانه كان ينافق لي ويداهن فيخادعني . وهل توجد مأساة يقوم بمثل
أدوارها أبرع الممثلين والممثلات أقبح وأشنع من هذا

وكما مرت الايام وكرت السنين كانت العلائق التي تربطني بزوجي تنفكك
وتزول الواحدة تلو الأخرى حتي لم يبق شيء منها . . .

فكان قد فارق خليفته ؛ حيث كان تفضيده شيئاً فشيئاً عن لذائذ الحياة ومقتضياتها
وكان يعود الى ويزيد حبه لي كثيراً حتي أنه أخذ يظهر ذلك أكثر من أيام
العشق والهيام في أوائل اقتراني به . وقد حملت هذا التطور في اخلاق زوجي على
اكتشافه سر علاقتي بعشيقتي ؛ لأنني ما كنت حينئذ أعبا باخفاء تلك العلاقة ؛ علاقتي
بشفيق ، عن العيون مطلقا . فكلما كان زوجي يقترب مني منعه فابتعد عنه حسا ومادة ؛
وهكذا اجعل الفرق العظيم البارز بيني وبينه في السن والحياة لانه كان قد شبع
من لذائذ الحياة ومتاعها لدرجة انه قد شاخ وشاب قبل أوانه فلم يكن يغادر

المزلة ليله من الليالي ولا يرضى بمفارقتي قط لحظة ما . ولا ريب في أن هذا كان من شأنه أن يعرقل علاقتي بشفيق ، ويجعل تكتم ذلك العشق السرى والحب الخفى عنه ضرباً من المحال .

قلوب عاد زوجي الى كالتابع متمتعاً بقواه وعواطفه البشرية فربما كنا ننسى الماضي بكل ما فيه من البشاعة والقذارة واستعدنا شيئاً غير قليل من السعادة الضائعة ؛ ولكنه عاد الى - وبالإسف - وهو لا يحمل في نفسه شيئاً من الحب البشرى إلا شيئاً أشبه منه بالشفقة الانسانية الطبيعية كحب الآباء لأولادهم والاشقاء لشقيقاتهم ، مع اني كنت لا أزال في عنفوان شبابي وفي مستقبل عمري حيث كانت حرارة الحب النسائي الطبيعي عندي في أقصى وأقصى دورها ، لانها كانت قد هاجت وفارت بعد أن كانت مكبوتة (ومكبوتة) حيناً من الزمن .

نعم ! ان زوجي ، بعد أن عاد إلي من هول القوى ، ذابل الجفون منطقي ، الفؤاد كبير النفس والقلب أخذ شيئاً كثيراً من العناية في الالتفات والتجيب الى لكن من الوجهة الروحية ، لا من الوجهة الجسمية ، من الوجهة المعنوية والخلقية لا من الوجهة المادية والحسية ؛ ولكن هذه الحالة الجديدة ضايقني أشد المضايقة لدرجة اني قررت مراراً الهروب الى حيث أعيش حرة في جو حر طلق صاف وحقا لا شيء أثر على تأثيراً كبيراً وأقلق بالي وأطار لي مثلاً أثر على هذا الحب السرى لشفيق والعشق الخفى وما الفارق بين هذا وبين ما يسمونه الدعارة ؟ أوليس العشاقان الخفيان اللذان نعيشهما أنا وزوجي حقا دعارة متعششة في قلب اسرتنا المنكودة الحظ ؟ .

على انكم بينما تسمون حبي السرى هذا دعارة ؛ وخشاً ، تجدون بل وتخلقون اسماً آخر لحب زوجي السرى الآخر وتصفونه وصفاً آخر .

كنت أشعر وأعتقد بأن لي حقاً طبعياً في أن أحب وأعشق وأتمتع مثل سائر الناس وفي الوقت نفسه كنت مستاءة جداً من تجارتي على التمتع بما لم يباح لي المجتمع الذي أنتمى اليه

وقد اعترفت ذات يوم لزوجي بكل هذه الحقائق والخواطر التي كانت تقلقني أيما

أفلاق مصرحة له بخداعي إياه وحيي لغيره وإن محبته لي التي أصبحت بمثابة الحب الأبوي ، لم تعد تكفي لارضاء حاجتي النسوية الغريزية

وقد كنت أنتظر من هذا الرجل الذي أطرق رأسه أمامي ؛ أن يغضب غضبا شديداً فيهم بطردي من منزله إلى الأبد . ولكنه أحنى رأسه وقال بهدوء :

— « كزبدته ! اني أحبك جداً لدرجة العبادة ؛ فلا يمكن اذن أن أفارقك . وحيث أنك شابة جميلة ؛ فلا يسوغ لي أن أطلب منك أن تنازلي عن حقك في الحياة ومتاعها المتنوع وأن تعيشي معي محرومة من لذائذ هذه الحياة . . . وهل أنا أملك من الحق ما أمنعك به من التمتع بنصيبك في الحياة . . . وحيث اني لم أعد قادراً على ارضاء حاجتك النسوية الغريزية ، فالواجب يقضي على اذن اما أن أطلقك ، واما أن أغضض العين عن حبك للغير متغاضياً عن فعالك التي تستحسنينها . »

فكنت أنا في هذه اللحظة أصدق النظر في عينيه لأعرف منهما أي الشقين يختار ، فإذا بي أراه وقد اغرورقت عيناه ولمحت دمعتان ظهرتا عليهما وقال :

— ها — واني أختار الشق الثاني . . .

فآلآن تعالوا واحكموا من هو الآثم الكبير والمجرم الحقير . . . واني واثقة الآن انكم ستتميزون غيظا وتشتيطون غضبا فتزلون اللعنات والطوفان على الانس والجان . .

كما أني واثقة بانكم الآن تلقون كل الذنوب والآثام على عاتق زوجي فقط . . . وها اني اصارحكم القول — ولا أكذب — بأني ذعرت واندعشت من جبن ونذالة زوجي حينما رأيته يفوه بهذا الكلام الذي تقشعر منه الأبدان وتمجه الآذان ولكن مع كل ذلك ما أقدمت على ترك هذه الحياة القذرة التي كنت أعيشها ؛ ولا على مفارقة هذا الرجل الذي اختار لنفسه هذه الدناءة والنذالة المتأهية .

فضيت في معاشرة زوجي وعشيقتي مع أولادي في هذا المنزل الموبوء ؛ مترددة على بحالكم ومحافلكم بزوجي وعشيقتي سوياً فتوبلت حينئذ من جميعكم مع هذا بانواع الترحاب وضروب الحفاوة ، فلماذا رضيت بمعاشرة مثل هذا الرجل الحقير حتى في نظري

أنا وهو الذى كنت أعاشره لغناه وجاهه فقط لتأمين الحياة الفخمة الباذخة التى أنا مولعة بها دائما أبدا ؟ .

انكم جميعا كنتم فى حاجة و افتقار الى جاهه العريض وغناه الطائل . . . ثم لماذا لم تحاولوا طرد هذه المرأة التى غشيت مجالسكم متأبطة ذراع عشيقها . . . فى حين انى كنت من الاستياء بحيث يعتربنى الألم الشديد من قبولكم واهتضامكم وقع هذه المأساة العائلية والفاجعة الاجتماعية مما أدى بي إلى شعورى باحتقار عميق لنفسى ولكم ولكل شئ فى هذه الحياة .

كانت أولادى قد أخذت تترعرع وتتقدم فى العمر وتحاول فهم سر وجود عشيقى ، شقيقى ، معنا فى المنزل . . . ولا شك فى أننا نحن الثلاثة . كل على حدة ، كنا عرضة لاحتقار وكرهية أولادى . . . وما كنت أريد فقط : لهؤلاء الاطهار أن يعرفونى لا أنا ولا أباهم لأن هذه لم تكن أسرة بمعنى الكلمة بل كانت أقبح مثال وأشنع صورة لأشباه الأسر الفاسدة المملوءة بأنواع الرذائل ومختلف الموبقات التى تكثر فى الطبقات العالية من الناس . . .

ولماذا أراضى ببقاء مثل هذه البؤرة فى قلب الأسرة وأنا عائلة جهولها ولوثها . . . وقد كنت بشرا ولا شك . . . فما كنت أستطيع التخلص من مقتضيات البشرية ودوافعها القهرية التى لا تطاق . . . وكأن قلبى وأنوثتى قد استحالوا إلى جنوة نار محرقة قضت على آخر قسط من سجاياى وفضائلى الحيدة . فما أمكننى بعد ذلك أن أتحمل هول هذه المأساة التى اهتضمتوها أنتم متعامين عن رؤيتها فى سبيل المحافظة على مصالحكم النائية .

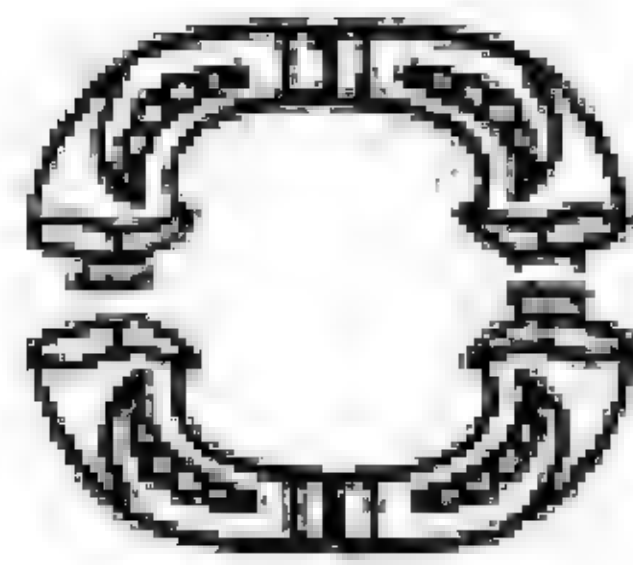
نعم ! هربت مع عشيقى . . . لئلا أعكر صفاء أولادى المعصومين الاطهار بقذارة هذا الجو الموبوء وكدورته . . . والآن تلومون على هذا العمل وتنقدونه . . . مع انى أرى أن هذا أشرف عمل يصدر عن امرأة مثلى : قضت أيامها فى ارتكاب الذنوب والآثام : وأصبحت بظلة رواية سافلة بمقوثة .

حينما كنت أعيش تحت اسم زوجى وستاره : فلا أدري كيف أغضتم عيونكم وتعاميم عن رؤية أشنع الفواجع وأقبح المآسى ؟

أذبحوا عن وجوهكم ستار الصدق والاخلاص الذي اصطنعتموه لأنفسكم كذبا
وخداعا لأنه لا يحجب ما وراه من الكذب والنفاق . واعلموا أن زوجي كان من
أخس الرجال وأكثرهم ندالة وجبانة أيام كنتم تقبلونه في مجالسكم وترحبون به ؛
كما واني كنت من أكثر النساء وقاحة وأشد من طغياناً واثماً . . . ولكن اليوم امرأة
تقضي أيامها مع عشيقها فقط لا أكثر ولا أقل . . . ألم يكن السبب الباعث لكم على
النظر إلى غشيانى مجالسكم بعين الرضا ، هو اسم زوجي الشريف ومكانته الرفيعة
وكون اسمي مقيدا في سجلات الحكومة من جراء ذلك . . . انتزعوا من رؤسكم الافكار
البالية ، فيظهر لكم أثناء ما تخوضون في عباب الطعن الجارح والنقد المر ، أن زوجي
هو بطل الرواية الأكبر ، وان جاهه الرفيع هو الذى سهل لكم هضم هذه الفاجعة
التي تمثل ادوارها الشائنة في قلب أسرة هادئة سعيدة . . .

وثقى بأنى لا أكتب لك هذه الأفكار والخوارط للدفاع عن نفسى ؛ بل لادلكم
على خطئكم الفاضح في تفكيراتكم التي ما هي في الحقيقة الا مجموعة آراء متناقضة
وافكار متضاربة ، ولا برهن لكم بأدلة محسوسة كيف انكم تحبذون في سبيل المحافظة
على مصالحكم الشخصية ما لا يقبله وسط من الأوساط الاجتماعية ولا يرتضيه
أدنى العقليات .

وأكون قد اعترفت لك بهذه الوسيلة يدون أن يشعر أحد — والسر محفوظ
بيننا طبعا — بماهية وكنه الحياة التي نعيشها نحن واياكم مع كبار المتطلعين والمتفكرات



الغيرية

أظن قارئ أن الغيرية هي إحدى الصفات الحميدة ؟ أليست هي نوع من الفضول إذا عم الافراد عفت الآثار الباقية من الحرية الشخصية ؟
أنك اذا وجهت همك الى راحة الغير وسعادته وصحته لا بد وان تقف له بالمرصاد طيلة الوقت فتداخل في شئونه الخاصة والعامة . اذا شاء الزواج منعه بحجة أن دخله لا يكفيه . واذا أراد أن يشرب كأسا من الخمر أخفتمته بنيران الجحيم . واذا سهر الليل عاتبته لان السهر مضر بصحته

وقد تكون قارئ بعكس ماسبق وصفه تماما لانك من (أصحاب الكيف) فتعرض الذي يتمتع عن الشراب على وجوب (الدردحة) وتقول للذي لا يشرب (خليك ابن اليوم) والذي يخشى الزواج لقلة ماله تخرضه كي (يرى الدنيا)
وما ادراك بحقيقة حالتي وبظروفي حتى تنصح لي بعمل كذو وكذا اذ من الجائز ان مالي لا تسمح أو أن راحتي تستلزم اتباع الطريقة التي اختطتها لنفسي .
أريدني أن أبسط لكل من حضرات الغيريين حالتي المالية بأسهاب وان أشق لهم بطنى ليروا كيف تملك غرام ، بثينة ، قلبى ، الامر الذى لا يقدره حضرات الغيريين أى تقدير اعتقادا منهم بان الست ، بثينة ، ليست كما أظن مثالا للجهال

ما أبشع تلك الدنيا التي يعيش فيها الانسان دون مزاج ودون ارادة يتبع نصائحا متعارضة متناقضة مع بعضها في الجوهر وفي العرض . كيف تكون هذه الدنيا اذا جعل كل همه تدبير شئون الغير ، وأما شئونه الخاصة فيترك تدبيرها لحضرات المدراء من الغيريين الآخر

وما قول الغيريين الافاضل اذا فرض وحاول ان يؤثر على أحدهم فريقان فريق يحرضه على اتباع طريق معين في حين يحرضه الفريق الآخر على اتباع طريق معارض للطريق الأول

وقد يتفكر البعض الى الحائط وهم يقولون ولكن ليس لكل الناس أمرجة سليمة

ولا ارادات قوية وهؤلاء هم الواجب أعطاءهم قسطا من الارشاد والنصح ولكن رأى هؤلاء المهزمين ليس له وزن أيضا لانه لا يوجد انسان واحد يعترف بان ليس له ذوق ولا ارادة قابلان للاحترام . بل هؤلاء السخفاء الضعيفى العزائم هم بالعكس أكثر الناس (هلزمة) اذ تجد الواحد منهم يعيش عيشة الكلاب فاذا ماتكلم ردد عبارات فخمة مثل (سمك بالميونيز ؛ وصالون لويس الرابع عشر ، وهارموني الاوبرا) وهى أمور يسمع عنها دون أن تقدر طبيعته على هضم معانيها بالاقول

كلا أيها السادة - أن الغيرية لمن أسفل الصفات لانها دليل على الجمجمة والصفافة . فاذا أفهمنا الناس وجوب اهتمام كل منهم بنفسه لبذل كل جهده لاجل الوقوف على قدميه . لتحيا الانانية فهى أقوى سلاح يمكن للانسان أن يكافح به الحياة وان يدرأ به مصائبها عن نفسه وتسقط الغيرية فانها دعوة الى نقض روح الاستقلال والحض على الاعتماد على الغير هي المسية لوأد عزة النفس والمحرضة على القاء السلاح أملا فى جمع فئات موائد الغير . تجلى الغيرية بأجلى مظاهرها فى بلادنا نحن الشرقيين . وهى المسية لفقرنا الناشئ من عدم اهتمامنا بالغد . انظروا الى من يتغرب عن وطنه منا تجردونه يصارع الحياة مصارعة البطل المستميت فينال مالا وجاها والا فانه يسقط مدرجا فى اكفان من عزة النفس أما فى بلادنا فتجدون الواحد منا غير عالى بما هو فيه من بؤس فيتكالب هو وأمثاله من الحشرات على من ابتسم له الحظ من أقاربه أو أصحابه الى أن يهبط حضيضهم بعد عزه وكل ذلك يقع باسم الغيرية

اعمل بنفسك لاجل نفسك يا صديقي - فاذا ما ابتسم لك الزمن ووجدت فضلة من طعامك اتقا لمن هم دونك لتشبع انانية متجسمة فى شعورك بالتفوق على من هم دونك هذا ما قاله زرادشت الصادق عن لسان فيلسوفى المجنون نيتزش ؛ ذلك الذى قال : ان الشجرة تمد أفرعها للاستفادة بأكثر ما يمكنها من النور والهواء دون أن تهتم اذا عد الرعاة فيها ملجأ صالحا أو اذا عدته الحشائش ضربة قاضية على حياتها ذلك لانها تمنع عنها نور الشمس وتكتم عليها بجارى الهواء .

فساد النظمات الاجتماعية

تختلف الشعوب بنظماتها وقوانينها وعاداتها وتقاليدها دائماً كما تفق بالأسس التي عليها بنت هذه النظمات والقوانين والعادات والتقاليد . وقد يستغرب المرء اذا ما سمع لأول مرة أن عظمة انكلترا وحقارة الهند مثلاً مرتكزتان على أساس واحد موروثة عن النظمات الطبيعية الحيوانية . ولكن استغرابه هذا يزول عندما يعرف وضعية روح الاجتماع الحاضر وما يولد من الشرور تحت ستار زخارف المدنية الحديثة المبينة على الرمم والعظام . ولما كان لا بد من التطور فان التاريخ سيمثل نفس الدور الذي مثله الانكلترا بالهند وستنقل حضارات الشعوب الحاضرة إلى غيرها ممن نهزأ منهم اليوم لحقارتها وهمجيتها لأن حب الحرية المطبوع بظواهر الحضارات سيكبر في نفوس الشعوب الضعيفة حتى يصير ضرورة طبيعية تدفعها إلى حيث تصبو إلى الحرية والمجد . انما هذه الحرية وهذا المجد لن يدوما عندها بل سينقلان إلى غيرها وذلك لأنهما وهمايان يظهران في زخرف المدينيات وعند حوزة هذه المدينيات من أمة ما تظهر الحقيقة لها فتحل وتسترخى ويكون من جراء هذا نزع المدينيات منها ولصقها بغيرها ممن كانت أحقر وأضعف منها . فالشعوب الأوروبية كانت فيما مر من الازمان في ظلام من الجهل دامس بينما كانت حضارات الشرق تضيء بنورها الساطع هذه الربوع المظلمة اليوم فبعد أن أطلع الاوروبيون على تلك الحضارات صبت نفوسهم اليها لتوهمهم أنها الحرية والمجد وكان الشرقيون قد عرفوا ما في الأمر من وهم . فازدروا بما عندهم وكان من جراء ذلك التوهم وهذا الازدراء ان انتقلت الحضارات إلى الغرب بعد أن نمت قليلاً في خلال المنازعات عليها وهامى اليوم قد طبعت في الظواهر بالغرب مع أنها في الأصل لم تزل غريبة عنه كما كانت غريبة عن الشرق لأنها ظاهرة حيوانية طبيعية تنمو خلال الحروب وتنقل من أمة إلى أخرى حسب وضعية الشعوب في الرقي والتدن .

فاذا قلت إن المدينيات ضرورة وان النظمات الاجتماعية ضرب من مظاهر القوة

التي لا تعرف الحق هذا اذا كان من معنى لكلمة الحق - فاني أقول الصحيح وسأبين في بحثي هذا المظالم التي تسود العالم من جراء هذه المدينيات وهذه النظمات التي يقدسها أكثر الناس اليوم .

أظهر مظاهر الاحياء - جماعاتها - وأظهر مظاهر هذه الجماعات قوانينها وتقاليدها ولكن مع أن الاجتماع ظاهرة ضرورية للاحياء اليوم لأن يفوز بها النوع على غيره والشعوب على بعضها - فانها نظام حيواني مبدؤه اضمحلال الفرد بروح الجماعة وتضحية الفرد لصالح الجماعة . وهذا من أشد المظالم أثراً ولكنه مقدس اذا بقينا كما نحن نسير على نظام حيواني ورثناه عن سلفنا وسنورثه لمن يخلفنا .

يقول البعض من علماء الاجتماع إن الجماعات تتخذ شكل الفرد . والفرد مظهر من مظاهر الطبيعة ولهذا فان الجماعات ظاهرة طبيعية لا يمكن تحويرها ؟؟ . ولكن قولهم هذا يشبه قول علماء الطبيعة بعد نيوتن الذين كانوا ينظرون إلى ناموس الجاذبية كحقيقة طبيعية راسخة مع أن إنشئين قد صور ذلك الناموس الوهمي وبين للعالم حقيقة طبيعية ثابتة كانت بمنزلة عن آراء العلماء - فالطبيعة التي يستشهدون بها لا توجد وجوداً ذاتياً أعني أنها لا تأمر بعمل هذا ولو كان مضراً ، وترك ذاك ولو كان نافعاً لأن الانسان هو طبيعة ذاته يحورها كما يريد ويبدلها كما يشاء بنسبة قدرته البدنية وقوته العقلية ورغبته في عمل هذا أو ذاك ! مثلاً الاديان لاحقيقة لها والآلهة التي يعبدها الناس لا توجد أبداً ولكن لو قلنا ان هذا المظهر طبيعي فلا تعني أن الطبيعة هي التي تأمر الناس بالعبادة لانهم هم الطبيعة وهم الذين يفعلون هذا أو ذاك وبحسب ما يفعلونه طبيعة . فاذا قلت ان الجماعات مظهر طبيعي وان الناس هم طبيعة الجماعات فاعني اننا نقدر أن نحور هذه الجماعات حسب ارادتنا ورغبتنا المؤسستين على المنفعة الفردية المحسوسة القرية ، التي منها تتحور الجماعات وتبدل هذه المدينيات المبنية على جثث الناس والضحايا البريئة .

وقد تشبه هذه المدينيات جماعات من الناس تتنازع على حوض ماء لا ينبع له . فهذا النزاع قد لا ينتهي وانما هذا الحوض قد يجف من تبخر مائه بحرارة الشمس القوية . فهل يجب أن يدوم النزاع بعد أن يجف ماء الحوض أم ان يذهب كل فريق

في سبيله بعدان ينتفى السبب الذي من أجله يتازعان؟؟ . وهذا المثل يفسر بقولنا .
ظن الناس قديما ان الفرد عدو الفرد وان الجهاد في سبيل تأييد مبدأ أو رأى موحى
به من الله يكسب الانسان أجرا يناله في السماء بعد موته . وهذا الظن قد انتقل الى
الجماعات وما هو اليوم يظهر في الشعوب الشرقية والغربية على السواء فهل يجب أن
ندوم السير بحسب موحيات هذا الظن بعد ان عرفنا فساد وان الانسان ليس عدوا
للانسان وان آراء الآلهة ليست سوى خرافات وأوهام أم نبدل وجهة سيرنا وتتخذ
قاعدة أخرى تنفق ومقدرتنا العقلية ورغبتنا الصادقة المؤسسة على منفعة الفرد المحسوسة
وزيالة الراحة والسلام والطمأنينة .

إن المدينيات التي تستغويننا ونرى فيها كل الحرية والمجد ليست سوى سرايا لا
يتحققه الا الذي يصل اليه . فالحضارات التي نمجدها تسلية صعبة للعالم ينزل في سبيلها
ملايين النفوس البريئة فاذا ما بقينا ننظر اليها كهدف أسما في الحياة سنبقى حيث نحن
تأوى بالسلام العالمي ولا نفقه له معنى فيجب أن نطرح حب زخارف هذه المدينيات
جانبا ونطبع ذراتنا على حب الأخوة الخالصة بعد الشعور بوجودنا الشخصي لان في
هذا وحده تؤثر في هذه العاصفة الهوجاء التي تقحم البشرية وتفتك بها فتكا ذريعا
تتشعر من حوله الابدان .

ربما يعترض البعض من أن صيرورتنا غنما في وسط ذئاب العالم لا يفيدنا ولا
يفيد العالم فبدلا من أن تتحمل العذاب ونموت ضحية النواميس الطبيعية يجب أن نكون
الاقوياء ويكون غيرنا تلك الضحية . . أن هذا الاعتراض له مقامه في نفوس المفكرين
بعد ان أظهر العلامة داروين حقيقة النشوء والارتقاء ويمكنني أن أقول إن ضرره
أكثر من نفعه لان يقظة الجماعات للحروب بعد معرفتها هذه الحقيقة قد زادت ومن
جرا ذلك الازدياد قويت هذه المدينيات وصار تحويرها صعبا .

اتنا مع استعدادنا لرد غارة الفاتزين وتضحية النفس في سبيل الحياة يجب أن نبشر
بهذه الحقيقة لان انحاء الارض تكفى خمة أضعاف العالم والسعادة الموهومة
بعد الموت لاحقيقة لها والفرد حر في ذاته . هذا بعد أن يتحرر من نير الغواية والجهل
وسلطة الآراء الاجتماعية بواسطة تعليمه ليشر بوجود ذاته لا ان يخرج من نير

عبودية النظام الرأسمالي يصع عنه في بر عبودية النظام الشيوعي أو ان يترك التمسك
 الاعمى بوجود الآلهة و يتسك تمسكا أعمى بعدم وجودها . انما لا يجب السهو عن ان
 هذه المدينيات تعوق الرقي الفردي الذي بنشره لتسلطها على الافراد من ناحية الاقتصاديات
 أولا وروح الجماعات ثانيا واذا قلت الاقتصاديات وروح الجماعات فاني أعني أهم شيء
 ترتكز عليه هذه المدينيات فالانسان الذي يتمسك على المناهز بالحرية والمجد من
 وراء الحرب انما هو أجهل من أي جاهل . والناس الذين يسرون وراءه طوع اشارته
 انما هم حيوانات عجم لا تفكر ولا تفعل وقد يكون من وراء هذا الانسان النفع الموضعي
 لهؤلاء الناس وانما هذا النفع لا يفيد شيئا لان التاريخ سيمثل نفس الدور الذي مثله
 هؤلاء الناس في غيرهم وسيزع منهم هذا النفع الذي حازوه وسيرجعون الى ذات الطريقة
 التي بها كانوا قد انتفعوا وسيدفعون في المرات الثلاث مرة النفع ومرة نزع النفع منهم
 ومرة اعادة النفع الوفا لابل ملايين من النفوس البريئة ثمنا لوعدهم وعبادتهم .

ان قلبي يكاد ينفطر حزنا وغما على مصيرنا ونهايتنا في هذه المدينيات الظالمة الغاشمة
 لاننا سنضطر الى عمل ما يذهب بروق وجودنا السامي وسنجازي طغيان هذه العاطفة
 التي قد لا تنتهي اذا بقيت على حالها أبد الدهر .

ح . ا



إدمون روستان

Edmond Rostand

(محاضرة الأستاذ حسن صالح الجداوى المحامى)

(فى دار نقابة موظفى الحكومة بالاسكندرية مساء الاربعاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٨)

سأدنى ؛

لم أتخير عبثاً أن يكون أول حديث لى بالاسكندرية - مدينة العلم القديم والحديث -
عن إدمون روستان . وإنما دعانى إلى هذا لاختيار شيان :

الشيء الأول أنه فى مثل هذا الشهر لعشر سنين خلت مات إدمون روستان أكبر
شعراء فرنسا بعد فكتور هيجو : مات بعد أن تخطت شهرته القارات الخمس ، وبعد
أن نال صيتاً عالمياً لم يحظ بمثله حديثاً شاعر ومؤلف درامى غيره .

والشيء الثانى أن إدمون روستان من أبناء نगर مارسييا أكبر موانئ البحر
الايض المتوسط ، فمن حقه علينا أن نذكر اسمه فى الاسكندرية عروس هذا البحر

حياة الرجل : ولد إدمون روستان فى أول ابريل سنة ١٨٦٨ بمدينة مارسييا
شارع موتو ، فى صبيحة يوم من أيام الصيف اللذيذة بجنوب فرنسا التى هى أشبه بأيام
الربيع عندنا ؛ وبدأ دراسته بها وأتمها بباريس حيث التحق بكلية الحقوق ونال إجازتها
نشأ إدمون من عائلة متوسطة من عائلات فرنسا ، ليست بالارستوقراطية ولا هى
بالعاملة . ولكنها من العائلات التى تسهر على أبنائها . تحوطينهم براعايتها . وتشملهم
يقظتها . ولعل أصدق وصف لطفولته هى تلك الاديات التى قالها هو نفسه عن هيجو :
« أيتها الوديات .

« لكن عطفكن ممزوجاً بالاحترام

« ولتكن القبلات التى تضعها شفاهكن على جبين الطفل باحتراس وحذر

« ونتملاً الحنية صحككن

« ولترهبن من حنكن المستقبل هكذا فوق حجوركن

« ولتذكرن كلما أخذتن تلك الرموس الصغيرة بين أيديكن

« وتحاولن أن تقرأن ما في العيون البريئة من أسرار:

« انكن قد تكن ممسكات عالماً بين أيديكن » :

ويقابلها نظماً :

أيها الوالدات بالروع مازج ن حناناً لكن نحو البنين

ولتحاذرن عند تقيل طفل باحتراس على الوسيم الجبين

ولتحاذرن عند لهو وفي حم لجلال (الآني) لكم في الحجور

وتذكرن كلما شاق أيدي كن عطف يضم رأس الصغير

في احتيال لفهم ما حجبته طاهرات العيون من أسرار

إنما تحتفظن ما بين أيدي كن بر لعالم جبار

ترعرع الطفل ونما . وما كاد يبلغ المدرسة الثانوية بباريس حتي أخذت الفكرة

الشاعرية عليه حواسه ونفسه . بدأ خياله يسمو ويسبح . فكان في نهاره كعامة

الطلاب وكان في مسائه يقبل على قراءة الشعراء إقبال النهم الذي لا يشبع وبدأ

يقرض الشعر في السر ، ولم تخل مواضيعه الانشائية من جرأة أقلقت بال مدرسه .

ولكن واحدا منهم شجعه وقواه . فقد كان هو أيضا ينظم الشعر ويفتن به وقد

ذكره روستان في شعره :

C' est toi qui m'as prèdit que pi serais artiste

Et c'est toi le premier rimeur que j'ai connu.

« أنت الذي توقعنت لي أتى سأصير فناناً

وأنت أول ناظم عرفت .

ويقابل ذلك نظماً :

أنت الذي قد شمت لي مستقبل الفنان

وكذاك أول ناظم كرمت في عرفاني

أما في كلية الحقوق فقد آثر روستان الوحدة معزلاً في غرفته بأحد منازل باريس المرتفعة، يكتب من حين لآخر ويفكر ويحلم في أغلب الأحيان، ويعتقد في سنة ١٨٨٠، في ذلك العهد الذي ملئ تكلفاً وجحوداً وكفراً — في حقيقة الجمال، وفي المثل الأعلى . وفي الخيال . وبأسف وسط ضباب باريس وبرودة هوائها وجوها القاتم على جمال مارسيليا وسهائها الصحو وسيبها المعتدل حيث يكون كما قال :

• لولا أنه أمل لكثيرين غيره

• أن يكون له مكاناً تحت شمس بلد

• لا شمس لها .

“Si je n'avais rêvé. le vieux rêve inutile

Atant d' autres pareil

De me faire une place au soleil d'une ville

qui n'a pas de soleil”

مما يقابله نظماً .

لولا رجائي كغيري أن أهبي إلى مكان شمس بأرض لا تضيء بها ولكنه ؛ رغم ذلك ، كان يعرف كيف يلتمس في باريس هذا الجمال الذي ينشده فكان ينتحي من غرفته مكاناً بأرضها بحيث يخفى عن عينه باريس العاملة بضبابها ودخانها ، ومصانعها ومدانها ؛ ولا يقع نظره إلا على جزء صاف من السماء ونجومها فكان بتلك الوسيلة يرى الجمال رغم اعتياده رؤية الدميم ويبقى - مع ما يحب - وسط ما يكره !!

أتم روستان دراسته الحقوق ولكن اتى لهذا الشاعر أن ينزل من سماء شعره الى أرضنا ليطالب بحق مفقود أو متازع فيه أو يستمع الى حديث قاتل شرير أو فاسق مكروه ؟ لا ! إن المهنة التي أشرف بالانتساب اليها وإب كان لها جانبها الشريف النبل . إلا أنها على كل حال مهنة من المهن الأرضية لا تروق في أعين الشعراء ولا ينزلون اليها ! لذلك لم يكد شاعرنا يعتقها حتى طلقها وتفرع للشعر والأدب والتثيل فظهر ديوانه الأول (الصالونيات Les Musardises) وهو بعد في الثانية والعشرين من عمره سنة ١٨٩٠ . وفي نفس ذلك العام روح من الآلة

Rosemond Gerard (روزموند جيرارد) وهي شاعرة أديبة ازدادت باتصالها اليومي بادموند ومبادلتها إياه حبها وروحها ونفسها صقلا وتمكنا من الأدب؛ حتى أنها — حين نشرت بعد عام لزواجهما ديوان شعرها — لم يدر النقاد أهذا شعر إدمون! ولكن أكثر رقة وجزالة من مألوفه، أم أنه شعر روزموند ولكن أكثر رجولة ومثانة من معتاد نظمها.

ولقد كان ديوان إدموند (الصالونيات Les Musardises) فتحاً جديداً في الادب الفرنسي، فعنه يقول أحد النقاد الفرنسيين أوجستان فيلون: « ليس هذا الكتاب أحد البراعم ولا زهرة، وإنما هو فاكهة ناضجة وليس هو أملاً وإنما هو نبوغ شعري محقق بلفظ جديد وجرأة عجيبة. ولقد دل هذا الديوان على أن روستان يعرف كيف يبسم كما يعرف كيف يبكي وكيف يحب؟ »

ولكن إدمون روستان ليس شاعراً فحسب. وإنما هو مؤلف درامي عرفته الصنف بأحد ممثلي ملعب فرنسا الأكبر La Comedie Française ققرأ له قطعة من شعره أعجبت به وهي « اللاهون Les Pierrots » فأطلع عليها المسبوجول كلاريس مدير الكوميدي فرانيز الذي قرأ القطعة وزكاها لدي مجلس الإدارة وقراها على أعضائه. ولكن في أثناء تلاوتها أبلغ الأعضاء خبر وفاة « تيودور دى يانجيل » فكان للحزن الذي شملهم أثره في تقديرهم للقطعة فرفضوها !! فكان هذا الرفض سبباً في أن يقدم روستان لهم روايته الخيالية Les Romanesques التي قبلت وانتظرت دورها عامين فمثلت في ٢١ مايو سنة ١٨٩٤ وعنها يقول جول كلاريس نفسه: « لم أر دهشة عظيمة كدهشة المتفرجين دهشة مزوجة بالاعجاب والسرور. وهم يصغون الى تلك الايات الجزلة الرقيقة، أشعار الحب الصادق البري بين خطيبين في الثامنة عشرة تحت ظلال الزيزفون. منظر حنان وشباب تحت ضوء القمر الوردى. وكانت سيلفت وكان برسينيه أشبه بطلين فارين من إحدى غابات شاكسبير. ويضيف كلاريس انه وقت ذلك شعر بأن فن التمثيل كان يجري في عروق ذلك الشاعر الشاب فقد كان يتولى بنفسه (أعني الشاعر) ارشاد الممثلين إلى الطريقة التي يريدون على

أن يلقوا بها أشعاره وكان يقرأ رواياته و يشخصها بنفس المهارة التي يستطيعها
مثل ماهر !

قلنا إن « الرومانسك » انتظرت دورها عامين ولكنهما لم يكونا عامي بظالة وكسل
لشاعرنا فقد كتب روستان في خلالها « الأميرة النائبة La Princesse Lointaine » .
وتعرف فيها بمثل فرنسا الأكبر كوكلان الاب Copuelin aîné الذي طلب إليه أن
يوافقه برواية يخرجها بنفسه فتحدث إليه الشاعر حينذاك بشخصية لازمته من وقت
قلده : سيرانو . وبينما كانت ساره برنار - سارة التي يقول عنها روستان انها وهي
تمثل أبطال شكسبير تكاد تشعر بشفتيه تلثان أطراف أناملها - هوم بدور الأميرة
النائبة ، كان روستان يكتب روايته الخالدة « سيرانو » بدأها في الخامس من ابريل سنة
١٨٩٥ وأتمها في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٧ ومثلت للمرة الاولى فلاقى نجاحا لم تعهد
مثله فرنسا من أيام روايات هوجو الاولى .

وأخذ الشاعر إثر ذلك يثبت كلما ساحت فرصة انه رجل التمثيل الدرامي بحق ،
فأعقب سيرانوا بالنسر الصغير سنة ١٩٠٠ وانتخب عضواً بالاكاديمية في ٣٠ مايو سنة
١٩٠١ ولكنه - لاعتلال صحته - ظل عامين يعد خطاب القبول فأتمه في يونية
سنة ١٩٠٣ وازدادت صحته اعتلالا حتى ان « شاتكلير » التي أتمها تقريرا في سنة ١٩٠٤
لم تمثل الا في سنة ١٩١٠ . ومن بعدها صمت روستان مكثفا بأيات من الشعر
يرسلها من حين لآخر ، ولكنه كان يعد عملاقا الا انه بعد موته لم يظهر لنا منه الا
« جولة المارسيليز الهوائية » ، « ليلة دون جوان الاخيرة » . وبذلك اختتم
روستان حياته .

هذا ملخص من حياة روستان - بل هذه حياته كلها - وهي كما ترون حياة بسيطة
هادئة - حياة رجل عشق الجمال وأحبه وتخصص للشعر والتمثيل بكلياته وجزئياته . لم
تخللها حوادث خارقة . فلا أحزان هوجو ونفيه وثوارته ولا حب موسيه وغيرته
وحوادثه الغرامية ولا ثراء لامرتين وفقره وسيطرته حينا وبؤسه أحيانا . لا لاشئ ،

من كل هذا وانما هو رجل عاش من الشعر وللشعر. ولد شاعراً ومات شاعراً وستبقى ذكره كاسلس وأرق شاعر عرفه الأدب الفرنسي .

رجل شمله القدر برعايته وكانما قد قال له : ستصير مشهوراً معروفاً في أنحاء العالم أجمع قبل ان تبلغ الثلاثين وستنخطي عتبة الاكاديمية وانت في الخامسة والثلاثين حيناً لا يدخلها سواك الا في الستين . وستنال نصراً يتلوه نصر وحتى بعد موتك ستخلد ذكراك .

أجل : حتى بعد موته ! فما نحن بعد موته بعشر سنين ، ومع ذلك فروايات رOSTAN مطمح أنظار الممثلين يتسابقون إلى إخراجها أكثر من تسابقهم إلى إخراج روايات الكتاب الأجاء رغم ما لهم من نفوذ وسيطرة ؛ ويحرص النقاد على إتقان تمثيل كل دور من أدوارها حرصهم على نخر قومي يأبون أن يزول أو ينتقص .

ولقد أذكر حديثاً وقع لي في العام الماضي حين كان عيد الكتاب الفرنسيين المسرحيين - وأعني به بير وولف - يلقي محاضراته بفندق هليوبوليس بالاس بالقاهرة . فلقد كانت الممثلة الفرنسية النابغة وجان بروفو ، في رحلة بمصر وقامت بتمثيل « النسر الصغير » في نفس الوقت الذي أخرجها مسرح رميس : ومثلت الدور مثلثا المصرية العاصمية وفاطمة رشدي . ولا أخفي عنكم أنني - وقد شهدت التمثيلين - لم أكن لأذهب مذهب المجلات المصرية العديدة في إثارة الممثلة المصرية . ولم أجد حرجاً في أن أصارح برأيي هذا . بير وولف ، وأبدي له إعجابي بجان بروفو ؛ لأنني من الذين يرون أن الفن كالعلم لا وطن ولا جنسية له . أتدرون ماذا قال لي بير وولف وهو العليم بكل ما يتصل بالتمثيل والممثلين ؟ قال لي إن تلك التي أعجب بها لا تجرأ على القيام بدور النسر الصغير على مسرح « باريس »

من ذلك يمكنكم أن تقدروا إلى أي حد تصل رغبة القوم في أن يروا أدوار رOSTAN منقنة التمثيل والإخراج

مؤلفاته -

والآن - وبعد أن تكلمنا عن حياة الرجل - أريد أن أذكر شيئاً عن مؤلفاته :
عندى أن روستان هو الشاعر كما يجب أن يكون الشاعر ليس الرجل الذي يحس
فيترجم إحساسه أصدق ترجمة لا غير ؛ وإنما الرجل الذي يحس ويريد غيره على
أن يحس إحساسه . الرجل المؤدب الذي يبت في قومه أصدق العواطف والعزة
والشهادة . الرجل الذي يأخذ يد أبناء وطنه فيرفعهم الى ذروة المجد ؛ ويشيد بفضل
قومه فيزيدهم احساساً بعظمتهم وتقديرهم لانفسهم وشعوراً بشخصيتهم ويلهمهم حب
الانسانية ومثلها الاعلى . لذلك كنت دائماً من هذه الناحية أميل الى حافظ أكثر من
ميلي الى شوقي . وإذا قلت لكم إنني لذلك كنت أجدلته ونفراً في أن أنشر أشعار
صديقي زكي أبي شادي لم آت لكم بشيء جديد .

ولقد كنا في أيام التلذذة نحمل كتب روستان في جيوبنا ، نلونها في الخلوات
بصوت مرتفع ، ونحفظ الكثير من آياتها عن ظهر قلب ؛ وكنا نقرأ راسين
وكورنيل ونعجب بهما إعجاباً رسمياً أو شبه رسمياً - كما يقول السياسيون - ولكننا
كنا نعجب ونحب ونعشق روستان عشقاً . . . كنا نقرأ ديرانو ، فنرى فيه المثل
الاعلى للتضحية والفخار والحب الشريف الكريم ؛ والصدقة النزيهة ومحاربة الرياء
والكذب . وكانت كل هذه العواطف تلهب صدورنا وتملأونا غيرة وإحساساً
فكان كل منا يشعر بأنه ديرانو ، آخر ، ولا شك عندى أننا إذا كنا اليوم رغم
عالم الماديات الذي يغمرنا بجيوشه - لا نزال نشرب عواطف رقيقة وميول شريفة فأننا
مدينون بالجزء الأكبر من ذلك الى روستان وأنداده .

وانى لا قول لكم عن نفسى إننى لم أعجب في أيام تليق ولا ازال على رأي هذا حتى
اليوم بقطعة من الشعر الحماسى إعجابى بهذا الرد البديع ليرانو يصف به وجوه من
اتهموه بالادعاء والكبرياء :

« وماذا تريدوننى أن أصنع

« تريدون أن أبحث عن سند قوى عن سيد يحببى

« كالطحلب الحقيق الذى يتملق السنديانة ويتخذ منها ولية

و يتسلق بالحيلة بدلاً من ان يرتفع بالقوة ؟ لا : شكراً

• أم تر يدوتني أن أهدي شعري — كما يفعل غيري — للبوسرين أم أن أصبح
نديماً — يدفعني الأمل الذي — الى أن أسعى لأرى — على شفتي وزير — ابتسامة
ليست صفراء لا ! شكراً !

• أم أن أتغذى كل يوم بضفدعة وأن يتعب السير معدني وأن تكون لي بشرة
سرعان ما تتسخ عند موضع الركبتين من أثر السجود وأن أدرس فن الانحناء
والتعظيم لا ! شكراً !

• أم أن ألاعب الشاة يد وأروى الزرع بالأخرى وأن أوزع بخور ثنائي
كل يوم على شخص لا : شكراً

• أم أن أنشر شعري : يدفع ثمنه لا : شكراً

• أم أن أدع الغافلين يرشحوني : باباء في حاناتهم لا : شكراً

• أم أن أسعى لأبني لنفسي مجداً حول قصيدة بدلا من أن أظلم غيرها لا : شكراً

• أم أن أخشى النقاد والصحف والناس لا : شكراً

• أم أن أخطأ لخطواتي ، وأرتعب ، وأفضل الرجاء والزيارات على نظم الشعر

لا : شكراً : ثم شكراً : ثم شكراً

• ولكن ... أغني : وأتخيل : وأضحك وأسير وأكون وحدي حرا
طليقاً ؛ وأن تكون لي العين التي تحقق ، والصوت الذي يرعد : وأن أضع تبعي
وقتها أشاء. كيفما أحب وأن أبارز للقطعة ، لا ، أو ، نعم ، وأن أقرض الشعر
وأعمل غير ناظر لمجد أو ثروة وأن أفكر إن شئت في سياحة للقمر وأن لا أخطئ شيئاً الا
من بنات أفكارى وأن أقول لنفسي في تواضع : أيتها النفس كوني راضية عن الازهار
وعن الفواكه وحتى عن الاوراق مادمت تقتطفينها من بستانك ، فاذا ما فزت يوماً
— بطريق الصدقة — لا أكون مديناً بفوزي لأحد بل أحفظ لنفسي بالفضل كله
وبالجملة لا أكون الطحلب الطفيل وإن لم أكن السديانة الباسقة فقد لا أرتفع عالياً
ولكنني أرتفع بجدي ، .

وقد نقل هذه القصيدة نقلاً حرفياً إلى العربية في شعر مرسل (Blank Verse)
 صديق الدكتور أبو شادي بهذا النظم كما نظم المقطوعات التي أشرت إليها سابقاً والتي
 سأذكرها بعد والنظم المرسل هو خير أساليب الشعر الدرامي وأقربها إلى طبيعة التمثيل
 وأبعدها عن تكلف القنعة . وهذا الضرب من النظم يكاد يكون معدوماً في الشعر
 العربي . قال :

وماذا تريدوتني صانعا أأبحث عن سند لاحتياي
 أرضي التملق كالطحلب تعلق في كنف السندانة
 وشاء التسلق في حيلة وعاف ارتفاعا على قوته
 أهنا تريدون لا ألف شكر . . . أم القصد أن أحتفي بالغنى
 وأهدي نظمي إلى الموسرين كما هي عادة غيري بشعره
 أم القصد أن أغتدي كالنديم فيدفعني الأمل السافل
 وأسعى لاحتلي ببسمة عطف خلت من دهاء بثر الوزير

لا. لا. ثم شكراً

أم القصد أن أتغنى سقياً بضغدة كل يوم وأشكو
 وأفند من بشرتي في سجودي دواماً على ركبتي أنصاعاً

فلا ثم شكراً

أم القصد أني يميني ألعب والشاة حين يسراي أزرع
 وإنني أوزع في كل يوم بخور الثناء لشخص جديد

فلا ثم شكراً

أم القصد نشر نظمي ودفعي لذلك سعراً فلا ثم شكراً
 أم القصد أن أدع الغافلين ير وموتني باب ، حاناتهم

فلا ثم شكراً

أم القصد ببيان مجد نفسي حول نظم قديم لسولا

فلا ثم شكراً

أم الخوف من عنت الناقدين ومن صحف في غلو ونس

فلا ثم شكرا

أم الحذر المتاهى بمظوي وإيثار خالق على نظم شعري

فلا ثم شكرا . وشكرا . وشكرا

ولكن أغنى وأسمو خيالا وأصفو وأضحك وحدى طليقا

وأن تغتدى لي عين البصير وصوت هو الرعد عند احتياجي

واني متى شئت زينت رأسي بقبعتي كيف كنت أهوى

واني أبارز لما أشاء للفضة ، لا ، أو لقولي ، نعم ،

وأن أقرض الشعر أعمل لا أفكر في ثروة أو جلال

واني أفكر إن شئت في علو إلى سفر للقمر

وأن لا أخط سوى ما حبه نبات لفكري ولبي ونقي

واني أقول وكلني اتضاع : ، أيا نفس كوني بزهر قريرة

وكوني كذا بالثمار وحتى بأوراق بستانك الناصر

متى كان ملكك ، حتى إذا ما منجحت فليست مدينا لغيري

ولكن أكون مدينا لنفسي ومحفظاً بامتاني لها .

وجملة حالي أني لا أكون شبيه النبات الطفيلي

وإن لم أكن تلکم السديانة في مظهر البذخ الباسق

وإن لم أرتفع عاليا غير أني أرقى بجدي عزيزا كريما

هذا هور وستان مؤدب الشيبة ومربيا بتأثير أشعاره السحرية المملوءة حقائق

وتعاليم تدخل الأذن غير متظرة لأذن

وهو لم يكتب قط إلا للذة الكتابة وحدها وجبا في الشعر لذاته واضعا فيه بدايته

ونهايته فقد أبي دائما أن يضحك الجمهور ويسعى لاكتساب هتافه ولكنه رغب

دائما في أن تكون أسناره بزورا وجبوا تبذر في النفوس فتنبت نباتا طيا . وانك

لن تجد رواية من رواياته لا تستطيع أن تستخرج منها دروسا في الادب والخلق

الحسن .

وعندى أنه يجب أن يستظهر الشبان مجموعة من أشعار رويستان لتكون عوناً لهم على تقوية العواطف الكريمة في نفوسهم. وإن الشبية التي تعشق الجمال لتذكر دائماً قول رويستان لها :

كونوا عوناً للجمال . كونوا ضد الجموع .

، اذكروا دائماً كلما أظلم الزمن

أن أنوار المثل الأعلى ساطعة باهرة

عما يقابله نظماً :

كونوا معباً للجمال . لولا تكونوا للجموع

ولتذكروا يوماً إذا . ما أظلم الزمن المربع

أن المثل المشرق . على ليهر في السطوع

ولعل روايته (الاميرة النائبة) أبدع قصيدة رتل الحب الطاهر العذرى

وليس فضل رويستان في نجاحه هذا لاغير. وإنما في جرأته التي جعلته في أواخر القرن التاسع عشر - وجمهور الكتاب والقراء في فرنسا ينتصرون للذهب الطيعي ولا يأتقون من التحدث عن الحقائق عارية مرة ويدعون الأشياء باسمائها - أقول من مآثره تلك الجرأة التي جعلته يتقدم اليهم بنشيد من الحب الخالص السماوي فيكتب الجمهور لصفه وينتصر للجمال والخيال فينتصروا على يديه .

سفينه تتقاذفها الامواج . وبحارة يمزقو الملابس عراة الاجسام جلودهم مقروحة وبطونهم خاوية وقواهم خائرة وهم مع ذلك يقاومون الامواج وبجالدونها كالجبابرة الأبطال . ولم كل هذا ؟ أتراهم يسعون لثروة أوجاه ؟ كلا . وإنما سندهم في هذا الصراع فكرة بسيطة : إنهم يحملون جفروا رودل، وجهه العميق . جفروا رودل الذي أحب ، الاميرة النائبة ، من غير أن يراها أو يقع بصره على صورتها وإنما سمع شاعراً يعدد محاسنها فقام بها حباً وسعى إليها وقد يما قال شاعر العرب بشار :

، والأذن تعشق قبل العين أحياناً ،

ولقد بلغت عظمة هذا الحب ان هذه المجموعة من البحارة - وكلهم قرصان وقطاعو طرق - أحست بعظمة هذا الحب فلبت أحقادها ودفنت مطامعها وأدركت

ان المثل الاعلى يستحق التضحية فرغبت فيها ولم تبخل عليه بها ، ونبضت قلوبها مع قلب العاشق وأبوا الا أن يبلغوه حبيته أو يغمرهم اليم .

وهذا جفورا روده الذي أضناه المرض وأنهك قواه يسعى الى حبيته باثنا قانطا موقنا انه سيموت من غير أن يستمتع بها ولكنه يأبى الا أن يراها : وحتى اذا نام نومه الاخيرة رآها في حلمه ، فان لم يصل اليها : فليمت وهو يلفظ اسمها .

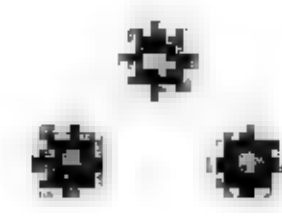
والاميرة نفسها (وقد وصل الى سمعها حب جفورا) قد أحبتة وان لم تره لايهما إن كان وسيم الطلعة ام دميما . إنها مدينة للشاعر الذي بوصفه محاسنها قد خلق في قلب عاشقها ذلك الحب مدينة له بشعورها بالعظمة والقلق وميول قلبها وحبا للشفق .

للشفق الباكي وبروحها نوعا ما

وحتى بعد أن يجتمع العاشقان لا يفقد حبهما شيئا من روحانيته ولا تدنس المادة طهارته فلا يكاد جفورا يجتمع بالاميرة حتى يقضى نحيبه بين ذراعيها

فاتم ترون إذا ان الحب عند رويستان ليس الا ذلك الحلم البديع الذي يحرك النفوس ويلهب القلوب . كله بساطة وحقيقة ينمو وسط الاخلاص ويتم بالتضحية ونسيان النفس . <http://ArchiyeBeta.Sakhril.com>

وانك لتقرأ رويستان من أوله الى آخره فلا تجد عنده إلا كما قال عنه أحد الكتاب غداة وفاته : وإنه لم ينشد قط الا للنفوس العالية . حساس للغاية . سريع التأثر . حتى في المسرات والشهوات . لذلك ظل شعره طاهرا نزيها ملائكيا في كل لفظ من الفاظه .



ولم يكتف رويستان بأن يكون من بين الشعراء الفرنسيين معاصريه أصقلهم لفظا وأجزلهم عبارة وأقواهم خيالا وانما كان له في كل ناحية من نواحي الشاعر فتح جديد . فلقد قرأت له وصف القبلية والدموع والضحك فوجدت أوصافا جديدة اخترعها اختراعا لا أظن ان شاعرا غيره سبقه الى مثلها أو اجترأ على قول نظائرها . وكلكم تعرفون وصف القبلية في سيرانو . وما كم وصفه للضحك وهي من أوائل شعره في

سن العشرين :

لقد قال لي الخالق يوم أوجدني : كن ضحوكا

وأظني في القبر لن أمتع عن الضحك
 لا فاني لأنظم من ضحكاتي قصيدة عامرة رنانة
 واني - ولا ثخر - أتفن الضحك إتقاناً
 إتني شاعر - والضحك سبيل للغناء
 واني لأجعل لضحكاتي أوزانا ورويا
 أصف بها الاشياء الجميلة وكثيرة ماهي :
 السماء وأفقك والورد .

وحتي صمتي - حين لا اظهر ضاحكا - ليس الا ضحكا باطنيا
 إتني أضحك الضحكات كلها ضحكة الطفل ضحكة المجنون
 ضحكة الحيوان الحر - كل الضحكات أضحكها . . . الا الصفراء
 وأحسن بنفسى اكثر خفة واحسن حالا كلما ضحكت
 فتني أحب أضحك ومتني أعجب أضحك

وكما أراك لا أستطيع عن الضحك امتناعا
 وهذا ما يقابلها نظما بشعر مرسل :
 قال لي الرب حين خلقتني : كن أنت ضحوكا . وسوف أبقى ضحوكا

ما أظن القبر سوف ينهاني عن أن أدوم في حال صفوي :
 لا . فاني لأنظم الشعر من ضحكي وأنسى قصيدة رنانة
 وأراني - ولا افتخار - مجيدا ذلك الضحك ، متقنا إتقاناً
 وأنا شاعر وما الضحك الا منهجي للغناء والانشاد
 وانا الواضع القوافي أوزانا لما صغته من الضحكات
 وبها وصفى الجمال بشئ صور منه وهي جد كثيرة :

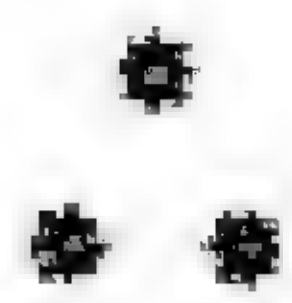
في سماء ووصف أفك والورد وحتي في الصمت حينما لست أضحك
 إنما الصمت هو عندي كالضحك بل الضحك في مدى بطني
 إتني أضحك الجميع من الضحكات : فعندي للطفل أجمل ضحكة
 وكذا ضحكة المجنون وضحك الحيوان طليقا وكل ضحك سليم

غير ضحك الصفراء ثم أرائني بشعوري أخف روحا وأصفى
ولهذا ضحكت عند شعوري بغرام وعند حسي بزهو
ولهذا متى رأيتك لم أقو على الامتناع عن فرط ضحكي
ويضيق بي الوقت عن أن أحدثكم عن باقي روايات روستان ومؤلفاته
ويكفي أن أقول لكم إن أعماله مجموعة قيمة ، نادرة المثال ينطبق عليها حقا وصف
حافظ إبراهيم لادب صروف :
فاللفظ فيه مقوم بصحيفة والسطر فيه مقوم بكتاب

سادتي : لقد أخذت الكثير من وقتكم : ولكن نفسي لا تطاوعني أن أختم
الحديث عن روستان دون أن أنلو عليكم ترجمة قصيدة من قصائده الغزلية أسماها
، الاقواس ، أو الذكرى الغامضة لانه - قد نسي ما كان - يتخيل دائما أن كل ما أحاط
بحبيته كان جميلا بديعا على حد قولي هني She walks inbcanty : إنها تسير في ثايات
الجمال . او كما قال الاستاذ الجليل الدكتور طه حسين : « هي فتنة متحركة » . اما روستان
فقد قال :

لقد كنا ذلك المساء تحت سديانة باسقة
(سدياته ربما لم تلك الاشجيرة الزيزفون)
و كنت - حبا في ان اجثو عند ركبتيك على الارض -
قد تركت كرسي الهزاز يتموج وحده
و كنت شقراء كالصور المنشورة في المجلات
و كان كرسيك يهز بك كالزورق في الماء
و كان يغني فوق الشجرة بلبل
(بلبل ربما لم يك الا عصفورا)
و كانت تبلغ آذانا نغمات موسيقية نائية
(نغمات ربما لم تلك الا ضجيجا)
و كان فرع الشجرة الاخضر المتدلى نحونا يعصف به الهواء

أشبه بعازف يلعب على قيثارة .
 وكانت السماء كلها كصفحة حمراء
 وكنا ندمع على بعد خيال أشجار يهتز على لجين بحيرة
 (بحيرة ربما لم تكن إلا مستقماً)
 وبينما الأمل يبسط جناحيه
 (أمل ربما لم يكن إلا رغبة)
 كانت ملايك تلمس خدي
 وأصبعي تحاول أن تمسكها .
 وكنت أحاول أن أتبين عدد ثنانياً ردائك
 وكنا وقد أذهلنا الحب — تبادل أحاديث
 (أحاديث ربما لم تكن إلا كلاماً) !
 وصعدت على ملايك حشرة سوداء
 كبقعة الخبز على الصحيفة البيضاء
 ورعى الخوف بك بين ذراعي
 (خوف ربما لم يكن إلا وسيلة) !
 وأفضنا بأسرارنا في الظلام
 وخيل إلى أنني أرى بعينيك الحائيتين الحائرتين
 روحاً عميقة دقيقة الاحساس
 (روحاً ربما لم تكن إلا نظرة) !



وهذه ترجمتها النظمية :

كنا بذلك الماء تظلمنا سديانه
 (وربما هي كانت شجيرة الزيزفون) !
 وكنت من فرط حبي الدنو من ركبتك
 أجشوا وأترك كرسي يمج مله اهتزاز

و كنتشقراء كالصورة تختار زينه صحف
 وكان يهتز كرسيك مثل هزة زورق
 وكان سحراً يغنى على الشجيرة بلبل
 (وربما لم يكن ذا إلا مغن حقير) !
 وكان يبلغ أذنيننا صوت بعيد غنائى

(وربما لم يكن ذا إلا ضجيج ثقيل) !
 وقد كان ذلك الغصن الذى تدلى إلينا
 فى وسط عصف الهواء كعازف القيثارة
 أما السماء فكانت كصفحة حمراء

وكان فى البعد يد وخيال أشجار هزت
 على لجين البحيرة،

(وربما هى فى الحقيقة مستنقع) !
 وحين كان جناحا الرجاء يمتدان
 (وربما كان هذا الرجاء أبسط رغبة)

كانت ثيابك هذى باللفظ تلس خدى
 وأنملأتى افتاناً قد حاولت مسكها
 وكم تحايلت حتى أدرى ثايا ثيابك
 وكان والحب يقضى على النوى بالنحول
 لنا حديث مبادل

(وربما كان هذا الحديث لفظاً يسيراً)
 ثم اعتلت فوق ملبوسك حشرة سوداء
 كانت كبقعة حبر بصفحة يضاء

فلنت بين ذراعى وقد رمى بك خوف
 (وربما كان هذا فى الحق محض وسيلة) !

وفي الظلام أفضنا بسرنا دون حد
و كنت ألمح روحاً عميقة حساسة
في نور عينيك هاتين بحيرة وبعطف
(وربما هذه الروح لم تكن غير نظره) !

*
* *

هنا تنتهي خطبتي عن روستان ؛ ولا بد أن نستخلص في كلمة وجيزة من حديث
روستان شيئاً يختص بالأدب المصري الحديث وكيف هو الآن ؛ وكيف يجب
أن يكون :

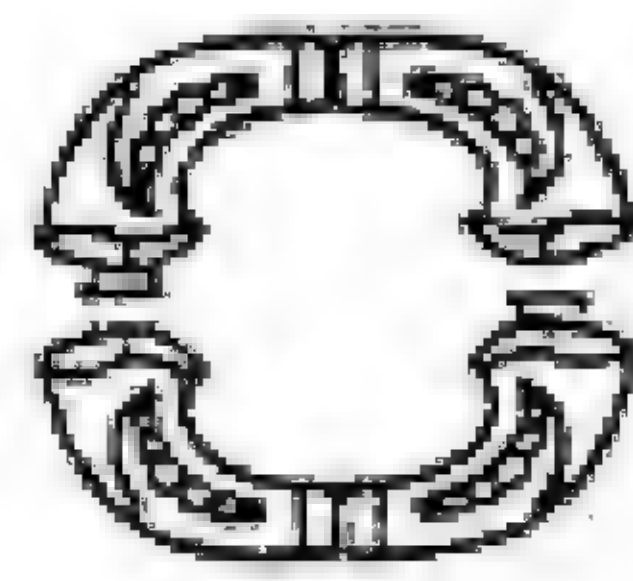
لقد رأيتم معي كيف أن روستان قد رفض عنه رداء التقاليد ؛ وكيف أنه لم يتأثر
بمبول الجمهور في عهده ؛ وكيف أوجد الشعر الطاهر الروحاني في وسط كله إلحاد
وماديات . فهل يخلق بنا نحن ، في هذا الزمن ، أن نقضي على قواعد

طال عليها القدم . فهي وجود عدم ؟

أما الآن لنا أن نرفع الأكفان التي نسجتها عادات قديمة ؛ وحاكتها أيد عاطلة . . .
لقد خرج الكثير من الأدباء على هذه المبادئ العتيقة ؛ ولكنه - في نظري - خرج
وسط وأنا في هذا التيار أحب المتطرفين . إنهم يطلقون القصيد أو اللفظ حتى إذا
مات ألْب عليهم دعاة الرجعية الأدبية والجمود عمدوا إلى منون اللغة يبحثون فيها عن
استعمال يبرر جرأتهم ويخفف جرمتهم ، وقد يكون لهم العذر في ذلك فإن الجمهور
لا يزال مع الأسف يقيس الشاعر أو الأديب بمقدار اضطلاعهم بقواعد النحو والصرف
واللغة . أما أنا فرأيت ماقاله الأستاذ مخايل نعيمة صاحب (الغربال) :

« إن اللغة مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع إلا لقوانين الحياة فهي تنقى المناسب
وتحتفظ من المناسب بالانسب في كل حالة من حالاتها وكالشجرة تبذل أغصانها
اليابسة باغصان خضراء وأوراقها الميتة بأوراق حية . وحين لا يبقى لها في تربتها من
غذاء تموت بفروعها وجزورها ولو تجمهرت كل البشرية لما استطاعت إرجاع المياه
إلى . هكذا ماتت البابلية والآشورية والفينيقية والمصرية وكثير سواها . »

سادق: لنا متعتين ولا مبالغين حين نصرخ بكم وحذار ان تميموا لغتكم بأيديكم .
 فان أردتم لها الحياة التوية اكرهمة فاجروا ثم اجرؤوا . استعملوا ما استحسنتم من
 الجديد من الفاظ أو تعابير مهنبة مصتولة فسيأتي بعدكم من يتخير المناسب ثم يحتفظ
 من المناسب بالانطب . أما ان تتركوا العالم يتقدم ولغتنا واقفة في مكانها فذلك هو
 التقهقر بعينه . هكذا فعل إدمون رويستان وأقرانه العبقريون وهكذا يجب أن يفعل
 كل أديب نابه يعجب بهم .



اطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع اسماعيل الفلكي بالظاهر

كتاب

http://www.archive.org/details/...

الصحيفة

وروايات وأبحاث أخرى

تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر

نماذج الشعراء

ووحدة الحب

THE POETS' MODELS

سألت عن غزلي وعن إيماني
فلم أسأل وذاك صوتك شاهد
هل كان لي نزل سواك، وصورة
من رسم الزهر النضير منهفها
وأنا كذاك في نواك تغزلاً
كل الفوان ماملن لحاظي
عودي إذن إن أنت دنت لغيره
وإذا آيت فسأحي معبوده
وأنا الموحد في العبادة دائماً
مثل الجمال إذا خطرنا نظري
ما كان إشراكاً بحبك بل غدا
للفن أحكام إذا خالفها
قال المصور من نماذج فنه
والشاعر الرسام يحرم غالباً
ويسأل الشعراء عند سكونهم
وهم الذين يحاربون لحبهم
فتد لي ما شئت، لكن جاني

فما دعوت «نماذج الشعراء»
حقاً لي عرفانك المتراني ؟
إلا في تصويري الوضاء ؟
فبذهنه تفتح لروض نائي
وإن اتصت بغادة هيفاء
إلا مظاهر سحر المشاء
تعد المنى في الجنة الفيحاء !
نظري يبعد الشمس للأضواء !
وأراك يا أمني صباح مساء
مثلت فيهن الجمال ازائي
صوفية المتبذل المتناي
لم يحل لي شعري محلو بهاء
ما شاء في بعد عن الرقياء
مثلاً تعبر عن عزيز سناء
باسم الملاحه عن نظم وفاء
ما شاق في خلق وفي أشياء !
هجرى، أضع لك فرحتي وبكائي

وَيَصْرُ دَلَالِكَ رِقَّتِي وَرُؤَايِي
 فِي حَسِّ وَجْدَانِي وَفِي إِمْلَائِي
 يَقْطَعُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
 بِالشَّعْرِ فِي شَفِّ وَفِي اسْتِحْيَاءِ
 يَا سَا ، وَإِنْ هِيَ عُلَّتْ بِرَجَاءِ
 بَلْ كَانَ صَوْتُ النُّورِ لَا الظُّلُمَاءِ
 فِي خَالِي النِّمَاءِ . وَالْبَأْسَاءِ
 فَدَعِيَ الْهُوَى يَنْطِقُ بِكُلِّ جَلَاءِ
 لِلشَّعْرِ حِينَ سَمَاكَ خَيْرُ نَدَاءِ
 مِمَّا أَجَادَ بَفْتِهِ حَسَنُ أَدَاءِ
 مِنْ صَدَقِ الْحَاسِي بِلَا إِخْفَاءِ
 فِي الْفَنِّ وَالْحَرَمَانِ وَالْأَعْبَاءِ !
 عَنْ نَظْمِ شَعْرِ الْحُبِّ وَالنِّمَاءِ !
 كَصِنَاعَةِ النُّجَارِ وَالْبِنَاءِ !
 بِيَدِ الْغَيْنِ يَرُدُّ دُونَ ضِيَاءِ !

وَيَحُلُّ جَمَالَكَ حَسَنًا مَا أَنَاظِمُ
 هِيَّاتُ يَنْضَبُ لِي مَعِينُ صَبَابَةُ
 لَيْسَ الْعَذَابُ بِنَا يُنَبِّهُهُ مُهْجَةُ
 طَبَعَتْ عَلَى الْحُبِّ الصَّبِيحِ وَغُرْدَتْ
 خِيَّاتُهَا شَعْرَةً ، وَإِنْ هِيَ صَاحِبَتْ
 مَا كَانَتْ الْأَحْدَاثُ مَعَتْ شِدْوَهَا
 شَعْرُ التَّحْرِقِ لَيْسَ غَيْرَ رَجَاءِهَا
 غَنِيَتْ سَجِيَّتَهَا بِأَخَازِ الْهُوَى
 هِيَّاتُ تَجْدِيهِ فِرَاقُكَ بَاعِثًا
 لَا تَسْقِيهِ بِطُولِ بَعْدِكَ ، إِنَّهُ
 هَذَا شُعُورُ لَا أَفَاسُ بِفِيهِ
 وَعَلَى فَرَضٍ مُدَافِعٍ عَنْ رِفْقَتِي
 حَرَمُوا النَّمَاذِجَ ثُمَّ لَيْمَ عَزُوفِهِمْ
 وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَّمُوا لِحَاءَ صِنَاعَةِ
 لِأَخِيرَ فِي تَقْشِرِ الْحَيَاةِ بَرِيْشَةٍ

تَحْدِيثُهَا عَنْ سِيرَةِ الشُّهَدَاءِ
 فِي خُدَّهَا ، وَلَوْعَدَهَا بِلِقَائِي
 فَتَعَالَ نَبِیْحُ فَتَنَةِ الشُّعْرَاءِ !
 أَبُو شَادِي

فَتَبَسَّمَتْ وَتَنَهَّدَتْ وَدَعَتْ إِلَى
 فَسَأَلَتْ : مَنْ هُمْ ؟ وَارْتَبَكَتْ لَوْرَدَةٍ
 قَالَتْ : أَظُنُّكَ قَدْ نَسِيتَ حَقُوقَهُمْ !

نظرة نقدية

حد الامكان

لعل أشد ما يكثد طريق العلم ؛ ويقف حاجزا متيعا بين الحقيقة وانكشافها فيعطل السير الطبيعي للمعرفة ، ويؤخر الانسانية عن التقدم في سبيل كشف المجاهل المحيطة بجميع دقائق الكون ، انما هو حصر الامكان في دائرة محدودة قوامها المعارف المتفق عليها : سواء أكانت إلى الحقائق العلية أقرب أم بالأوهام أمس واملك ، بحيث يعتبر كل خروج عن هذه الدائرة عبثا محصنا وضلالا كبيرا

ولقد مر العلم في جميع أدواره بهذه العقبة الكؤود : ولأقرب رجاله من العامة بل ومن زملائهم ممن لا يقلون عنهم في المكانة العلية ، أشد ما يلقاه العالم من الجاهل والحق من الباطل : فنذ العهد الأول للتفكير العلمي ، ومنذ بدأ فريق من الناس ينظرون بأدمغتهم إلى حركة الشمس والأرض ، ويجهزون على القول بأن الثانية هي التي تدور حول الأولى إلى أيامنا هذه لم تمر نظرية من النظريات العلية : أو استكشاف مجهول من المجاهيل الكونية أو قوة من القوي الخفية بدون أن تصدم : لأول وهلة ، بأنها خارجة عن حدود الممكنات ، وكل ما كان كذلك لا يمكن قبوله ولا بحثه بحال من الأحوال . ولولا أن الحقيقة تحمل بين جنبيها جرائم بقايا والعناصر التي تكفل لها مقاومة كل ما يعترضها من عنت وانكار لما كان العلم حتى اليوم إلا بمجموعة رثة من الأوهام والأضاليل لاسيما وأن علنا ان هذه المعارضة لم تكن تقتصر على العامة واشباه العامة فقط بل كانت تعداهم إلى بعض العقول الكبيرة أمثال افلاطون وارخميدس وبطليموس أيام ان قالت مدرسة فيثاغورس بدورة الأرض حول الشمس . ويحدثنا أيضا الاستاذ كاميل فليريون عن رجال كانوا يعتبرون من أئمة العلم في عصرهم لم يرفعهم الخلق العلي عن أن يمثلوا أدوارا من هذا الجحود . ويكفي أن نذكر أن أحد هؤلاء كان ينكر حقيقة الفونوغراف ويصرح على رؤوس الاشهاد من أعضاء المجمع

العلی الفرنسي انه درس هذه المسألة درساً مدققاً ستة أشهر وانه يرى أن المسألة مسألة تدليس وانه لا يعقل ان المعدن يستطيع محاكاة الجهاز الانساني الشريف وان عالماً آخر من كبار المستكشفين انبرى للافواز به بخطئه فيما ذهب اليه من القول بعدم عنصرية الماء والهواء والنار والتراب ويقول في ذلك : ليس من المحتمل أن توضع هذه العناصر التي عرفت منذ ألفى سنة بانها بسيطة في عداد الاجسام المركبة ، وليس من المحتمل أيضاً أن تكون حقيقة تلك الوسائل التي تقدم لنا لتحليل الهواء والماء

فحتى في أنصح أذوار العلم وفي اكبر العقول التي أعطيت مقاليد السموات والأرض لتظهر لنا عيونها وتكشف لنا عن أسرارها لم يستطع التحرر من قيد حصر الامكان ولم يقدر أسلوب البحث العلی على الافلات من تأثير بعض المعارف المتفق عليها

وانها لظاهرة جليلة وخطرة من تاريخ العلم لا يصح أن نفعل عنها ، خصوصاً ونحن نجهد أنفسنا في تمكين الأسلوب العقلي من النفوس ونسعى السعي كله في تربية العقول الناشئة عن التحرر من جميع التقاليد الموروثة وان دراستها خير ما يربى العقول على الأدب العلی و يجعلها متحفظة في قبول أو نفي ما يرد عليها من الآراء

فاني أحسب انه ليس اكثر سذاجة . بعد أن نرى أي حقائق اليوم الملموسة والبدائنه التي لا يمكن النزاع فيها كانت محل شك بل انكار من بعض أئمة العلم — أقول ليس اكثر سذاجة من الادعاء بأن رأيا من الآراء لا يمكن أن يكون حقا . ولماذا ؟ لأنه يتعارض مع كيت وكيت من الحقائق العلية أو يتناقض مع ناموس كذا من النواميس الطبيعية والاستناد إلى النواميس الطبيعية وجه جديد من وجوه حصر الامكان . وليت شعري أيمكن ان تكون تلك النواميس جامدة ثابتة لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وهي ليست الا قواعد وضعها رجال العلم بناء على المشاهدات الكونية وما استنبطوه لها من العلل الأولية . وما الذي يمنع ان يكون بتلك النواميس نقصا أو انحرافا أو قصورا يظهره لنا البحث ، والنظر المجردان . ليس ثمت ما يمنع ذلك كما اعتقد اذن أبحق لها ان تحول بيتنا وبين الحقيقة . ولنا نجم مطلقا انها هي الحق المطلق

فالثقة المطلقة بالنظريات العلمية أو النواميس الطبيعية أو الاوهام الفطرية أو العقائد الدينية ؛ كل ذلك سواء اذا اعتبرنا أنه يؤدي الى نتيجة واحدة وهي حصر الامكان. وهذا يؤدي الى ما ذكرته آنفا وهو تعطيل السير الطبيعي للعرفة ، مع مراعاة القوة الجراثومية الموجودة في الحقيقة (النسية طبعا)

ان هذا القيد الثقيل الذي لم يفارق العلم في أى عصر من عصوره انما هو نتيجة الايمان الراسخ ؛ أيا كان هذا الايمان ، فهل من العدل أن لاندكره الاحيانا نذكر الاديان فنحمل عليها بكل ما فى قلوبنا من غيظ وحق وبكل ما فى نفوسنا من تقديس. للعلم وغيره على الاسلوب العقلي ، كأن الاديان هي كل ما هنالك من جناية على العلم صد عن سيله ، وكأنما هي المادة الوحيدة التي صيغ منها ذلك القيد الثقيل

شيئا من النصفة والعدل . أى فرق بين رجل من رجال الدين حارب مذهب دارون مثلا لأنه يناقض ما رسخ في نفسه من التعاليم التي تقضى بالخلق المستقل وبين كبير من رجال المجتمع العلمى الفرنسى انبرى لما استكشفه لافوازييه من تحليل الماء والهواء منكرأ أشد انكار أن هذه العناصر ، عرفت منذ ألفى سنة بأنها بسيطة ؟ كلاهما يستند الى عقيدة في نفسه ، فيضحى في سبيلها البحث والنظر ؛ وكلاهما يحارب في الواقع الترقى العلمى ، بل عندي أن مثل هذا الجهد العلمى أعظم خطراً وأكبر أثراً في سبيل العلم

أنا لا أقول يجب أن ترفع الثقة بالمقررات العلمية رفعا باتا ؛ فهذا بلا ريب خطأ كبير . ولكن الذى أقوله أنه لا يصح أن نكون كهانا وقساوسة في تمكنا هذه المقررات بحيث نضع كل ما سواها مما يتنافى أو يتعارض معها في دائرة المستحيلات . فانه من المسلم به أن جميع الحقائق التي نعرفها عن الكون ليست إلا حقائق نسبية وقد قرأت كلمة لبعض العلماء هي خير ما يقال في هذا الفصل :

« ليس لآى عقل مهما كانت درجة اتساعه أن يضع حدودا للممكن وغير الممكن لأن الممكن لا ينتهي عند حد كالزمان والمكان ، ونحن وان كنا حددناه في نظرياتنا فهو يتعداها في كل لحظة ويسخر من ضيق عقولنا . . . أما ما يقوله العاقل فهو أنه لا يوجد خطأ محض الا في الامرين المتناقضين ولاحق محض الا فيما هو بدهى . »

فقد الامكان على هذا يتسع لجميع الآراء وانما البحث والنظر بالوسائل العلمية هو الذي يهدينا الى سواء السبيل ، و يبين لنا ما هو الحق بالاخذ بما يجب أن يهمل وينذر
ليست حرية الفكر هي فقط : الا يعترضك امرؤ بسوء في رأى من الآراء ؛
أو يحجر عليك ذوو السلطة في التصريح بمذهب من المذاهب ، فهذا لا يساوى في
الخطورة تجرير الفكر من تأثير بعض المعارف الموروثة أو المقررة بحيث
تتصر الامكان في دائرتها

، الحاجرى ،

العصور - ليس لنا ان نرد على حضرة الكاتب بشيء الا ان نحيله الى ما كتبنا
في افتتاحية العصور من بحث قائم على آخر النظريات العلمية والفلسفية



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

الاشتركية

أقوم بحث في حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها

هل الضوء مادة؟

المواد باختلاف انواعها وتباين اشكالها لا تختلف عن القوى ولكنه وانما بالعرض فالذرات الكيماوية وان اختلفت تتكون من كهارب سالبة وكهارب موجبة . اما التيار الكهربائي فهو جريان الكهارب السالبة في الجسم الموصل . ولذا فيجوز ان نقول ان المادة كانت في الاصل قوة ما زالت الكهارب المكونة للمواد هي عينها المكونة للتيار الكهربائي . ويجوز ان نقول ايضاً ان القوى والمواد شيء واحد احدهما مكون من نوع احد من الكهارب والآخر مكون من نوعين . ولذا فليس بغريب ان سمعنا العلماء يدعون ان الضوء مادة .

ادعى نيوتن ان الضوء ليس الا دقائق صغيرة تخرج من المصادر المضيئة . وخالفه هويجنس ، اذ ادعى ان سرعة الاجسام المادية اقل بكثير من سرعة الضوء ولا يحتمل ان يكون الضوء . وهذه سرعته جسم مادي . وادعى ايضاً ان كان الضوء كما يدعيه نيوتن فيجب ان يسقط الشخصان اللذان ينظران لبعضهم البعض لان المواد الخارجة من عين الاول تصطدم بالثاني فتسقطه . وكذا الحال في الشخص الثاني . وفكرته في الضوء هي ان الضوء تموج اثري ليس الا . وقد بقيت فكرته هذه مؤيدة من قبل اهل العلم حتى اكتشف الحالة الرابعة للمادة او ما نسميها بالاشعاع فاخذ الطبيعيون اذ ذاك ينظرون لما ادعاه هويجنس ، نظر الخائف المرتاب ما زالوا حتى اليوم في نزاع بعضهم يؤيد هذه النظرية وبعضهم يخالفها ويؤيد مدعيات نيوتن . ولكن كفة الرأي المادي اخذت اخيراً في الرجحان مع قلة براهينها التجريبية ولا يستبعد ان يتوصل العلماء لتحقيقها في القريب . واهم البراهين التي يعتمد عليها اصحاب الفكر المادي تلخص بما يأتي :

١- ان سرعة المادة لا تختلف عن سرعة الضوء الا بفرق بسيط . فسرعة ذرات الهليوم تقدر بعشرة آلاف ميل في الثانية اي باقل من دقيقة تصل ذرة الى القمر وترجع الى الارض ثانية . ولكن الغريب ان سرعة ذرة الهليوم تقل كثيراً بعد ان تقطع ثلاثة واربعة انجالت من طبقات الهواء . ذلك لانها تصطدم بذرات الاوكسجين والنيتروجين

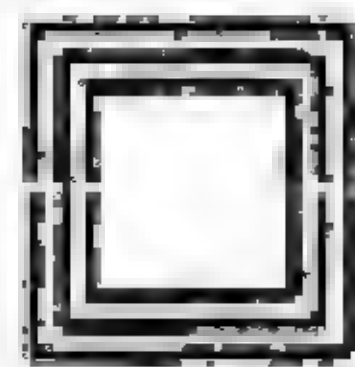
وسائر العناصر الموجودة في الهواء . ولأن هذه أثقل بكثير من ذرة الهليوم أولاً ودائمة الحركة ثانياً . فالاصطدام بها مما يقلل من سرعة الذرة الصادمة وما يجعلها تسير بصورة متعرجة . ومع ذلك فإن المستر C. T. R. Wilson تمكن من اختراع آلة صغيرة تفرغ من الهواء بواسطة تعيين سرعة ذرة الهليوم .

٢ - أن الراديويم دائم الإشعاع وإشعاعه عبارة عن انشطار ذراته وتحولها لذرات مادة أخرى . فإذا أخذ جزء دقيق منه ووضع داخل ناقوس مفرغ من الهواء يرى أن عدة شرارات تنفصل عنه بين لحظة وأخرى وهذه الشرارات إن هي إلا الكترونات منفصلة من ذرات الراديويم . فإذا كان الضوء الراديوي الكترونات منفصلة عن الذرات فهل يستبعد أن يكون الضوء الكترونات منفصلة عن الأجسام المضيئة ؟

٣ - يدعى انصار « هويجنس » أن الضوء يخترق الأجسام والمواد لا تخترق المواد لأن عدم التداخل صفة ملازمة لجميع المواد ولذا فلا يجوز حساب الضوء مادة . وجواباً على ذلك يقول انصار نيوتن أن الأشعة تخترق كثيراً من الأجسام المعتمة فاشعة أكس تخترق ما صفاقه ثلاثة أو أربعة أنجوت والأشعة السوية المجهولة تخترق ثلاثة أو أربعة أمتار . ومن هذا يتضح أن الضوء يخترق جميع الأجسام . إلا أن الطبقة المشيعة في عيوننا تتأثر منه بدرجات متفاوتة . وقد لا تتأثر منه أحياناً ؛ ولهذا سميت الأجسام معتمة وشفافة . ثم إن الكهارب تخترق ذرات الأجسام ولا يمكن للضوء أن يخترق الأجسام إلا إذا كان كهارباً إذ لا يمكن لموجات إثيرية أن تخترق مادة متلاصقة الذرات صفاقها ثلاثة أو أربعة أمتار . وبعد كل ما تقدم أفلا يحق لنا أن نقول أن الضوء مادة ؟

حسن أحمد السليمان

البصرة .



« حقيقة الر با والفائدة »

لا يزال كل من تعود قراءة الصحف اليومية والمجلات العلمية وكان شغوقا بالاطلاع على ما فيها يعثر في بعض رحلاته العلمية التي يقطعها بين صفحاتها على بعض حقائق علمية لا تهضمها ثقافته الفكرية ولا تفسح لها مكان في جر الفكر ألا بشكل صوري تمتعض له النفس ولا تدخر وسعا في أن تعمل على زوال هذا الأثر ولا تجد النفس لها راحة إلا إذا شغلت ما كان يشغله هذا الأثر في قوام ثقافته الفكرية بما تطمئن له من الآثار العلمية المدعمة والمندجة في حلقاتها المتصلة . ولقد سمحت لي الفرصة بالاطلاع على مجلة العصور القيمة الفكرة السامية المبدأ النزيهة الغاية فبينما أنا متمتع بقراءتها معجب كل الإعجاب بمواضيعها الثائقة ولا أظن القارى ينازعني في أن هذه المجلة صابون الأفكار وأكبر عامل مطهر للعقول من الميكروبات الخرافية والتقاليد الوراثية التي أصبح العلم يتمتع منها كل الامتعاض ويحم ذهنه كلما تصورها . اذ وقع نظري فيها على موضوع قراءته وكان كلما قطعت فيه خطوة اندهشت نفسي واعتراني ما هو أشبه بالاغماء الفكرى لما هو مزيج ماس بكرامة الدين مدحض لبعض نظريات لم يشك في صحتها وقيمتها العلمية أحد من كبار المفكرين قرونا عدة . على الرغم من أن هذا الموضوع لكاتب قدير نعرف ماله من القيمة العلمية والادبية . وبودى أن يتبين الأمر فيما بعد فيصبح هذا الموضوع من بعض طغيان قلم الكاتب وفلثاته الفكرية التي يفرزها الذهن وقت أداء وظيفته بطريقة ثانوية لا تعدو حد المزاح والمداعبة . ولست أبالي إذا أنا ناقشت الكاتب في موضوعه على ماله من القيمة أن يرميني بعض القراء الذين راقوا في نظري فكرة الكاتب بالرجعية فانه من الحقائق المتفق عليها في هذه الآونة أن تيار التجدد سائر في الشرق بقوة مغناطيسية تجعل العقلية الشرقية مأسورة للعقلية الغربية في كل دعائمها الدينية والسياسية والاقتصادية . وإن كل من وقف أمام هذا التيار محتفظا ببعض حضارته الشرقية يعد رجعا جامدا الفكر ضيق

الخطى فى حياته العلية والسيسية . وانى مع اعتقادى بهذا كله أجاهر بل انخر بأنى
سأناقش هذه الفكرة التى تصديت لها الآن غير مكترث بكل ما يوجه الى من انواع
التهم مردداً صدى قول القائل

إذا كان رفضاً حسب آل محمد : فليشهد الثقلان انى رافضى

وانى الآن أناقش تلك الفكرة متوخياً الانصاف فى القول والابجاز فى التعبير ثم
أترك الرأى للقارىء فيما بعد يحكم بما تسمح به طبيعته : يقول الاستاذ الكبير عمر عنایت
أن فكرة الربا وبعبارة أخرى الفائدة التى دونها الفقهاء فى كتبهم ودرسوها فى جامعتهم
وأذعن لها بالصحة لقيف من كبار المفكرين خطأ من الوجهة المنطقية والاقتصادية
معللاً هذا الحكم بأنه لا يمكن حدوث تعامل بلا مقابل ومنندداً على الفقهاء من جهة
أخرى بأنهم لم يدرسوا المبادئ الاقتصادية . وانى أقول . نعم أنه لم يقع تعامل بلا مقابل
وحقيقة أنه يعنى بكلمته هذه أن الربا لا يخرج عن مقابلة عوض بآخر وان كان فيه
تفاضل بأحد الجانبين غير أنه لا يتنازع فى جواز المعاوضة مع التفاضل فكأنه يريد بذلك
أن يبيح الربا بشكله الحالى وان كان ذلك مخالفاً لآراء الفقهاء وما كان أخرى به بدل
هذا أن لا يجرأ على الفقهاء ومهنتهم التى حللوها تحليلاً كيمائياً دون أن يطالبهم ببيان
صحة نظريتهم . فكما أن الفقيه لا يجرأ على الطبيب فى مهنته الخاصة لجهله بقواعد الطب
كذلك يحق للطبيب او السيسى او الاقتصادي ان لا يجرأ على الفقيه ضرورة ان لكل
قواعد ومبادئ ، أنفق اوقاته فى تكوين ثقافته منها . ولكن هذا لا يمنع مادامت متصدياً
لنقض نظرية الكاتب ان أبين صحة رأى الفقهاء فيما قالوا مبعداً بهم عن الخطأ من الوجهة
الاقتصادية والمنطقية .

فأقول : إن الخبر الذى وضعه الاستاذ فى مكتوبه مبيناً فيه نهى النبى صلى الله عليه
وسلم للرجل الذى استعمله على خير فيه الكفاية التامة على منع التفاضل واستئصال
شأفتها من طور التعامل مادام محدوداً بحدى النوعية والعلة الربوية وكما ان الاستاذ
رمى الفقهاء بأنهم لم يدرسوا مبادئ الاقتصاد أجدر لى الفرصة الآن ان ارميه بأنه
لم يقف على ما أعنيه من تلك الحدود الفقية التى لا يمكن ان يستنبطها من الخبر الذى
ذكره الا من مارس هذه الصناعة الخاصة وفرع النتيجة على مقدمتها الاصطلاحية .

يد اني أشير الى مقصدى متوخيا الإيجاز مبينا للاستاذ ان الشارع منع التفاضل في التعامل لاغراض عدة أحسنها ان لم يكن أهمها (١) انه لو فتح الباب على مصراعيه امام النزعة المادية على اختلاف طبقاتها لادى ذلك الى نتيجة ضارة بالمجتمع أقل ضررها أن يقتصر الناس على تكوين حياتهم المعاشية بواسطة هذه المبادلة المالية فيكتفون بذلك وحينئذ يستحكم فيهم الميل إلى العطلة وترك العمل حسب الطبع الغريزي في النوع الانساني ولا أظن الاستاذ ينازعني فيما يحدثه هذا الاثر في المجتمع من الرجعية والوقوف عند حد واحد في كل اطوار الحياة . كما انه لا يشك في امكان حصول كل فرد من النوع على حصة مالية صالحة للمبادلة . والفقهاء في بيان العلة لصحة نظريتهم عدة عوامل حسي ما جئت بها ولكنني أضيف الى ذلك عاملا آخر بعد ان أبين للاستاذ ان التفاضل الذي يحجزه في التعامل مستقبعا انكاره قد رفضه الشارع لسرايق من الإباحية التي يصيغها الاستاذ في التفاضل كما ما دام التفاوت من جهة الكيف حاصلًا كما هو صريح قوله في المثل الذي ضربه لنا بالثمر الردي والجيد

ولست أذهب بالاستاذ بعيدا إذا استلقت فكره الى هذا السر الجوى في تحريم الربا في الاديان قاطبة قديما وحديثا على أنه لو فكر قليلا لوجد هذا السر الذي يخاله غامضا قد تجلى بأوسع معانيه في الخبر الذي ذكره الأستاذ في مقاله ضرورة أنه يريد به المشرع أن يجعل الغبن والاجحاف بعيدا عن حدود المعاملات المالية بكل عناوينها . ولما كانت المنافع لا يمكن تحديدها تحديدا متوازنا في طرفي التعامل لم يسمح المشرع أن تكون عوضا للعين وحدها على الرغم من أن التفاضل لم يمنع المشرع من دخوله في التعامل نهائيا فقد قضى قانون التعامل بجواز دفع أردب من القمح بدل أردبين من الذرة مثلا صفقة واحدة بعقد واحد . ولكن كل ذلك مكيف بكميات اصطلاحية يعرفها الفقهاء وحدهم . نعم أن العلة في تحريم الربا قد تخفى على كثير من الأفراد وأن الربا وبعبارة أوضح الفائدة إذا وضعت على بساط البحث أمام العقل ليفحصها وحده دون أن يتوقى في بحثه العاطفة الدينية لم يجد فرقا بين الربا والبيع . يد أن النفوذ الديني يقضى على كل من أذعن لرسول بصدق دعواه أن يصدق بكل ما جاء به وأن لم يستطع الوصول

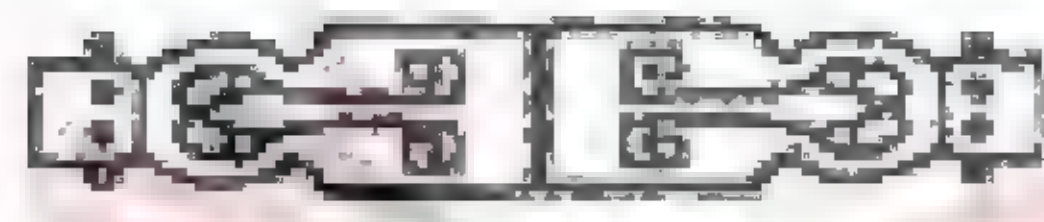
ألى كنهه . على أن النواميس التشريعية والطرق القانونية وضعه كانت أو ألهية لا يزال فيها بعض فقرات ومواد لا يكتبها العقل ألا بطرق متكلفة ينتحلها رجال القانون لأقناع النفس فحسب . وأنى لسائل الأستاذ حينئذ ؟

أن القانون الأهلى والتشريع المصرى يقضى بأن من تعامل فى البلد بالرأى بزيادة عن المائة تسعة تصدر ضده العقوبة . فما السبب فى تحديد القانون للفائدة بمقدار تسعة فى المائة ولم لم يجعلها عشرة أو ثمانية فى المائة . أظن لا سبيل إلى الجواب سوى العجز عنه . وإذا كانت أسرار التشريع فى القوانين الوضعية قد تخفى على العقول فما بالناس بالقوانين الألهية التى تسموعن كل الميول النفسية التى يدركها العقل لأول وهلة ولست أتمالك نفسى من البهشة كلما قرأت قول الأستاذ .

(لا أكون بعيداً عن الصواب إذا قلت أن معنى الربا هو استعمال قوة الإنسان لاستثمار الضعيف فى أوقات ضيقه . فلو أسلفتك مائة جنيه مع اقتناعي بأنك لن تحصل على ربح أكثر مما سأخذه منك . فأنى أكون مراياً) أنى أغمز بقولى رداعلى هذه الفقرة التى حدد بها حقيقة الربا بأننا هذا الفرض على القضية المشهورة التى لا ينازعنى فيها الأستاذ الناطقة بأن لازم المذهب مذهب . ولازم الرأى رأى . تلك حقيقة لا يختلف فيها أثنان وإذا كان حد الربا فى نظر الأستاذ يسمح للتعامل أن يأخذ أقل نسبة مما يربحه رأس ماله الذى حصل عليه مرايه . فإن أقل نتيجة تلزم هذا الرأى أن يأخذ المراهب ٣٠ فى المائة على اعتبار أن رأس المال كسب . وفى المائة مثلاً وفى هذا المذهب الفردى والتشريع الشخصى الذى جاء به الأستاذ فى عصر العلم ذلك العصر الذى أخذ فيه العلم يمشى فيه بحوار الدين جنباً للجنب من السخرية بالتشريع المصرى ما لا يخفى على أية عقلية ساذجة فضلا عن غيرها . بقي على أن أظهر رأى فى قول الأستاذ (أن قول الفقهاء لا يخرج عن أحد أمرين إما الجهل وإما التطع) بيد أنى لا أستطيع أن أعبر عن رأى فى هذه النقطة التعبير الكافى ولئن أتيت لى أن أهمس فى أذنه وأجهر برأى فلا يسعنى فى هذا المقام ألا أن ألاحظ على الأستاذ أنه أساء التعبير فى قوله . ولقد كان من المستطاع أن يكون هذا الرد مفعماً بكثير من الأدلة العقلية ما يشغل فراغا متسعاً ولكنى قد وقع اختيارى على أن يكون هذا الرد مفاضاً بتلك الروح الملائمة لروح الأستاذ فى كتابته حتى نكون

قد كلنا له بالكيل الذي كال به . واذا كان هذا الرد لا يقع من الاستاذ موقع الاقناع
فأني متحفظ لان اكتب ثانيا وثالثا حتى تبذلوا الحقيقة ناصحة سافرة عن وجهها ولولا
ان ما كتبه الاستاذ ماس بالدين ما تحرك في يدي القلم وما كان حظي من قراءة موضوعه
الا لحظ من يشغل اوقات فراغه بقراءة الجرائد والروايات الادبية. ولكن للدين كرامة
وغيرة تحرك القلب ليملي على القلم ما كتب والسلام

سليم على سليم



ARCHIVE

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

هَضْبَةُ فَنَسْنَا الْعُلَمَاءِ

نقلها عن العلامة مرتز

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

نظام البيع بالتقسيط

لماذا يجب عدم تشجيعه في مصر

كتب حضرة عباس أفندي شوقي مقالاً في السياسة الأسبوعية يجذ فيه فكرة تشجيع نظام البيع بالتقسيط في مصر على أساس أنه لو أمكن توزيع وحدات كثيرة مقابل جزء بسيط من ثمنها مع ضمان استمرار الحصول على باقي الثمن تسرب روح النشاط إلى دواليب الإنتاج

فأول اعتراض على هذا الرأي هو ضمان استمرار الحصول على باقي الثمن لأن هذا الضمان غير ميسور في هذا البلد الذي لا يقدر الشخص فيه قيمة لاسمه ولو أمكن لحل القيام بهذه العملية التي تحتاج إلى رأس مال كبير تجوز هذه المخاطرة لتهافت الناس لاقتنائها سواء كان لهم فيها فائدة أو لم يكن

ليس من الغريب أن تعرض هذه الفكرة في بلد يتهافت أهله على الاقتراض دون أن يفكروا في التسديد؟ فنحن في وسط يطير فيه الناس في خيال الثروة القادمة التي يتصورونها هابطة من السماء وبها يتخيلون كيف يسددون ديونهم

يضاف إلى ما سبق تعذر نشوء بيوت تعمل بزموس أموال كبيرة دفعة واحدة كما هو الحال في الغرب . فليس من المتيسر والحالة هذه للبيوت الموجودة أو البيوت التي تنشأ في المستقبل القريب أن تنتظر الاقساط حتى تستحق . وأكثر من هذا ليس في ميسورها إعطاء مهلة لمن اضطرت الظروف لعدم تسديد قسطاً في ميعاده لأن رأسمالها لا يسمح بذلك . وإذا مدت يدها للاقتراض فإن ارتفاع الفائدة تغل يدها أي غل

أما الاعتذار فما أكثرها عندنا وهي تبدأ حيث تنتهي وتنتهي من حيث تبتدى
فحianنا كلها سلسلة اعتذار مالية

وارتفاع الفائدة على الاموال ليس ناتج في هذا البلد عن الطمع الاشعي كما

يحاول أن يصوره الكتب للقراء بل هو نتيجة للاخطار التي تقاذف رأس المال المستمر وللصاريف القضائية الناتجة عن المhapلة أو محاولة التخلص من الدين بأي الطرق

أما اعتبار المباع مؤجراً حتى يسدد ثمنه ففيه خسارة للمحال ليس كنتيجة لعدم افساد ما يشتري بل لافساده من سوء الاستعمال . فلو كان أثاثاً علق به الادران وتهتم أطرافه من عدم العناية أو سوء الاستعمال

حقيقة أن بعض المحال مثل سنجر مثلاً يسرون على هذه القاعدة ولكنهم يتخذون احتياطاتهم الشديدة فيطلبون ضماناً هذا من جهة ومن جهة أخرى يبيعون بسعر يزيد كثيراً عن السعر النقدي . ثم هم أيضاً فوق ذلك ينتخبون زبائنهم من بين الطالبين العديدين

ولو تطلعنا الى محل مثل سنجر لوجدناه يقوم بعملية اغراق Dumping لسوء المكينات فهو يجازف مرتكناً على قوة اسمه في اميركا
فهل يمكن اتباع هذه الطريقة هنا بلا ضمان شخصي أو ثابت ؟ اظن أن هذا ليس في حيز الامكان

وهل يمكن البيع بسعر النقد ويتكف مصاريق قضايًا وخلافه من جهة ويواجه بحقيقة مرة هي تعرض ماله للضياع من جهة أخرى كنتيجة لميل الزبائن إلى الهرب من الدفع

قرأت قريراً مقالاً في إحدى المجلات الأمريكية تنحى فيه باللائمة على هذا النظام (راجع أعداد العصور حيث تجدها ملخصة) وتقول انه تسبب في انتفاخ مالي كاذب سيأتي يوم يضطر فيه كل واحد إلى تصفية مركزه . فالفرد مندفع للشراء والبائع مندفع للطلب والصانع بدوره مندفع إلى الإنتاج وكل منهم يأمل تسديد ديونه من الأقساط التي ينتظر ورودها . وبما أن الفرد قد شعر باختلال ميزانيته لعدم تبصره فهو يقترض الفرق الناتج من زيادة المصروف عن الدخل وكله أمل في ان يوازن بينهما بعد أن يسدد ما عليه من الدين الذي يكون في البدء زهيداً ثم يتزايد فالاميركي في الوقت الحاضر يجهد ذاته كي يتمكن من رفع رقم ايراده كي يساوي

رقم المصروفات ولكنه يجد أن نجاحه كان جزئياً لأن رقم المصروف أخذ في
الازدياد المتتابع

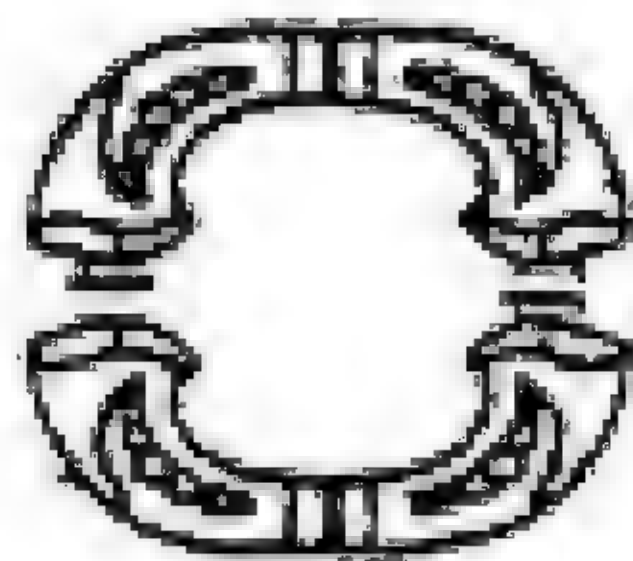
لنلق نظرة إلى الفلاح فنجد أنه يبيع محصوله لكي يسدد ديونه بدلاً من أن ينفقه
في زراعة العام الذي هو فيه وكذلك تجد الحال مع الموظف والصانع والتاجر فمثل
المصري هو بالضبط كمثل الصراف الذي يقبض العهدة (أجرته) يسدد مطلوبات
مستحقة لا أكثر ولا أقل

فهل يريد حضرة عباس أفندي شوقي أن يحض على توسيع الخرق بحجة أن في
ذلك توسيع نطاق العمل دون أن يشعر بأن في تحريضه هنا ضرر عظيم ينتج من ارتفاع
الأسعار واندفاع الناس للتظاهر بما ليس في مقدورهم التظاهر به. وهلا يجر ذلك على
الأفراد أولاً وعلى الأمة ثانياً بالطبع الخراب العاجل ؟

أن أول درس يجب التمام على هذه الأمة حثها على عدم الاندفاع للاستدانة مع
وجوب التوفير فإن كل الكوارث الاقتصادية التي تحمل بالقطر تنبت عن فكرة
التقسيط

تضيق فدادين الفلاح لأنه يشتري غيرها بالتقسيط ويخسر صاحب العمارات
ما عنده لأنه يبنى بالتقسيط ولا يبنأ الصانع والموظف بمرتبه لأنه يأكل بالتقسيط
ويلبس بالتقسيط وحتى سجاثره وخمره كلها تشتري بالتقسيط

عمر عنایت



ماذا حدث

في ولاية أركنساس

بقلم شارلس سميث

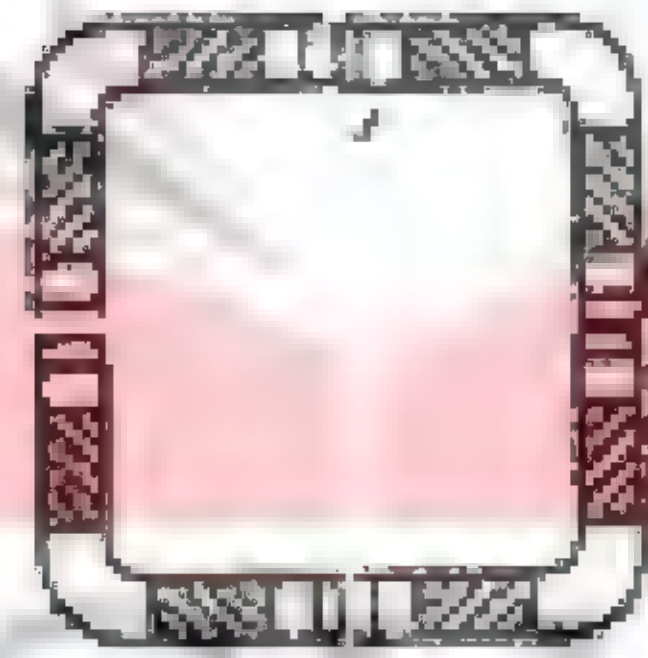
رئيس الجمعية الاميريكية لنشر الاحاد

وصلت مدينة ليتل روك (الصخرة الصغيرة) في اوائل اكتوبر الماضى ومعى سيارة محملة بالنشرات فاتخذت لى دكانة فى الشارع العام لتوزيع نشراتى المعارضة لمشروع القانون المقاوم لنظرية النشوء والارتقاء . وبالرغم من انى لم اخالف قانونا ما القى على القبض وبعد ان منعونى من الدفاع عن نفسى حكمت على المحكمة البلدية بغرامة قدرها ٢٥ دولارا (رايالا) ، لانى اكدت السلام ، وبالطبع امتعت عن دفع الغرامة احتجاجا منى على هذا الاضطهاد وامتعت ايضا عن الاكل وانا فى السجن مدة ١٦ يوما ولم يكفهم ذلك بل اخذوا سيارتى فسارعت لاستئناف الدعوى ونج عن ذلك اطلاق سراحى حالا ولكنهم رفضوا رد النشرات الى قاعدت فتح الدكان ولكنهم قبضوا على ثانية بتهمة تحقير الاديان ومنعونى عن الدفاع عن ذاتى وقررت المحكمة اننى مذنب لتهجمى على الدين المسيحى فحكمت على بالسجن ثلاثة اشهر وبغرامة ١٠٠ ريال فاستأنفت فاطلق سراحى بضمان قدرة ١٠٠٠ ريال وستجتمع المحكمة بعد مدة قصيرة فوسأقدم مطالبا بتعويض لاجل القبض على دون مبرر لارى كيف يكون حكم محاكم اتحاد الولايات فى مسألة اعتقال ملحد دون مبرر قانونى وهو الامر الذى تتحاشاه محاكم الولاية المتأخر اهلها ولهذا اطلق سراحى فى الدفعتين . ولو حكمت المحكمة العليا لصالحى لالغى قانون معارضة حركة نشر الاحاد ليس فى هذه الولاية فقط بل وفى خمس اخرى وعندئذ تشمل الحرية والمساواة ارجاء الجمهورية لانه من الواجب ان تساوى حقوق الافراد مهما اختلفت آراءهم. اليس من العجيب ان اركنساس (الولاية) تنكر حق الملحد فى حماية القانون له كأنما هو غير اميركى ؟

ان قانون القردة ، مرفى ولاية كنساس بثلاث اصوات ضد صوتين والمقصود من قانون القردة ، ذلك الذى يتمتع نشر فكرة النشوء والارتقاء فى تلك الولاية . وهذا دليل على عدم وجود عقول قادرة على الفهم لتدير هذه الولاية . ومن الغريب انه لم يعقد حتى ولا اجتماع واحد للاحتجاج على هذا القرار الحقيقى . فلما حاولت انا القيام بعملية الاحتجاج القيت فى السجن . ومن المدهش انه لم يتم ولا فرد واحد من المحبذين لفكرتى سواء داخل هذه الولاية او خارجها لمساعدتى مساعدة فعلية ولو كانوا تركونى اتكلم لكنت اثبت لهم صحة نظريتى وخطأهم وقد كنت اتمكن من تخليص رار كنساس من السقوط فى الوهدة التى تمرغ الآن فيها ولكن صبرا فالغد غير اليوم

بندلى بيلونى

ساو باولو - برازيل



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى بالظاهر بمصر

على استعداد كامل

لطببع الكتب عربية وافرنجية

والمجلات فى احسن ثوب مع المحافظة على المواعيد والالتقان التام

وبها جميع الاستعدادات التى تمكنها من تلبية كل الطلبات التى

تطلب منها فى اقرب وقت

سخرية الحياة

قالوا الحياة لنا وهم وسخرية
 وليس فيها سوى حسٍّ امرئ صدقاً
 ورغم تسخيرها للناس ، عابثة
 بهم ، فأولى بهم أن يتركوا القاماً
 أجدى لهم أن يعيشوا مثل ما رغبت
 وأن يذبذبا الأحران والفرقا
 فقلت في حسٍّ مشعوفٍ بما وهبت
 هذي الحياة ومن يرضى بها الحرقاً !
 خذوا الحقيقة عني ! ما الحياة سوى
 أمٍّ لنا وأبٍ في حنا انسقا
 لا يعيشان بنا ، كلاً ولا خدعاً
 أحلامنا أو فؤداً بالهوى خفقا
 ان الحياة مثالٌ للسمو كما
 هي المثالُ لحقٍّ يفيضُ المائما
 تعطى لنا فوق ما تعطى ، وغايتها
 أننا لها وبها كونٌ بنا انطلقاً
 كونٌ يسير لغايات الجمال بلا
 حدٍ ، وبهزم دوماً نوره النسقا

ولن نضيعَ بها يوماً ، فآيتها
 أنا نجددُ فيها دائماً القأ
 في كلِّ شيءٍ ، فما معنى تخوُّفنا
 منها؟ وما الفهم في سُخطِ امرئٍ حقاً؟
 وأي فلسفةٍ في أنْ نُصورها
 خصماً ، وأنا الذي من كثرها سرقاً؟
 وهي التي وهبتنا كلَّ ما ذخرتْ
 وجمات (نوعاً) في الدهرِ مؤتلفاً
 ووحدتنا بتقديسٍ لروعتها
 لكنه كان تقديسَ الذي عشقاً
 فكلُّ آثارها صدقٌ ، ودعوتها
 صدقٌ ، وناموسها عدلٌ بنا رفقا
 فإن قساً فهو في تأييدِ عزتنا
 يقسو ، ومانحنا خيراً به وثماً
 فلنتركِ للبثَّ جهلاً عن أنانية
 إنَّ الحياةَ خلودٌ للذي اعتنقاً
 فنحن منها إذا كنّا نحن لها
 وننحنُ أغرابُ عنها إنْ نَمشُ فِرَقاً!



هنري برجسون

<http://archive.org/details/bergson>

في نظر معاصريه

اعتمادنا في هذا البحث على محاضراته و جاك
شيفالين ، الاستاذ بجامعة د جرينوبل ،
وانما نريد ان نمهد اليه بمعلومات عامة عن
د برجسون ، لجماعة من انصار فلسفته
بمناسبة حصوله على جائزة نوبل ، للآداب

١ - ترجمة حياته

(١) ولد هنري برجسون في باريس يوم ١٨ اكتوبر سنة ١٨٥٩ وهو من
أصل بولوني تيجنس بالجنسية الفرنسية بعد تخرجه من مدرسة المعلمين . تلقى علومه

الأولى فيه ليسانس كونتورسيه ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا سنة ١٨٧٣ . وكان متفوقاً في علم الرياضه . ويروى أن استاذة حين علم بأنه يتيماً للدخول في القسم الأدبي قال له ، ويحك . هذا عمل جنوني ! ، وقد أرادته على ألا يتخلف عن القسم العلمي . على أنه حين صار فيلسوفاً لم يترك الاشتغال بالعلوم .

وفي سنة ١٨٨١ اجيز له بتعليم الفلسفة وكانت بداية اشتغاله بالتعليم في مدرسة « دامجين » ، وفي سنة ١٨٨٣ صار استاذاً للفلسفة في مدرسة « بليز باسكال » ، ثم في مدرسة « كلرمون فران » ، حيث لبث خمس سنوات . وفي سنة ١٨٨٩ عين في باريس استاذاً فجعل يعلم في كلية رولان ، ثم في مدرسة هنري الرابع . وبقي من سنة ١٨٩٧ إلى سنة ١٩٠٠ محاضراً في مدرسة المعلمين العليا التي تركها ليكون استاذاً في « الكوليج دي فرانس » . وبقي برجسون استاذاً في هذه الجامعة إلى سنة ١٩٢١ غير أنه منذ سنة ١٩١٤ طلب إلى المسير « أحوار ليروا » ان يقوم مقامه بحيث نستطيع أن نقول ان مدة تعليمه في الكوليج دي فرانس انتهت تقريباً عند بدء الحرب الكبرى . وقد رأى من واجبه في غضون تلك النكبة ان يتحدث الى أصدقائه ومحبيه حسب تعبير الاستاذ جاك شيفالين فانتقل للمحاضرة في اسبانيا دفعتين متواليتين (١٩١٧ - ١٩١٨) وسافر للفرض نفسه الى الولايات المتحدة الامريكية ولما وضعت الحرب اوزارها صار من اكبر واجل « صناع » الصلح العالمي ولما ألفت عصبة الامم لجنة للتعاون الفكري الدولي اختارت « برجسون » رئيساً لها وبقي محتفظاً بهذه الرئاسة الى سنة ١٩٢٥ .

وكان منذ سنة ١٩٠١ عضواً في اكاديمية العلوم الخلقية وانتخب عضواً في الاكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٩١٤ حيث حل مكان « اميل اوليفيه » ، وهو حائز على وسام « اللجيون دونور » من درجة « غراند اوفيسييه » .

ويقال انه على اثر محاضرة القاها في فلسفة « الآليات » ، اهتدى فجأة الى هذه الفكرة وهي ان زمن ارباب الحساب لا يراعي ذلك الزمن الداخلي او الدوام الذي هو بمنزلة الغلاف لحياتنا السيكولوجية . ولما تعمق برجسون في درس هذه الفكرة توصل منها الى طريقة فلسفية وجواب على بعض مسائل الحكمة القديمة وعلى الاخص مسألة

الحرية . وكانت النتيجة انه اصدر كتابه في الشعور بالذات سنة ١٨٨٩ .
وكان اشد ما طمح اليه برجسون في بدء حياته الفلسفية ينحصر في اعادة الانسان
الى الحقيقة الروحية " كائنه فيه . وكانت مهمة عويصة تعترضها صعوبة درامية من حيث
ان الانسان قد اتجه اول عهده بالحياة الى الخارج وتألفت أفكاره من تأمل الاشياء
المادية كما تكونت الفاظه للاعراب عما هو ثابت جامد خارج دائرة الزمن . فكيف
يتاح تصريف الحقيقة الروحية المتغيرة الثابتة الالوان بأفكار والفاظ صيغت للترجمة
عن العالم الخارجي ؟

ولكن الشعر انقذ الفلسفة . فان ما تعجز الالفاظ عن الاعراب عنه يستطيع ذلك
النوع من اجتماع الالفاظ والتوفيق بينها ان يلهم به و يوحيه . كذلك استطاع هنري
برجسون ان يعرب عما لا يقبل الاعراب عنه اى من تلك المعارف المباشرة التي بسطها للناس
في موضوع الشعور بالذات .

وبالاختصار نقول ان برجسون هو صاحب ذلك العلم المبدع للقولاب الفكرية
التي تأمل بها الكون ونفكر فيه . وهو مجهود في سبيل الرجوع الى الشعور بالذات
يبتدى به الانسان الى ذاتيته في حالة صفائها وبرأتها وهو مجهود شعري للفكر حتى
لا يكون مقيداً عاجزاً عن وسيلة للاعراب عن الحقيقة الروحية .

٢ - آراء عامة في البرجسونيسم

من الممكن أن تقارن مقام " هنري برجسون " اليوم في الفلسفة وفي الاشتهار
بمقام ابن رشد في عصره . وهذه المقارنة وإن كانت لا تخلو من شيء من الغلو إلا
أنا إذا تفاضينا عن التباين بين مذهبي الفيلسوفين لاحظنا في الحال المجهود المتشابه
لكل منهما في سبيل تجديد الفلسفة . أما فضيلة الابداع في باب الحكمة فلا يمكن
أن تنسب إلى أحدهما دون الآخر . غير أن برجسون كان بالنسبة لعصره أقوى خلقاً .
كانت فلسفة أرسطوطالية جددتها ابن رشد . إلا أن الاخلاف التي جاءت من بعده
أطلقت عليها اسمه فقالت فلسفة ابن رشد " افرويسم " ولم تقل فلسفة أرسطوطاليس .
وقد وقف العالم المستير حيناً من الزمن ولا يزال يستمع ويبحث ويجادل في مذهبيهما :
ابن رشد وبرجسون . لقد بعدت مسافة الزمن بينهما إلا أن سلسلة تفكير الفلاسفة

المعاصرين لا تكاد تخلو من تلك الحلقة القديمة اللازمة التي يرمز إليها بسم ابن رشد
 نقول أن هنري برجسون يكاد يكون بين فلاسفة هذا العصر - لا في فرنسا
 وحدها بل في العلم - ذاتية فلسفية ، ذات مقام خاص وينبغي أن تدرس على حدة .
 وألا يصدر في سبيلها حكم دون تدقيق وبحث طويل . ولعل هذا الدرس يكون
 أصعب باللغة العربية منه في لغات الغرب . لأن تأليف برجسون بجهولة لدينا ولأن
 العربية لم تألف إلى الآن نقل مذاهب الفلاسفة الغربيين . إنما نرى من الضروري
 مع ذلك تعريف القراء بفيلسوف عصري واسع الشهرة مثل برجسون الذي شغل
 الأذهان في أوروبا الآن بفلسفته . هذا إلى ترشيح فرنسا له من أجل حيازة جائزة
 نوبل ، للآداب وقد نالها . فأيد رأي المعجبين بالجزء الأدبي من فلسفته . وهو من
 أجل ما ينتجه عقل مفكر .

٣- برجسون الفيلسوف

عند ما التحق ، برجسون ، بمدرسة المعلمين العليا واختار أن يكون فيلسوفاً من
 بعد دراسة عليّة وأدبية عميقة واسعة كان التأثير الغلاب في الجامعة هو تأثير الفيلسوف
 فيلكس رافيسون ، الذي وصفه برجسون فقال ، إن صوته لم يكن يحمل غير صدى
 الماضي المنذر . إلا أن غيرنا كان يستمع منه كما لو كان في حلم انشودة المستقبل المفرحة .
 وفي تلك البيئة العلية التي كانت لا تزال تنفس في جو الماضي لم تكن ثمة جرأة أشد
 ولا تجديد أقوى من ، أن يقال للطبعيين إن الجامد لا يفسر إلا بالحي وإلى علماء
 الحياة أن الحياة لا تدرك إلا بالفكر وإلى الفلاسفة أن العموميات ليست من الفلسفة
 في شيء وإلى الاساتذة أنه ينبغي تعليم الكل قبل المبادئ وإلى التلاميذ أنه يلزم
 الابتداء بالكامل وإلى الإنسان الذي تهادى في حب الذات وفي الحقد أن ليس له من
 محرك طبيعي غير الجود ، (كلام برجسون) . ولم يكن من السهل تذليل العقبة التي
 تعترض ذلك الشعور بالتمشي مع الزمن في الفلسفة - الميل إلى التجديد - بالنظر إلى
 التناقض الذي كان موجوداً بين وجهتي نظر ، جول لاشليه ، ود أميل بونزو ، وكانا
 أكبر أشياح رافيسون . وكان كل منهما يحاول أن يترجم عن تعليم أستاذه بصورة
 واضحة مصوغة في قالب مبهم من إلهامه .

في ذلك الوقت كان المهم معرفة الموقف الذي يتفق مع الفكر تجاه العلم . هل ينبغي قبول مذهب الميكانيزم ، كاملاً على اعتبار أنه ثمرة مجهود فكري حر أو أن نقد الفيلسوف لا يجب أن يتناول جوهر ذلك العلم الوضعي من حيث كونه مختزلاً عن عجلة أو في الأصل ضمن نطاق القواعد العقيم ؟ نقول إنه حين فتحت الطريق التي سلكها بيردوهم ، وهنري بوانكاريه ، منذ سنة ١٨٧٤ دلت دراسة ، توافق نواميس الطبيعة ، عند بدء الاتصال بحقيقة الكون والتاريخ على أن مدرسة سكولاستيك ، المعارف المجردة كما حسب د تين ، وقتئذ أنه أيد فوزها لا تتفق إلا على ظل أو شبح من العلم تولد من مخيلة أديب . هنا نلص النقطة والظرف اللذين ابتدأت فيهما عبقرية برجسون تنبثق انبثاقها الباهر . وأنها تبدولنا عند النظر إليها من ناحية تأثيرها على الروح العام جداً فاصلاً مع الاتجاه الفكري الذي قاد الرأي إليه في عهد الامبراطورية الثانية . أما من الوجهة الجوهرية العميقة فإن عبقرية برجسون تشبه أن تكون مطلع حركة لم تكن قد انقطعت كل الانقطاع بل انسياً نهائياً لذلك ، المجري غير المنظور الذي حضن الفلسفة الحديثة على أن تسمو بالروح إلى ما فوق الفكر .

هذا إلى ما كان يعاب عليه المعجم الفلسفي وقتئذ من الفقر والنقص في الألفاظ . وقد عمل برجسون فيما بعد على سد ذلك النقص . ولم يكن استعماله للفظي السكولاستيك تارة والروماتيسم تارة أخرى ، إلا لكي ينبذهما دفعة واحدة . ومن الحق أن يقال أنه توغل على الاثر في سبيل الفلسفة الفرنسية القديمة (الكلاسيك) حيث لافرق ألبتة بين التجلي الآلهي والذكا .

وإذا كانت الروح في حساب السواد مجرد جوهر مخنف وراء ظاهراته كما يختفي الكرسي بالغطاء انتظاراً للساعة الأخيرة من الحياة فتدبم ظل هيكلها خارج الزمن لكي تشركه في العالم الآخر من بعد الموت — فإن الروح في مذهب برجسون — الروح البرجسونية — حقيقة روحية ذات اثر في استمرار ظاهراتها الذاتية ، سارية سرياناً تاماً في شعورها بمصيرها . وهناك إلى جانب مادية الروح مادية الفكر .

ولقد سخر مالبرنش من أولئك الدكاترة الذين زعموا انهم فسروا الطبيعة
 بفكارهم العامة المجردة كأن الطبيعة شيء مجرد . ومثل هذا الرأي العاجز عن أبسط
 تجارب العمل وحساب الكميات لاتكاد تتجاوز طاقته ترتيب الاشياء انواعاً
 وتعرفها وتعيينها عند المرور بها . ولكن العلم الصحيح انما يتبدى
 عند ما يلج الذكاء إلى جوهر الاشياء وعند ما يحل معقداتها وما يتصل بها من الحركات .
 ونحن اذا أردنا ان ندرك إلى أي حد كان برجسون مبتكراً ، في الفلسفة يجب أن
 تلقى نظرة إلى آراء الفلاسفة من قبله . فقد كان يسر ديكارت ، وسبينوزا ، أن
 يجعرا بأنهما تفعيان . والأول اعتبر الحيوان آلة ميكانيكية ، لان في الإنسان الاداة
 المتحركة من تلقاء ذاتها ولأنه يخلق تلك الاداة . ولقد كان من الممكن ان يخسر
 كل منهما جزء جوهرياً من عبقريته وألا يفقه معنى القيمة التي علقها على نهضة
 الميكانيكا والطب لو أنه لم يدرك — خارج دائرة الحنة الانسانية التي كان ينظرها
 من تلك النهضة — ان عظم نتائج العلم العقلي ، راسيونيل ، دليل لا يدحض على انه
 حق . أما الفلاسفة النقاد الذين تولوا في القرن التاسع عشر استخلاص الصحيح من
 الفاسد فقد صوروا العقل في صورة هزلية حين عرفوه بأنه ملكة تصنع الاشياء
 في صيغ عقلية خارج دائرة التجربة ونفوا أن التجربة قابلة لان تخضع لصيغ العقل .
 وأما الحكماء الكلاسيك في القرن السابع عشر فانهم بدلا من ان يعارضوا الدقة
 المتناهية للحقيقي بأصول الوحدة المنطقية وبدلا من أن يسيئهم تخطي الذكاء متعديا
 حدود النهائي وغير المستمر لم يروا في منطق « زينون الايلي » سوى منهب وهمي
 وهرطقة خيالية . إلى آخر ما هنالك من رأي « سبينوزا » في الدوام ومذهب جماعة
 الكلاسيك في الروح البشرية — نقول إن الرجوع إلى تلك الآراء يظهر ما في
 مذهب برجسون من الابتكار والخلق . فلقد انحنى بفلسفته على آراء ديكارت وعلى
 الاخص في مسألة المسافة والدوام . ومن جهة أخرى فانه لم يقتصر في كتابه « التطور
 الخالق » على تأييد أن الطبيعة منزعة وليس حب الذات من صفاتها فقط وانما تناول
 ايضاً مسألة الجاذبية العامة التي هي في أصل الغريزة . وقال بالجاذبية الفكرية التي
 تتجلى لذاتها في تكميل رأي « سبينوزا » في « الاينيك » الخاص بالشعور بالذات

الآلية عن طريق التجلي والحب . وانه يكاد يكون من الممكن وجود بقاء آخر غير بقاءنا كما أنه من الممكن ألا يكون في الدنيا لون آخر سوى البرتقالى مثلا . ورأى برجسون في هذه المسألة جديد يلهم بوجود بقاء آخر . وان الابدية انما هي ابدية حياة لا ابدية موت .

ولعل برجسون يمتاز على سائر فلاسفة العصر بعبادته للحقيقة . ومن أجل ذلك أقام أحد أساتذة الدانمرك الموازنة بينه وبين « كيركيجار » سيد حكماء الدانمرك الذي قضى الشطر الأكبر من عمره في محاربة أصحاب الذكاء الوسط من الأكليروس وبقى عدواً للكنيسة وللدين في سبيل الحقيقة . ويعتقد كيركيجار ، أن لا وجود للحقيقة في مناهب الفلاسفة وان طرائقهم في البحث لا تؤدي إليها . ومن أجل مزايا برجسون أنه لا يصدر حكماً الا بعد التعمق الشديد في البحث عن الحقيقة . تعمقاً يتجاوز طاقة الذكاء . ولقد حرر برجسون الفلسفة من متافيزيقية الميكانيزم العلمى والديتيرميزم . وهو باكتشافه للبقاء الحقيقى غير مجرى الفلسفة . وفي الحقيقة أن مناهج كانت في الجامعات قد أصيب بصدمة عنيفة حين برهن برجسون على أن الزمن في مناهج الفيلسوف الالماني انما هو زائل لا دوام له .

قلنا ان برجسون كمل رأى الذي ختم به « سينوزا » كتابه « الايتيك » ، في الشعور بالذات الآلية عن طريق الحب والمشاهدة فإشار الى « الجاذبية الفكرية » ، التي تتجلى بذاتها وقال « من الممكن ألا يكون هناك بقاء آخر غير بقاءنا كما انه كان من الممكن الا يكون في العالم لون آخر غير البرتقالى مثلا . الا ان الاحساس الذاتى المرتكز على قاعدة اللون الذي يتفق كل الاتفاق مع البرتقالى بدلا من ان يدركه ادراكا خارجيا يسرى فيه الحس بالبقاء بين الاحمر والاصفر بل من الممكن ايضا ان يمتد ذلك الحس الى ماتحت ذلك اللون الاخير حيث يكون ذلك الظل الذى يطيل بطبيعة الحال الامتداد اللونى الذى يتبدى من الاحمر الى الاصفر . كذلك هو شعورنا الداخلى بقاءنا بدلا من ان يجعلنا معلقين في الفراغ يقيم الاتصال بيننا وبين تسلسل من البقاء تبعه دائما سواء أ كان في هذه الدنيا ام في السماء . وفي الحالين نستطيع ان نمسك في ذلك التسلسل من البقاء بمجهود يزداد قوة وغنفا مقدار ما يزداد ذلك البقاء امتداداً . وفي الحالة الاولى نسير الى بقاء

ينتهي بالتجانس المحض والتكرار الذي تستوضح به المادة . وفي الحالة الاخرى تتبع بقاء يمتد ويتلاحم ويتسع باستمرار وفي نهاية الابد . ليس ابد الفناء هو ابد حياة - ابدية حية ومتحركة ايضا يكون فيها بقاءنا مثل التوجاهات في الضوء الخ ، ولعلنا ندرك من هذا الرأي مقدار ما في الفلسفة البرجسونية من الجدة والابتكار . قامت شهرة برجسون على مذهبه في الاحساس الذاتي السيكولوجي ونظريته الجديدة في الحرية وفي البقاء . وفي كتابه ، المادة والذاكرة ، تناول مسألة العلاقات بين الروح والعالم الخارجي وبنى علما روحيا تحليليا لم يسبقه اليه أحد من الفلاسفة . وفي ، التطور الخالق ، شرح الحياة . على ان الكثير من المعجبين به لا يكاد يعرفه الا من كتبه الصغير في موضوع ، الضحك ، في حين انه طبع الجيل العلمي الحاضر بطابعه . وهذا العصر الفلسفي انما هو عصر برجسون . وهو كفيلسوف ناقد جرى في تحليله صادق النظر قد أظهر الفكر الحديث . ولكنه الى ذلك كان بانيا جدد فكرة الحقيقة والمعرفة حين كمل الذكاء المنطقي بالاحساس الذاتي السيكولوجي . وكان منكورا . ونظرية الزمن وفكرته في الحياة وفي الروح . ولقد بسط فلسفته في الحياة بأبداع أسلوب وبعمق اديه هي الباعث الجوهرى على شهرته العالمية .

ولما نظر برجسون الى الحياة نفى عنها كما نفى ديكرت كل الاوهام وكل براهين المنطق المجردة . ونبه الى ان معرفة الانسان بنفسه اصعب من معرفته بالآخرين وان الانسان يجهل ذاتيته العميقة بالنظر الى اعتياده ان يجعل ذاتيته متصلة بشباهها من الذاتيات الاجتماعية كقطع العملة . وبنى على ذلك مذهبه في الاحساس الداخلى . والاعتماد على البصيرة في ادراك الاشياء وفي ادراك الانسان لحقيقة نفسه عنصر جوهرى في مذهب برجسون . وانما ينبغى للانسان ان يحى اولاً لكي يستطيع ان يفهم الحياة . ومقدار ما نحب الحركة والارادة الملهمة والطموح والنهوض نزداد قرباً من مذهب برجسون

على ان لصاحب ، التطور الخالق ، تأثيراً آخر هو تأثيره في الجمال الفنى لعهدنا . وهو لعمرى اقوى واشد قرباً من تأثيره في العادات وظاهر ان هناك اتفاقاً طبعياً

بين مذهب البقاء الحقيقي والالهام الفنى . فرجع برجسون ارباب الفنون الى المقام الاسمى وقد رأى فيهم مثال الممتازين فى الوجود . وهو نفسه لم يترك الاستعانة بوسائل الالهام الذاتى التى ينطوى عليها الفن لى يجعل آراءه محسوسة شديدة الاتصال بالشعور .

ومن أجل ذلك عده كبار رجال الادب مصدر إلهام . واتفق فى عهد ازهارار المدرسة الرمزية ان انهر شعراء تلك المدرسة حين تجلى لهم اتفاق المثل الاعلى الذى يتبعونه مع بعض آراء برجسون فى مذهب الاحساس الذاتى . ومنذ ذلك الوقت صار كبار المجددين يستلهمون من نظرية برجسون فى الشعور بالذات والحياة السيكولوجية . وينسب اليه بعض الادباء الفضل فى تحرره فكراً . التحرر من العبودية الفكرية التى كانت قد فرضتها مذاهب « ستوارت ميل » و « ريتان » و « تين » وتحمس لذلك التعليم الفلسفى الجديد الذى قام على الحق والتجربة . ولما نكر مع ذلك ان الكثير من بين الكتاب المحدثين لم يلفوا من الثقافة شأواً التغذية المباشرة والشخصية من آراء برجسون . وهم مع ذلك برجسونيون وان لم يتنبهوا الى ذلك . لان المذهب قد صار على ما يظهر بتأثير سريانه فى الجماعة مفهوماً من كل عقل قد ير على ابدط ضروب التفكير . وما من أحد يقتنع بأن التجربة الحقيقية الوحيدة هى التجربة الشخصية لا يتردد فى وضع الصدق فى تصوير الحوادث والامور فوق كل شىء .

اما فى دائرة العلوم البحتة فان عمل البرجسونيسم ابطاً واشد قبولاً للجدل . وقد كان برجسون عالماً من قبل ان يكون فيلسوفاً ورياضياً قبل ان يكون سيكولوجياً . وتأليفه مبنى على المعرفة الدقيقة بكل علوم عصره . وما زالت نظراته فى الفلسفة خطراً يهدد الاخطاء التى شاع تصديقها . واذا كان برجسون قد وسع علم السيكلوجيا باعماله فان لتلك الاعمال المقام الاسمى فى نظر علماء الحياة . وهذا الاعتبار يعد برجسون بحق استاذ التفكير والاحساس فى عصرنا . واخلص الذكاء من شوائب الافكار القديمة . مقدار ما حرر الارادة من العبودية الصناعية والشعور من الاوهام التى تجمدت . وقد ارجعنا الى الصفاء والصدق والتأكد من الحقائق . ولم يسلم شىء ولا انسان من تأثيره . حتى الموسيقى تعتبر فناً برجسونياً لانها اقوى الفنون إلهاماً وإيحاءاً مباشراً .

٤ - برجسون وعلم الحياة

في رأى للسنور، أوجينيو رينيانو، الأستاذ بجامعة ميلانو، : ان علم الحياة مدين لبرجسون في مسألة لا تزال آراؤنا من حولها جد مختلفة . وهي تلك المسألة التي حلها بنظر صريح وبمجة قوية شأنه في كل المسائل فقال إن الحياة سلسلة من نوع خاص ، *processus sui generis* ، متباينة بصفة جوهرية عن العالم غير العضوي الذي يحيط بها . وقد كان العصر الذي حدثه برجسون بهذا الرأى يدين في البيولوجيا والفزيولوجيا بمذهب الميكانيزم المطلق أى بأن القوانين الطبيعية الكيائية وحدها تكفي لتفسير الطابع والمميزات الأساسية للحياة وان هذه هي طريقة النظر العلمية الصحيحة وان ما عداها ليس سوى . . . محض أدب . . . وقتئذ لم يرتفع صوت برجسون لمجرد تأيد أن الحياة شئ آخر اسمى مما يجري داخل معوجة زجاجية في معمل وانما نجح أيضا بما أوتي من بلاغة وسحر يان في ان يشرنا بذلك الطبع الفريد الخاص بالحياة نفسها .

وقد عني بنظره هذا الاحساس بالذات الذي يسرى في المادة ويتجه سواء كان في سبل الادراك بالبصيرة أم بالذكاء وفقا لانتباهه إلى حركته الذاتية أو إلى المادة التي يسري فيها .

أما نظره في ذلك « *العنصر الحيوى* » فانما أراد به ضمان ثبات القلب الخاص للمجموعة العضوية . هذا برغم البواعث المتعددة التي تترقى وسطها تلك المجموعة نفسها وبرغم أن وجهة النظر الوضعية لا تستطيع أن تقبل ذلك تفسيراً للحياة ولميزاتها الأساسية . ولما كان أميز ما يمتاز به « برجسون » أسلوبه الشعري القوي التأثير فقد أشعر - حتى الوضعية نفسها - بأن الحياة لا تحل بسلسلة ظاهرات طبيعية كيائية . وان الطابع الخاص للحياة إنما هو شبه طابع روحى . وبالاختصار قول أن وجهة نظر برجسون في الحياة ترمى إلى حل الخلاف القديم بين أنصار مذهب الحياة ، فيتاليست ، وأنصار مذهب الآلة ، الميكانيست ، وإليها وحدها ينسب الفضل في نشوء ذلك النظر الجديد في حل لغز الحياة عن طريق الطاقة الحيوية

وفي رأى آخر للدكتور « مورج » ، أنه لما صدر كتاب « المادة والذاكرة » بتأليف
برجسون — سنة ١٨٩٦ لم يكن بين غالبية المشتغلين بجراحة المجموعة العصبية من
يشك في الصبغة النهائية التي وصلت اليها اذذاك طرائق البحث في ذلك العالم والنورولوجيا ،
وقد كان المظنون بفضل أبحاث العلماء « هنريج » ، « مونك » ، في ألمانيا و « شاركو » ،
وتلاميذه في فرنسا أن معضلة الاوضاع المخية قد حلت نهائيا وان خريطة المخ قد
وضحت بصفة تامة وظائف كل جزء من أجزاء المخ قد بينت . غير أن برجسون
جاء وتناول بالبحث الدقيق وبالتقد مجموعة الملاحظات الخاصة بالنطق أى
باضطرابات اللسان المقترن بعاهات موضعية في المخ وأفضى بيحه إلى هدم النظرية
الاولى . وكان عمدته في البحث تلك العلاقات الموجودة بين الروح والجسم
ومن يدرك مقدار استساك العلماء الجراحين والمشتغلين بالمجموعة العصبية
لذلك العهد بالنظرية القديمة يقدر جرأة برجسون في هجومه على ما قد تم التسليم به
كحقيقة تؤمن بها نخبة الاختصاصيين في العالم بأسرة . وبذلك اضاف « برجسون » صفحة
خالدة الى تاريخ العلم في نهاية القرن التاسع عشر . وفي الحقيقة ان وجهة النظر التي
انتهى اليها برجسون ورأيه في أنه ليس هناك مراكز للصور في المخ صار اليوم من
الآراء المسلم بها من الاختصاصيين الجدد بفضل أبحاث « بير مارى » الجراحية الباثولوجية
وأبحاث « هنرى هيد » ، « دونا كوف » . وليس معنى هذا انه لم يبق لمنهج الاوضاع
المخية انصار . فقد نشر « هنشن » (من جامعة اوبسال) على اثر الحرب جزأين كبيرين
في تأييد ذلك المذهب الذى كاغته برجسون كفاحاً كلل بالفوز

وهناك على الدوام اختصاصيون يبحثون في مركزية الظواهرات الروحية في هذه
الناحية او تلك من المخ . وقد وضع لنا برجسون السبب وعزاه الى ان خاصية الذكاء
انه يحزى ، الحقيقة كما يحزى ، اللسان اصطناعيا الكلمات غير أن الترقى الفنى (فى الطب)
دل على انه ليس هناك ماء آت ميكروسكوبية خثة على القشرة المخية .

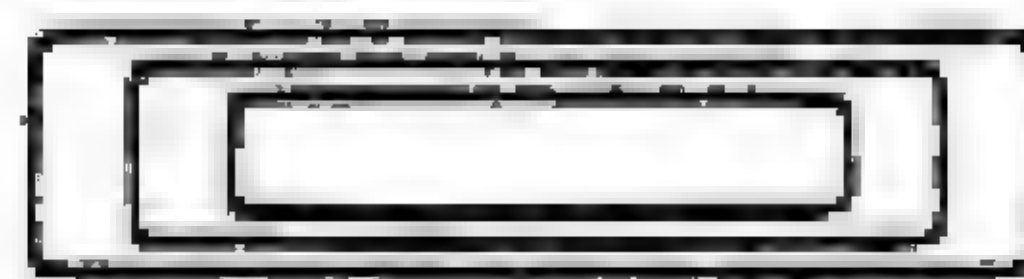
ويتحدثون الآن عن مختلف الطبقات التي تظهر بالميكروسكوب ويتألف منها المخ .
فقد زعم الجراح الالماني الكبير « اوسكار فوغت » (من برلين) في محاضرة نشرتها اخيرا
جريدة « البرافدا » ان البحث الميكروسكوبى لمخ « لينين » الذى تولاه بنفسه عدة سنين

مدد على النمو الخارق لانسجة الطبقة الثالثة من المخ وامتدادها وقال بأن لنلك علاقة بروحية ، لين، Psychisme ونحن اذا سلنا بان هذه النتيجة صحيحة موضوعيا فان من الخطأ هنا عزل ظاهرة بصفة صناعية عن حالات وجودها وانه لولا عديد من العوامل الاخرى (الغذائية على الاخص) لما كان لتلك الطبقة الثالثة من المخ ذلك النمو الخارق الذي زعمه أوسكار فوغت ، لانها ليست طبقة مستقلة عن الطبقات الخمس الاخرى التي تتألف منها القشرة المخية .

وتسيطر نظرية الزمن على كل حياة النظام العصبي . ويعرف الاطباء من عهد ابقراط ان معرفة المرض ليست اهم من معرفة تطوره في الزمن . على انهم يعدون ذلك من المسائل الاولى التي لا اهمية لها .

هذه كلمة في غاية الإيجاز عن برجسون الفيلسوف نكتفي بها الآن لكي نبدأ في المقال التالي بنقل ملخص كامل لفلسفته بالاعتماد على محاضرات الاستاذ جاك شيفاليه وموعدها العدد التالي .

عبد الحميد سالم



موسيقى شوبرت



شوبرت أخصب الموسيقيين وأغزرهم في تصوير الأدب والتعبير عنه والتفكير فيه وما دامت الموسيقى تثير في الإنسان شجوناً أنفذ من الأدب فآثره خالد . موسيقاه كأصوات الطبيعة لا أثر للجهد المضي أو لعمل المجهود فيها . اذ أسلم نفسه للملاكي الحب والجمال فأفاض عليه من وحيهما الفياض فتلاشت نفسه أمام العظمة الكونية التي خلقتها أنعامه . لم يك شوبرت من العبقرين الذين يخضعون لشیطان نبوغهم فنكبت العاطفة والغريزة الشخصية عندهم بقدر أو تفنى فلا يصبون إلا إلى العالم اللانهائي بل كان جم التمتع بكل ما في دنياه من جمال وصداقة وخبرة يقظ الشاعر

والفكر دائم اللذة الروحية دائم التصوير لضروب الحياة . فكانت كل ضروب التفكير والعاطفة لها عنده شجاءها ولذتها ومعناها الذي يتغلغل في أنحاء النفس فهو أقرب الشبه بكيتس (الشاعر الانجليزي الشاب) أو شكسبير في مستهل عظمتهم إذ لم يك بعد إلا شاعر الاغاني (فينوس وادونيس) ومن السهل أن تجد صنوه بين الشعراء عن أن تجرده قرينا بين الموسيقيين للحرارة التي تشع في نغمه لا عن تعدد واصطناع بل سريان عناصر الطبيعة .

بدأ عظميا مبدا . فاشودة (جرتشن أم شبنزاده) Gretchem am Spinnrade (الفتاة ذات الطوق) كتبها وهو ابن السابعة عشر .

فتش كيفما شئت فانك لن تجد موضع ضعف أو اشارة شخصية في أغانيه وإن البساطة والسهولة التي يتملك بهما موضعه في سداد وتوفيق الهام يلغانه ذروة الفن وأغاني الحب التي نظمها تقرب من روح التقديس والعبادة فهو في عمق تفكيره وانشاده وانغامه متصوف وعنده امتزج الشعر والموسيقى واقترنا في روح واحدة اقترانا لا تفصم عروته الوثقى وقد كان ذلك يستعصى على من قبله من كبار الموسيقيين

وفي طفولته كان شعر شيلر وجوته مضرب الامثال وأغانيهما نخر العالم المتكلم بالالمانية . وكانت (جوفينا) مشبعا بالروح الموسيقية . وبينما كان الموسيقيون الذين سبقوه مقيدون بالشكل والاسلوب مرغمين على شيء من التقليد والجمود . كانت الموسيقى عند شوبرت أداة مطواعة مواتية للانصاح عن كل ما يحيش بالنفس والتعبير عن كل ما يحول بالنفس البشرية أداة مرنة لعبوة طروبة مريحة أكثر انصاحا عند شوبرت . من اللغة ذاتها . فقد كان شوبرت يرى أن الغناء يجب أن يكون خادما للفن لا سيدة .

وكانت الاغنية محبة عنده أكثر من القطعة الموسيقية الغنائية بحيث قد تكون مقطوعاته الآلية ثانوية .

وكانت القصيدة تنالها نفسه فتحيل الالفاظ نغما شجيا ينفع فيها من سحر نفسه فتخرج قطعة فنية ملتبة مستعرة بقوة الشاعر على قدره وفق بين الاسباب والايحار

وفي اغاني هذا الساحر يفيض الحزن الى فرح وينقلب الفرح حزنا وكل ذلك في
حلاوة ولذة دون عنف أو تعسف أو اسراف . ومات شوبرت ولما يقطع مرحلته الفنية
الاولى . مات صريع الحب - مات في مستهل الرجولة ونجمه متألق السني فانطفأت
تلك الشعلة كالشهب دون ضعف او وهن اذ كانت آخر سنى حياته احفها بعظامم الفن
واروع البدائع ومأساته انه وثق بالعالم اكثر مما يجب لهذا العالم ان يوثق به .

فققره والمرض الذي احناه والامتهان الذي جراه فقره فبهته الى الشعور بالفاصل
بين العالم المادى بفلسفته واعتداده بسلطانه وقياس قوته ضد القدر الغشوم والعالم
الروحي الخالد حيث لا حدود ولا كفاح ضد قضاء محتوم .

مزاييا موسيقاه : امتزاج الجندل والخيال وامتزاج الفكر بالعاطفة وذبوع انغامه لم
يخرجها الى حد الابتذال في اى منها اذ هي ترد يد دائم وصدى خالد لرؤيا حافلة
بالشجن والخبرة السامية . وان نعمة الخنان التي تسيل بها اغانيه لهى نعمة احس
واذراك عميق لمعنى الحياة . يقولون انه آله الموسيقى البحتة بل ان موسيقاه خير من
صورت الموت والحياة في نغم عميق ينزع جمال الموسيقى منه كل كآبة ويشذب حواشى
الاحساس حتى ينساب الحزن الى فرح ويقتربنا ويمتزجا الى انشودة الحياة والانتصار
انتصار الخلود والجمال وهذه روعة الفن وخلوده فالموت عنده رمز للوحدة والالتصام
مع الكون لا رمز للفناء والعدم . ان خبرة شوبرت بالموت لهى خبرة اسى حيوى . خبرة
صادقة لا شعرية فقط . اذ ماتت امه وقد ثكلت بنوها وهو صبي يحبو ولم يك ينظر
من طبيعته الباسمة المرححة ان يتجه الفكر فيها الى القبور وذكرى الموت . يد انه اول
مقطوعاته لحن مأخوذ من قصيدة شيلر Leichen Fantaisie حيث صور القبور والطريق
المؤدي اليها وعالم الاموات تصويرا حيا ثم لحن دلفين وهى تموت حيا .
اى ان الحب والالهام عند شوبرت يقربان من الموت فهما التغي في اللانهاية
وسبل الروح ثم لحن الانتظار Erwartung (عن قصيدة لشيلر) حيث يصور غروب
الشمس وقدم الليل . ثم وتمجيد الدموع ، وآف مارييا (وداعا يا مريم) فهو قرين
الشعراء وهو خالد اذ تنول بنغمه تصوير الملوك والصعايلك . إن الأغاني التي نظمها جوته
ولحنها انشودة الاشباح على حافة الماء Gesang der Geister über die Wassern

لتصعد بنا فوق صفاتها الغنائية الى اسمي ذروة المتعات العقلية .
حياته طفولته شعرته . وكانت له منذ حداثة مفكرة لم تتسع لتدوين شؤون الحياة اليومية
وشجونها ، انما لافكاره وتاج عقله — كان له من الصفات المحبة ما جذب اليه الأصدقاء .
وفوق ذلك كانت غريزة الصداقة متأصلة عنده . وكان صديق كل شعراء فينا في ذلك
العصر فكان كل ما يقع عليه نظره من شعر ناقص أو الهام غير موفق التوفيق كله
أو فكرة قد تكون عرجاء لم تستوعب على قدميها بعد أن تصهر في بودقة نغمه الفيض
وكالساحر تنصهر فتخرج سبائك من الأصوات الخالدة .

كان صديقه شوبر وماير هوفر . يد أن صديقه الروحانيين كانا شيلر وغوته
فسما معهما وحلق في سماء الشعر الفخم والمعنى السامي . وكلما صعد في ملكوت الفكر
كلما ازداد بهما التصاقا وتماشي مع عظمة نزعتيها ، فكانت الحياة عنده كنزاً من
الحقائق والاخليلة وصوراً دائمة التبدل من لفة الوجود ومتعة الحياة

ولد شوبرت في فينا غرة شهر فبراير سنة ١٧٩٧ وكان والده معلماً في بلدة ليوبولد
شادت ومالبت ان ذاع صيته لجمال صوته فقبل طالباً في الموسيقى والغناء في معهد
الغناء الديني الإمبراطوري فبدؤوا يلقونه مبادئ الكمنجة في مدرسة المنشدين . وهنا
ظهرت عبقرته فرغما من أنه لم تتح له فرصة تعلم أصول الانشاء الموسيقي كان دائم
الدباب من نعومة أظفاره على تناول ورق الموسيقي الذي كان يمد به زميل قديم في
المعهد الموسيقي وكتابة العلامات الموسيقية كما كان يمليه عليه خياله الخصب دون
الرجوع إلى أصول موضوعه وكان يترنم بموشحاته وأغانيه كلما خط منها سطرأ وذلك
وهو لم يعد الثالثة عشرة بعد

وفي سنة ١٨١٣ ترك شوبرت المعهد واتقاه لشر التجنيد العسكري درس ثلاث
سنين في معهد والده غير أن ذلك لم يش عزمه على موالاة الانشاء والتلحين فكان
يلحن الأغاني والمقطوعات بسرعة معجزة فكان يتناول أشعار الأقدمين أو تلحين
مهملاً بطراً على فكره فيستحيل في يديه نغماً ملهما مشحوناً بالشجي مفعماً بالعاطفة
يملاً الأذن جمالاً والقلب روعة . وفي سنة ١٨١٥ نظم مقطوعتين من نوع السيمفوني
ونخسة من نوع الأوبرا ومائة وسبع وثلاثين من الأغاني (نشر منها سبعة وستين)

يد أنه لذلك الحين لم يقدر القوم عبقريته بعد . وآية ذلك أنه لما تقدم في طلب الحصول على وظيفة حكومية كعلم في احدي مدارس الموسيقى مرتبها يقرب من عشرين جنيهاً في العام رفض طلبه ، لعدم كفاية المؤهلات ، كما قيل في ذلك الحين . فتأمل !

وفي سنة ١٨١٨ عين معلماً للموسيقى لبنتى الكونت اشتريهازي وكان في أملاكه قد قارب العدم . غير أن ذلك لم يدينه من الثراء قيد اثلة بل ظلت حياته سلسلة شقاء وخيبة أمل وصراع عنيف مرير وظل كدوداً كدود القز دائماً ويهلك عما وسط ما هو ناسجه

ونضجت مقطوعاته مع الزمن فصارت قطعاً من النغم الخالد مسددة الإلهام محتمة التصويب نحو حبات الاقنعة . وكانت هموم العالم الثاني لانتني من عزيمته كأنما كان يترنم ويلحن بالهام آلهى لا يحيد له عن السير طوع ابجائه

وكانت مقطوعاته من الوفرة بحيث سأل مرة عن ناظم أحداها فخار في الجواب . وقطعته الخالدة ، انصت — انصت الى صوت القنبرة ، (تلحين بقطعة من نظم شاكسبير) كتبت في احدي مشارب البيرة (حداثى البيرة كما يسمونها في المانيا) على احدي قائمة من قائمات الطعام والشراب بعد ان قرأها مرة للمرة الأولى وقد لحنت مقطعتان أخريان خالدتان وهما ، من هي سلفيا ، و هلم ملك الكروم ، في مناسبة كهنه وكان على قاب قوسين أو أدنى من الحصول على وظيفة يتبعها الثراء والشهرة وهي ترشيحه ليكون رئيساً للموسيقى في مسرح البلاط الامبراطوري في فينا وطلب منه أن ينشأ قطعة موسيقية

رأى انها فوق متناول صوت ، البريمادونا ، وطلب منه أن يدها فأبى وكان من جراء ذلك أنه فقد هذا المنصب

ولا يعيه أنه لم ينظم مقطوعات طويلة كموزات وينتهوفن اذ عبقريته تجلت في الاغاني والتواشيح

ثم انهكته الامراض بعد ان ابل المرة تلو المرة ثم لم يحتمل جسمه المضني وعقله المنهك تباريح المرض أصابه هذيان أثر عشاء في الثالث عشر من اكتوبر سنة ١٨٢٨ وتوفي بعد ذلك بأسبوع ولم يترك من المخلفات الا ما يوازي جنيهين ونصف حسب التقدير الرسمي . ودفن في أورترز فريد هوف على مقربة من وينتهوفن

نهضة الترجمة والتعريب

بمناسبة صدور الطبعة الثانية من قاموس

الدكتور محمد شرف

في العلوم الطبية والطبيعية

- ١ -

تفضل الدكتور العلامة محمد شرف بأن أرسل إلى العصور مقدمة الطبعة الثانية من قاموسه المعروف . ولقد آثرنا أن لا نكتب في هذه المقدمة شيئا من عندنا بل عمدنا إلى نشرها تباعا في أعداد العصور بنصها الاصلى . فان الاطلاع على هذه المقدمة مما لا يستغنى عن مترجم أخذ في نقل علوم الغرب إلى الشرق ولما في بعض ما يعاينه مترجمو الكتب العلمية من المصاعب التي تعترضهم في ترجمة المصطلحات العلمية وتعريب أسماء الأعلام . ولا يسعنا في هذا الوطن إلا أن نهيب بالباحثين إلى مناقشة آراء الدكتور الفاضل إذا رأوا فيها ذهب إليه رأيا يخالف آراءهم فان النقد محك الحقيقة . والعصور ترحب بشركل رأي ومناقشة كل مذهب توصلنا إلى الصواب في أمر تعتقد أنه من أقوى الاسس التي سوف تقوم عليها نهضتنا الحديثة .

مقدمة الطبعة الثانية

الفرض من تأليف هذا المعجم .

(أولا) تعريف الناطقين بالعربية بالمفردات القديمة والمستحدثة والاصطلاحات الحديثة في الطب والطبيعات وما اتصل اليها من فنون وعلوم

(ثانيا) تقل الاوضاع التي يكون لانتشار خلوا منها أو لا مقابل ولا مرادف لها فيه لافتقارنا اليها ، وإيراد أوضاع عربية طريفة تؤدبها أو الباسها حلة عربية فتتسع بذلك اللغة وتتوافر فيها الوسائل التي تنمى بها مع ما تتطلبه سرعة التقدم في هذا العصر ويسهل علينا الاحتذاء بالأمم الغربية ومجاراتها في التقدم والحضارة.

(ثالثا) استيعاب أكثر الألفاظ العلمية ، واستجلاء غوامضها وكشف حقائقها في كتاب واحد ، يكون سراجا يهتدى بنوره الطلاب ودليلا يركن اليه العلماء ، وسفراً جامعاً لما يختلف به عنهم ما يلاقونه من العمى في التعبير إما لعدم وقوفهم على الألفاظ العربية ، وإما لقعود اللغة الفصحى عن متابعتهم عن مجازاة **المصر الحاضر** بالتأدية الحسنة والتميز الدقيق ، وليذكركم بما ينبغي أن يذكروه ويوجد لهم ماضع مما يجب أن يحفظوه وغير ذلك مما يؤيد الذين درسوا هذه العلوم باللغات الأجنبية في معرفتهم بها ويؤمنهم بها ويؤمنهم من الأسترسال في تشويه اللغة العذائية بالأكثر من ادخال الألفاظ الأعجمية على حالها ، واستعمالها في التأليف والتعريب ، أو تداولها في المحادثات ، لأن في العربية من الألفاظ والمعبدات وصيغ الاشتقاق وأسرار الوضع ما يكفيهم مؤونة الاستعارة من غيرها في أكثر المواضع .

(رابعا) إصلاح النقص البيّن في معاجم العربية ودواوينها ، لأنها لا تحتوى إلا الألفاظ الفصحى القديمة دون المستحدثة أو التي عُرِّبت منذ وضع هذه المعاجم ، ولأن فيها ألفاظا كثيرة مبهمّة أو غير صريحة التأدية وألفاظا مصحّفة أغلقت معناها وألفاظا مهجورة أو ميتة وماهى كذلك

بل يجدر بها بعثها وإذاعتها ، وأخرى تديرت بمعانيها المأروحة بتغير
الزمن أو الأصقاع أو ضاقت بالمعاني الحديثة بفعل الحضارة ، ولأن فيها
أسماء كأسماء الحيوانات والنباتات لم تُعين ولم تُحلل واكتُفي بوصفها
هذا نبات وهذا حيوان وهذه دَوَابَّة ، ولأن الالفاظ العلمية في العربية
تفتقر الى التحرير والتخليص وتحديد ما يقابها الآن في اللغات الفرنجية
لما أصابها من تزيير المدلول وإرادتها بتوالي العصور حتى يهتدى الكاتب
المدقق الى استعمالها في موادها الصحيحة بدون خلط أو لبس وتم
الفائدة من التأليف والتعريب الحديث .

وقد أسلفنا القول اجمالاً في مقدمة الطبعة الأولى على ما في استيعاب
هذه الاغراض بحملتها من الجهد والتعب وما يقتضيه من الكفاية وسعة
العلم بلغات فرنجية والإحاطة بالعربية وبذل الجهد وتوفير المهمة ، وأنمت
الى ما قلنا من أهوال عمراً طويلاً أبحث وأنقب للمثور على صحيح
الالفاظ والمفردات فيما ظفرت به من مخطوطات أو مطبوعات عربية أو
فرنجية وما استوعبته من عشرات المعاجم ومئات الكتب والمجلات
ذكرت القليل منها في قائمة الاسانيد ولم أذكر أكثرها لضيق المقام .
ولقد استنفذت جهدي مشغولاً بالنهار ساهراً أكثر الليل في المراجعة
والتحصيل مجداً في التحقق من موافقة الالفاظ والامتها من التعريف
والتصحيح والزيادة والنقص والإبانة عن المعنى بالفاظ مناسبة ووضع
الأوضاع الجديدة بالصيغ التي ترجع الى أئمة علماء اللغة ، ونجيت بما
ضحيته من صحتي ومالي في سبيل انجاح هذا العمل ولم تعز علي أية تخجية
في خدمة لساننا الشريف ، وهان علي كل تقاض في ارضاء نفسي ورفعته

بلادى . غير أن الحظ العاثر لم يشأ أن يغفل عنى الحسد وذووه من
 مواطنى ، اذ سمعت بما تواتر فى مجالس بعض المتطفلين على العلم والادب
 من أنهم اتقصوا من شأن عملى وجهدى ووصفوه بتجرد الجمع أو النقل
 عن السلف مع أنك لو أخذت المعجم وتصفححت آية صفحة شئت منه
 ثم انتقلت الى معجم آخر لتبين لك أنه عمل انتاجى فريد فى نوعه . وقد
 عجب بعضهم من من أن الوقت الذى ذكرته وحددته بستة أعوام لا يكاد
 يكون كافيا لإخراج معجم بهذا الحجم ، ونسى أن هذا الزمن كان
 ما أتفقته فى المراجعة والنسخ والاعادة والطبع . ومع كل فقد نال المعجم
 الحظوة عند الكثيرين وتبوأ منذ ظهوره مكانا عليا فى عالم العلم واللغة
 وإن ينال حسادى بكلامهم أو سعيهم منى غرضا ، ولن أعبأ بما قالوا
 لتجرده من الدليل والبرهان فضلا عن عدم خلوه من الغرض

غير أن بعضا من المريدين والأصدقاء من أهل الادب والبيان ومن
 رجال الطب والعلم أخص منهم بالذكر المرحوم الدكتور صروف
 والدكتور أباشادى قالوا انى صدرت الطبعة الاولى بمقدمة وجيزة لم أبين
 فيها ما حدا بى الى وضع هذا المعجم وكيف بدىء والإلم نحى ، وكيف
 أتمته كتابا تساهم فيه هذه العلوم الكثيرة الواسعة وحدى . وطلبوا
 الى ان أنصف نفى وأكتب فى الطبعة الثانية تاريخا لعملى أبين فيه
 الطريقة العامة التى اتبعتها فى تأليف المعجم يبتنا وافيا حتى يسقط عنى
 الاعتراض على من الذين لا يرون . أعماله وما الغرض منه ولا يجدون
 ما يحتاج به على . وأن أدلى للعالم العربى بدم الصنعة لاظهار مناحى اطلاعى
 اللغوى والعلمى وذوقى فى اختيار الكلمات وتقدها واشتقاقها والسبب فى

اجازة هذا وإهمال ذلك وإيثار هذه على تلك حتى لا يكون مكانى من اللغة
مجهولاً من بعض القراء وأن أشرح الصعاب اللمحة التى يعانىها مؤلف
المعجم وكيفية التغلب عليها مع ابتداء رأبى فى مبلغ ثروتنا اللغوية العلمية
وقابليتها للنمو ومجادة اللغات الفرنجية الحية وما يجب أن يكون عليه
الاسلوب فى الترجمة والتعريب والمقابلة بين الاصيل والدخيل وما بين لغة
الترجمات والمؤلفات الطبية والطبيعية القديمة ولغة نظائرها الحاضرة قبل
شروع الطبعة الاولى فى الايدى ، والمرتبة بعد الموازنة التى يقدمها هذا
المعجم لرجال التأليف والترجمة إذ جعل من اللغة العربية الفصحى شراً
سائفاً فى تناول الجميع . وبالاختصار ألقوا على أن أكتب لهذه
الطبعة مقدمة مسهبة تروى غلة صادى الى معرفة جميع التفاصيل المهمة
المرتبطة بتأليف هذا المعجم وآراء صاحبه اللغوية العلمية حتى يكون من
هذا البيان الجامع هدى كافٍ ودرس وافٍ لانصار العلم واللغة ولأصحاب
التأليف ورجال النقد . وزادوا على ذلك قولهم إن الكتاب سيقع فى
أيدى مستحسن وغير مستحسن له وأن ليس فى وسع كل انسان أن
يستدل من هذا البناء الشائخ - خصوصاً وأنه لم يصدّر بالتصدير الوافى -
على الأدوات والطرق التى اتخذت فى انجازه . ومن هو أولى من الرأى
فى شرح أساليب بنائه ، أو أحق من المؤلف فى بيان صورة نفسه بتأيد
به أفواه المعترضين ويضرب به على أيدى الحاسدين العابثين ، فالى
بالتقارى البيان : —

بيان الطريقة العامة فى التأليف

منذ أخذت فى ترويض نفسى بقراءة الكتب العلمية كنت

مشغولنا بمعرفة ما يقابل أوضاعها في العربية ، وقد هجمت بفكرى على ما وعيته منها وتصورت وجوه جماها وتفاصيلها ، وأخذت في البحث عن مستودعها . وكان لابد لي من تقييد أوابد العربية تقييدا صحيحا ، وإحياء آثار أساطين السلف من أثائها ، والتي كادت تزول من الوجود بالترك أو النسيان ، كما كان لابد من تعرف المعاني الحقيقية للألفاظ وتصحيحها وإخراجها على وجهها الصحيح . ولما رأيت أنى متسع وجدت أن لابد من وضع ألفاظ حديثة أو اشتقاق كلمات مأنوسة الصوغ اتخذها من نفس لغتنا العربية وأنتجى فيها انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه ، أو استعارة ألفاظ من اللغات الفارسية أو الغرية للدلالة بها على المدلولات التي لم يعرفها أسلافنا خلوا زمنهم منها ونصطلح عليها اصطلاحا . وكان لابد من اتخاذ طريقة قوية وتقرى منهج واحد أراعيه ، واتباع نسق واحد ألاحظه لتصوير الألفاظ والأعلام الفرنجية بالحروف العربية . وكان لابد لي أيضا من اتخاذ أحدث الطرق للتقييد وتسهيل المراجعة ، ومنع اتخاذ وضع واحد للدلالة على ألفاظ أو معان مختلفة ، ومنع إعادة النسخ أثناء الترتيب الختامى للمعجم

أقبلت على الاضطلاع بذلك وتعاقت به في صيف سنة ١٩١٢ ميلادية وأنا مقيم بلندن . فكنت أتصفح كل ما ظفرت به من كتب أو مجلات عربية أو انجليزية في حوزتي . أو سهل الاطلاع عليها من خزان دار التحف البريطانية ، وأستقي موارد من كل صوب ، وأقتطف الأثمار من كل مؤلف يرجى منه أن يساعدننى على حسن اداء عملى ، ولما لم يعد الاستظهار كافيا . لجأت الى التدوين وتقييد كل ما وقع الى

في دفاتر جعلتها أئمة ، ورتبتها على أحسن ترتيب بحيث يتيسر الهجوم على طالبتي موضوعه موضعاً حسناً وسهلاً بدون احتياج الى كبير عناء ، ولما كثرت من المطالعة وُجِدت في ميدان المراجعة ، أستجمع المفردات والمعاني المشتتة ، واتسعت أمامي دائرة البحث وكثر ما اجتمع لدي ، عزمت على تصانيف معجم ، ولكن تجلت أمامي صعوبة ما تصدّيت له ووعورة المسلك الذي سلكته وطوله . غير أنني كلفتُ بذلك كلفاً ولم يتخلل اقبالى عليه فتور أو انقطاع إلا في الاقاوت التي كانت مذاكرة العلوم الطبية البحتة تحول دون قراءة ما عداها .

وبعد التشاور انتهيت في ختام سنة ١٩١٤ الى اقتباس طريقة شنون (Shanon) من الطرق الحديثة لتنظيم القسّم والمراجعة وتوفير الزمن والجهد ، وأخذت في تهيد كل لفظ أو مفرد عربي على تذكرة خاصة وامامه ما يقابله بالأبجدية او اللاتينية او الفرنسية . وكنت كلما طالعت كتاباً او ديواناً او معجماً من معاجم العربية المختلفة المؤلفة قديماً او حديثاً استخرجت منه المفردات والألفاظ المطلوبة ، مشتبهاً أمام كل لفظ مرجعه وأسانيده ومواضع نقله ومواطن أخذه بالأرقام والاختزالات احتياطاً للدقة العلمية واستظهاراً على كل معترض .

ولما استنفدت قراءة دواوين اللغة والشعر والمعاجم والموسوعات العربية ، وأخذت بُعْثِي مما عرّب أو ألف في علوم الطب والطبيعات قديماً وحديثاً ، ولم يبق بين كتب الادب والشعر والعلوم مما تتناوله الايدي أو كان مكنوزاً في الخزائن العمومية إلا وأُجِدت فيه نظري ، تجمع لدي زهاء ٤٥٠٠٠ تذكرة بدأت في ترتيبها على حروف المعجم

الأجنبية واضعاً كل حرف في صندوق خاص مرفوم به . وأخذت في الاستمرار على هويّتي وملهاتي ، أقضى بها جميع أوقات العطلة والفراغ وأعمل على إحسانها في صمت واحتشام . واستعنتُ بكاتبين لتتسخ على الآلة الكاتبة ومراعاة الترتيب الهجائي

وإذا علمت أن ما بذلته من الجهد ، وكيف كنت مكباً على عملي لأفارقة ، ناسياً في خدمته الشهوات ، حريصاً على ادخار كل من يعاونني وتدوينه أولاً بأول ، ثم مبلغ جهدي في ضبط الالفاظ والمفردات والنظر في كل كلمة من كلمة حتى إذا رأيت مفرداً أو معنى ناقصاً أو مفقوداً ظلت أبحث عنه حتى أجده وألتمسه من مظانه

إذا علمت ذلك فانك تقدّر مبلغ العناء الشديد الذي كابدته . وكم رثي لحالي أصدقائي إذ كان غرامى به يستسهل كل صعب في سبيله ، وما كنت أضمن بأى مجهود أو وقت في حسن أدائه فكنت أسهر أجفاني في قراءة كل ما عرفت أنه يفيدني في سبيل هذه الأمانة العلمية كما كنت أجمع أشات الكتب المختلفة لأنظر فيها والوقوف على أسرار ما جاءت به . وإذا وجدت الكتاب المختص مصنفًا بلغة لا لأعرفها فاني كنت أنستعين بمن يترجمه لي . فكنت أقرأ كتب الفقه الاسلامي والحديث الشريف لاختيار أحسن الالفاظ المتعلقة بالطب الشرعي وبالحمل والطهر الخ وكنت أقرأ كتب الكلام وشرح الحكمة وهداية الحكمة وشرح المواقف وكتابات أبي البقاء وكتب المتصوفين كالغزالي والخلاج وغيرهما وكتب ابن حزم الاندلسي لاختيار الاوضاع والمعاني المتعلقة بعلم النفس ، وكتبا كثيرة منها « خلق الانسان » للأصمعي

للاسترشاد في وضع ألفاظ التشرح ، كما كنت أقرأ كتباً للبديع
والعروض طمعاً في إيجاد معنى أو لفظ^(١) كما كنت أقرأ رحلاً بأكلها
لخلاف الرجال ورواد آسيا وإفريقية من أمثال Heuglin^(٢) Butron
Schweinfürth و Bruce و Shaw و Hemprich و Klunzinger وابن بطوطة^(٣)

أو عبد اللطيف البغدادي للتحقق من ألفاظ موضوعية لم ترد في أي معجم
من معاجم العربية ، أو لمعرفة أسماء النباتات والأسماك والطيور
والحيوانات والحشرات الخ . كما كنت أقرأ كتباً لهواة الصيد
مثل (Sluce) وغيره وكتب دور التحف الزوولوجية وكتب
Rowland Wards' Records of Big Game. للتحري عن أسماء الوحوش

والسباع .

كما كنت أقرأ كتباً في الصيد والقنص مع الشاه أكبر وتيمورلنك
للتحري عن أسماء حيوانات الهند وآسيا الوسطى . وأقرأ كتباً في التاريخ
والجغرافية الخاصة بكل صقع شرقي لأستمد منها أسماء الحيوانات

(١) كاختيار الالكفاء لمقابلة (Rhotacism) وهي أن يصير الراء لاما
أو حرفاً آخر من حروف الهجاء . والالكفاء في الشعر قلب حرف الروي من
راء الى لام أو لام الى ميم . واختيار الدغر (Kleptomania) من كلام الامام على
(٢) مثلاً لم أعرف حروف البحر (Manatus) أو فارة البوص
(Aulacaudus Swinderianus) أو أسماء نباتات كثيرة الا من رحلة
شوينفورت (Heart of Africa) ولا كثيراً من أسماء البحر الاحمر الا من
كلوزنجير

(٣) ولم أجد القمز مذكوراً بالعربية الا في رحلة ابن بطوطة لما شربه في القوقاز

والخمرات والنباتات مثل مؤلفات البيروني وابن الأثير وابن خلدون.
 ووصف مصر للبعثة الفرنسية وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر.
 لشمس الدين الدمشقي والقزويني وياقوت الحموي وأمثال كتب Blamfrod
 في الحيوانات الهندية وحيوانات إيران . ولم اجتمع بمختص في فرع
 من الفروع التي يتصدى لها المعجم الآ وكاشفته بعمل واستفهمت منه
 عما لم أحسن معرفته . فكنت مثلاً أسأل بعض أمراء مصر المولعين
 بالتصغر والمتصاين بالبدو عن مختلف أسماء الصقور والعقبان وتحري
 أوصافها المذكورة في الكتب العلمية الحديثة بمعاونتهم . وبالاختصار
 لم أهمل فرصة ساحت فيها حلت يلد من البلاد التي كان من حسن
 توفيقى التمكن من زيارتها والتشجول فيها ، التقطت كتابشتى وألفاظا
 مختلفة ، وتوخيت الاستفادة من أهلها ، كما كنت أسأل المختصين في
 علم طبقات الأرض عن أسماء المعادن والأحجار أثناء تجوالنا في الصحارى
 الخ . وكانت بعض أصول المعجم رفيقا ملازماً لي حينما انتقلت ، وكنت
 في جميع أسفارى أنتهز الخلوة للتأليف ، وأجمع بين التطفوف والاستفادة
 العلمية ، وأعيد فيما قيده نظروا التهذيب والإصلاح . ومن نأمل في
 الأسانيد المذكورة بين أقواس بعداً كثر الألفاظ ورأى أنى استشهدت
 بمختلف العلماء من فقهاء في اللغة إلى حكماء إلى أطباء إلى طبائعين إلى رؤاد
 إلى مؤرخين إلى شعراء إلى أمراء إلى غيرهم لتيسر الجهد والدقة التي
 تطلبها القيام بهذا العمل الفادح . فكم أنفقت فيه من أوقاتي واستنزفت
 من عافيتى ومالى في معاناة تأليفه ، وفي المخابرة بين الأقوال المختلفة وتخير
 الصحيح من الموهوم . ولكن مما هون على التعب وشق النفس وساعد

على عدم تدرب الملل والقنوط الى نفسى ، لكثرة ما يستلزمه هذا العمل من الجهد والنفقات فى اقتناء كتب نادرة واستئجار كتبه ، التشوق لقراءة مختلف الكتب العامة والتاريخية وكتب الاسفار والارتياح ، وأتى كلما أمعنت فى المطالعة وزدت غوراً فى قراءة العربية زاد اعجابى بها لما فيها من الثروة اللفظية وقابليتها للنمو المستمر ولما فيها من البلاغة والمآنى الباهرة ، وكلما ازدادت معرفتى بكلام العرب وادواكى احسن بيانه جرى فى جسمي مجرى السحر ، وذلك ما رغبتى فى استيعاب أكثر دواوين الشعر وكتب اللغة التى كتبت فى موضوعات مخصوصة من أمثال :

(١) كتاب خلق الانسان وكتاب النبات وكتاب النخل والكرم وكتاب الوحوش وكتاب الخيل وكتاب النعام للأصمعي وكتاب اللبأ واللبن وكتاب المطر لأبى زيد سعيد ابن أوس الأنصارى وسر العربية للشماعى .

(٢) كتاب الشجر لأبى عبد الله الحسين بن خالويه الهمدانى .

(٣) حياة الحيوان الكبرى للامام العلامة والخبير الفهامة للشيخ محمد الدميرى .

(٤) طبائع الحيوان تعريب أحمد فارس الشدياقى طبع مالطة .

(٥) الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى .

(٦) كتاب التعريفات للعلامة السيد شريف الجرجانى .

(٧) كتاب الآلات والحيل لهيرون والآلات المفرغة لهواء لفيلون البيزنطى .

- (٨) مجلة لغة العرب للكرملى ونجمة الرائد لليازجى والطبيب والبيان والضياء ومجلة المجمع العلمي العربى الدمشقى .
 (٩) مفاتيح العلوم تأليف محمد بن احمد بن يوسف الخوارمى طبع لندن
 (١٠) الكشف للتهانوى طبع الجمعية الآسوية الهندية بقاليقوط (كلكتا) .

- (١١) شرح إشارات ابن سينا للرازى والمنصورى فى الطب لمحمد بن زكريا الرازى ورسائل ابن سينا طبع لندن .
 (١٢) أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار للتيفاشى .
 (١٣) كتاب المختار فى الطب تصنيف الإمام شمس الدين بن هبل
 (١٤) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .
 (١٥) كتاب الحشائش لديسقوريدس اليونانى تعريب اصطفى واصلاح حنين بن اسحاق - صورة شمسية
 تفضل باعارتى إياها العلامة احمد تيمور باشا الخ وغير ذلك مما
 نذكره للتدليل .

ولم أزل كذلك ولم ينصرف عن هذا العمل شوقى حتى تجمع لى أكثر من ٧٠٠٠٠ لفظ . وانتهيت من تأليفه فى عام ١٩٢٣ واستغرق طبعه لأول مرة ثلاثة أعوام تقريباً .

وقد بذلت المستطاع فى أن يكون المعجم كاملاً وافياً بحكم التعريب خلياً من شوائب اللكسنة وسلبها من التحريف والتصحيف ومستجعاً أيضاً الشروط الآتية :

- (١) أن تكون الألفاظ العربية المختارة صحيحة الأصل قوية المنشأ

ومن أحسن ما يمكن إيراده لمقابلة الألفاظ الفرنسية .

(٢) أن يكون مقابل اللفظة الفرنسية بقدر المستطاع لفظة عربية واحدة بسيطة بحيث لو احتاج الكاتب إلى أن ينسب إليها أو يضيف إليها لفظاً أو أكثر يسهل عليه ذلك .

(٣) أن تفيد الألفاظ المختارة المعاني المطلوبة بأقل ما يكون من الوقت والكلفة أو مجرد سماعها أو قراءتها ، بدون إجهاد الفكر وإسراف القوة العصبية لتفهمها ، مع ذكر الفوارق بين المترادفات وأشباه المترادفات وتخصيصها وعدم الضن على الألفاظ الفرنسية والعربية بالمعاني المختلفة التي تؤديها

(٤) النحو في الوضع والاشتقاق مناحي العرب فلا تخالف المنصوص المقيس على المنصوص والمسموع من أولى العلم ولا تخالف القواعد التي جاء بها الذين هدام الله لعلوم اللغاه

(٥) تخير الألفاظ السهلة المأخذ والتلقى ، وإيثار العذب المستمع على المستثقل ، وتفضيل ما كان موافقاً للذوق المصري المصقول ، ورفض استعمال ما شنع تألفه ، والاقبال مما طال وأمل بكثرة حروفه الخلقية الثقيلة أو تطلب الكلفة بالنطق به

(٦) أن تكون المعاني صحيحة والألفاظ المختارة مخصصة على المراد منها بحيث تكون كالسمة المميزة للموسوم أو الرسم المختار للمرسوم والحد المميز للمحدود ، لأن الألفاظ للمعاني أزيمة وعليها أدلة وإن تكون أسماء النبات والحيوان والمعادن مطابقة تمام المطابقة للتسمية العلمية الحديثة مع بيان الفروق متى وجدت بين التسمية الحديثة والقديمة وذلك منعا لفقد الاتصال بالمؤلفات العربية القديمة

(٧) ضبط الالفاظ بالشكل حرصا على سلامة اللغة وحتى لا يُغلق
على القارئ فهمها

(٨) ان أخطأت لي طريقة قوية تُتبع لتصوير الكلمات المعربة
والاعلام الفرنجية بالحروف العربية.



ARCHIVE

<http://www.archive.org>

الشفق الباكي

نظم من شؤون وعواطف

بقلم

الدكتور أحمد زكي أبي شادي

يقع هذا الديوان الكبير في ١٣٣٥ صفحة من القطع المتوسط مطبوعا على ورق
صقيل مشكولا شكلا حسنا .

والدكتور أبي شادي غني عن التعريف . وقد أودع هذا الشعر كل الصور التي
استحالت لها نفسه . فاطلبه من جميع المكاتب ومن المكتبة السلفية بمصر

افضع جرائم القرن التاسع عشر ٤ - سر المقصلة

حول الساعة السابعة من مساء يوم ٥ يونيه سنة ١٨٦٤ دخل خادم المسيو بوكيه مدير سجن « لاروكيت » يخبره أن زائراً يريد التحدث اليه ، ولم يكن الزائر سوى « الفريد لويس فلبو » أشهر الجراحين الفرنسيين في عصره ، وقد تقدم الى مدير السجن يحمل أمراً من وزير الداخلية يقضى بالسماح له بزيارة زميله الدكتور ادموند دلا بومراي الذي كان ينتظر في السجن تنفيذ حكم صادر عليه بالاعدام ، فار الاثنان - مدير السجن والزائر - نحو غرفة المحكوم عليه بين قفصة أسلحة الحرس وقرقعة أحذيتهم ؛ وماهي إلا أن فتح باب الغرفة بإشارة من المدير الذي لم يلبث بعدها ان انصرف متوجها بحرسه تاركين الزائر ومضيفه وحدهما

وقد يكون من الصعب العثور على اجتماع للضدين مثل هذا الاجتماع الذي نحن بصدد منه ، فقد كان لويس فلبو أشهر جراح في العالم دأب على السعي في تخفيف آلامه ؛ أبوه يطار نكرة في إحدى قرى الريف ؛ وهو (الجراح) الآن في الستين من عمره ، وكان وجهه المجدد الذي يفيض حنانا ، وشعره الأشهب ، وثيابه العادية غير المتكلفة لا تفرق بينه وبين أي رجل من رجال الاعمال ، فلم يكن أحد ليحس بوجوده إلا حين يتكلم ؛ وحينئذ يعرف سامعه أنه في حضرة نابغة ؛ وأظهر ما كانت تجلي مواهبه حين كانت عيناه الغائرتان تشعان بضوء البحث والتقيب ، فكان يخل للناظر اليه في تلك الاوقات كأنه ينزع بعينه آلام البشر من بين حنايا ضلوعهم أما جميع عارفي الدكتور دي لا بومراي فمتفقون على أن ملاح وجهه لم تكن لتنبئ عن شيء من ذلك ، وبالرغم من أنه كان شابا وسيم الطلعة للغاية فقد كان الرجال يتباعدون عن عشرته ؛ ولكنه من الجانب الآخر كان محبوبا إلى مدى بعيد عند طائفة كبيرة من الجنس اللطيف ، وزملاؤه الاطباء ما كانوا ينكرون عليه مقدرته النفسية من الوجهة الفنية ، ولكنهم كانوا مقتنعين بأن تلك المقدرة لم تكن بقدر ادعاءات صاحبها ومزاعمه ؛ وأن المكانة التي بلغها لم تأت عن طريقه بل كانت العلية بقدر ما جاءت من البيئة

الاجتماعية التي يعيش في كنفها ؛ والحق أن هذه البيئة هي التي هيأت له أسباب النجاح في عقد زواج موفق حيث اقترن بالآنسة دوبيزي ، إذ هي فتاة فتاة ؛ من أرقى الطبقات وأرفعها ابنة طبيب ثرى ، مات عن زوجها وابنتهما ، وقد تم الزواج بغير رضا الارملة التي كانت لا تطمئن مطلقا إلى صهرها قبل زواجه من ابنتها ، وقد أيد هذا الزواج شكوكها فيه ، على أن « الدوطة » ومقدارها ٦٠٠٠ جنيه (وهي كثيرة مطمعة حتى في هذه الايام) كانت مقيدة بحيث لا يستطيع الزوج مسبا بأي حال ، وعلى ذلك لم يتقدم دلابومراى أية خطوة الى الامام من الناحية المالية ، وظل مضطرا لموالاته مضارباته المالية في البورصة ؛ غارقا في لجة من الأسهم والسندات لا يعرف مداها الى ان ابتلعت ثروته وقضت على سمعته ، ولم يمض شهران على الزواج - وكانت الأرملة « الجماء » حثاته الى ذلك الوقت في صحة جيدة - حتى اصابت بقرع عقيب تناولها الغذاء في بيت صهرها ؛ ولم يستطع الطبيب اللذان دعيا في ساعتها تشخيص العوارض التي اصابتها ؛ ثم بشر صهرها علاجها فققدت الحياة في صيحة اليوم التالى وقرردى دلابومراى أنها أصيبت بالكوليرا ، وعقب وفاتها وضع دى دلابومراى يده على جميع ممتلكاتها الشخصية التي كانت تقدر بنحو ألفي جنيه ورفض أن يبدل بأي يان عما آلت اليه تلك الممتلكات على اعتبار أنها ميراث خالص لزوجته التي هي الابنة والوارثة الوحيدة للتوفاة التي لم توجد لها وصية

ومن الغريب حقاً - رغم الاشاعات التي تداولتها الألسنة عن موت تلك السيدة ورغم سواد صحيفة دي دلابومراى الموجودة لدى البوليس - أنه لم يقبض عليه ولا وجهت اليه أية تهمة من أى نوع في هذه الحادثة حيث كانت السلطات تتجنب مسؤولية القاء القبض على طبيب على جانب من الشهرة الفنية لاسيا وهو من افراد المجتمع الراقى ويجب ان لا يفوت القارىء ان لفظة « المجتمع الراقى » كانت وما تزال عبارة مطاطة ليس من السهل تحديد مراميها حتى ولو كانت تؤدى الى عكس معناها للظاهر بل والصحيح

انقضت سنتان على دى دلابومراى وهو يحاول تحسين مركزه الفنى والاجتماعى ؛ ليس من طريق جهوده الشخصية الفنية ، وإنما من طريق المظاهر ومعيشة البذخ واقامة

الحفلات الضخمة وغير ذلك. ومن الطبيعي ان موارد ما كانت تسمح له باحتمال تلك المظاهر لاسيما وأن عقد زواجه صريح في أن دوطه زوجه لا يمكن مسها بأي حال ، حتى ولا باذن وأمر منها ، أذ هي نفسها كانت محرومة من التصرف فيما عدا ريعها وهو الفائدة السنوية من البنك التي هي مودعة فيه بإشراف مسجل العقود . كذلك لم يكن موت زوجته ليفيده شيئاً . . . على أنه لو فرض وكان موتها يعود عليه بفائدة من العدل أن نذكر أن حياتها كانت ثمينة لديه إلى حد كاف ليقفه عن السعي للاستفادة من طريق القضاء عليها ؛ لان هذا الطبيب القاسي القلب الذي لم يكن ينظر في حياته الى النساء الا مثلاً ينظر لقنطرة يعبر عليها لغايته كان يحب زوجته، وبلغ به حبها إلى حد أنه قطع علاقته مع المرأة التي كان يقيم معها إلى ما قبل ليلة عرسه وذلك رغم التوسلات الحارة التي كانت تلك المرأة لا تفتأ توجهها اليه ليل نهار بمختلف الاساليب والوسائط، فرفض حتى أن يعود ابنها في مرضه حتى يتفادى الرثاء لها اذا ما رآها في حالتها المضنية بعد هجره لها بغير ما سبب الا زواجه !

ولكن بومرأى بعد سنتين من زواجه بالرغم من أنه كان سعيداً في حياته المنزلية — شعر بضائقة مالية شديدة . . . بل أنك لو بحثت عن الحقيقة لاعياك معرفة المصادر التي جاء منها ذلك الرجل بالاموال التي أنفقها في تلك السنتين : ولعلك تحس أنه كان يبحث خلالها عن ضحية أخرى فضلاً على حماته . . . على أني سأروي لك حادثاً تعرض عليك اقتراحاً لو ف تبين أنه لم يقم عليه دليل لاني محاكته ولا فيما عرف بالتحقيق من تاريخ حياته . وانما أكاد أو من بصدق حذري في هذه المسألة حتى لا تؤكد لك وجوب وقوعها

ذلك اني كنت أقيم في باريس بين سنتي ١٨٥٩ و ١٨٦٤ حيث كنت اتمخصص في دراسة آداب اللغة الفرنسية ؛ وأذكر اني قرأت خلال تلك المدة ترجمة فرنسية لكتاب وضعه انجليزى عن مشاهير المجرمين ومحاكماتهم ؛ والآن قد نيت مطلقاً اسم ذلك الكتاب وأسم مؤلفه ، وما ذلك الا لاني كنت حديث السن وقت قراءته ولم أكن احسبني سأحن لقراءته ثانية. فلم أشعر بخسارته الا حينما افقدته بعد عدة سنين فما

وجدته ؛ يد أنى اذكر منه قصة ذلك المحامى بالمر الذى اتهم هو وطيب بقتل مدام ريجولى بتشييقها غازا خافقا، وكان بالمر هذا قد تزوج من مدام ريجولى مع وجود زوجته وثبت رسميا أنها أوصت بثروتها له بعد مماتها ؛ ولكن لم تقم أدلة مادية ضده لحكم ببراءة من تهمة قتلها وقضى عليه بالحبس اثني عشر شهراً لارتكابه جريمة تعدد الزوجات . وبعد خروجه من السجن نجح فى كسب القضية التى قامت حول ثروتها واستولى عليها بمقتضى الوصية الشرعية (١) ولست اذكر من تفاصيل تلك القضية إلا هذا وألا أنى أحس بل أوكد ان الكتاب الذى قرأت فيه تفاصيل تلك القضية لابد أن يكون قد وقع فى يد دى لا بومراى فأوحى إليه طريقة ارتكاب جريمته التى سنأتى لك على ذكرها فيما يلى ، وهذا طبعاً مع وجود فوارق بين هذه الجريمة الاصلية وبين الجريمة التى ارتكبها هو

إذن فلأرو الحوادث دون تعليق ولا شرح تاركاً للقارىء استنباط ما يعن له :
فى سنة ١٨٦١ قطع بومراى كل علاقة له مع مدام بوا التى أقام معها حوالى الثلاث سنوات قبل زواجه . وفى شهر يونيه عام ١٨٦٣ ذهب الى زيارتها دون أن يدعى الى هذه الزيارة ؛ وقد زعم لها أن الدافع له على تخيير خطته معها أنه مشفق على أولادها ويرى أن أقل ما يجب عليه نحوهم هو أن يعنى عناية جدية بأمر مستقبلهم وأنه لا يتأخر عن بذل أية مساعدة لهم فى ذلك ، ويتجاذب العاشقان القديمان الحديث فى تلك المسألة الهامة فيقترح الطيب فكرة عرضية هى أن تؤمن مدام بوا على حياتها، ثم يقف عند حد هذا الاقتراح ويتركها ويمضى . واستأنفا العلاقات وعادا الى بث اللوعة والوجد وارتفع العذار وعادت المياه الى مجاريها بينهما ، وافاض عليها بومراى بشرح خطته التى تلخص فى أنه سيقوم بالنيابة عنها بالتأمين على حياتها فى عدة شركات للتأمين على الحياة على مبلغ ٢٠ ألف جنيه . وهو بالطبع الذى سيقوم بدفع قيمة التأمين السنوية وتكتب قسائم التأمين باسمه . فلما سأله وكيف يستفيد أولادها بهذه الطريقة أجابها بأنه عند ما يتم

(١) ما اشبه هذه القضية بقضية السيدة منيره فهى زوجة المرحوم على بك كامل فهى وقد قتله فى لندن فحكم ببراءتها وجاءت الى مصر تطالب بميراثها الشرعى فى زوجها — العرب

استخراج قسائم التأمين تنظامها هي بمرضى شديد يدخل في وع رؤساء هاته الشركات أنها قد لا تبرأ منه ، فيذهب و مرأى اليهم ويثير الرعب في قلوبهم بأن لا أمل في شفاء المؤمن على حياتها بذلك المبلغ الطائل و أنها لن تلبث حتى تموت فيستحق دفعه الى الموصى له به — وهو بو مرأى نفسه ، فيغريهم لالغاء عقد التأمين القديم وكتابة عقد جديد تقبل الشركة أن تدفع بمقتضاء مبلغا يتراوح بين ٢٠٠ جنيه و ٣٠٠ جنيه سنويا الى مدام بوا طوال حياتها ، و لا ريب أن الشركة تقبل هذا التغير عن طيب خاطر إذ تري مدام بوا على حافة الخطر ، وحيث تنجو هي من الخطر بفضل علم عشيقها الطبيب الراسخ في فنه ، و تحصل — بفضل تديره المحكم — على مبلغ من المال سنويا يقيا وأولادها شر الحاجة و يساعدها على اخراجهم اخراجا حسنا . و ما كاد الطبيب يفرغ من شرحه و بيانته حتى أعلنت مدام بوا موافقتها التامة على تنفيذ تلك الخطة دون أن تقرير بالتفكير في الجريمة التي هي مقبلة على ارتكابها : جريمة الغش والتزوير التي إن اكتشفت ، فضلا عن أنها تسلبها حقها في التأمين ، فقد تحاكم و يحكم عليها بالسجن من أجلها ، ولكنها كانت مدفوعة في الموافقة عليها دون بحث أو تفكير بعاملين قوين . الأول أنها كانت تنظر الى عشيقها كأنه الولي على أولادها أو الوصى عليهم ؛ والثاني نشوة استئاف العلاقات الغرامية مع عشيقها القديم : ولم يداخل المسكينة أى شك مطلقا في حقيقة نوايا ذلك الرجل ؛ مع أن قليلا من التفكير في التعهد الذي اخذه على نفسه بدفع رسوم التأمين — وقد كانت ضائقته المالية أظهر من أن تذكر — يجعل من الواجب عليها أن تتساءل على الأقل عن الطريق التي سيجي منها بتلك الرسوم الباهظة !! ولكن الحب أسوأ من فقد البصر ، لأنه أعمى ولا يدرك أنه أعمى ، بينما تجد الضرر دائما على حذر ، يستعيز عن فقد بصره بحساسية غريزية فائقة قلما تدفعه الى ركوب متن الشطوط ، اذ يرى يصيرته مأهوا محروم من رؤيته ببصره المفقود على أن بو مرأى لم يفته الحذر في تنفيذ خطته المرسومة : فلم يظهر أمام رؤساء شركات التأمين حتى لا يثير في أذهانهم أقل ذرة من الاعتقاد فيه بأن اهتمامه لتلك المسألة لابد أن يكون ذا مرمى أو فائدة تعود عليه ؛ ولذلك جعل معاملاته معها بواسطة أحد وكلائها المدعو ديزميد . وقد تبين فيما بعد أن ماضى ذلك الوكيل لم

يكن خاليا من اللطخ السوداء . وقد تمت الصفقة باستخراج ثمانى بوالص تأمين على حياة مدام بوا لدى ثمانى شركات مختلفة، بلغت قيمتها جميعا ٥٥٠ ألفا من الفرنكات : وبالطبع قد سبق صدور هذه البوالص كشف اطباء تلك الشركات على مدام بوا كشفا طبيا دقيقا لم يدع مجالاً للشك في سلامة بنيتها وعدم اصابتها بمرض من الأمراض القتالة كما هي العادة لدى شركات التأمين على الحياة : ومع أن رسوم تلك البوالص الثانية مع القسط الأول من سنة التأمين، وقد بلغت ١٩٠٠٠ فرنك، اعطيت عنها الوصولات بأسم مدام دي بوا ، فإنه لم يكن سرا خافيا أن مصدر هذه النقود هو الكونت دي لا بومراى (وقد كان كونهما بقدر ما أنا باشا !) كما فهم الذين عرفوا ذلك ان المقصود به إنما هو النظر لمستقبل اولادها وابناءه هو... غير الشرعيين !

وقد تم كل ذلك فى اواخر شهر يونيو من ذلك العام وفى النصف الثانى من شهر سبتمبر التالى بدأت مدام دي بوا تذيع بين معارفها وجيرانها أنها تشكو من آلام رضوض اصابتها على اثر سقوطها على درج منزلها وهي صاعدة أذ زلت قدمها فقد خرجت على السلم ، واتبعت رواج تلك الأشعة بالذهاب الى عدد من الاطباء عرضت عليهم نفسها وحصلت منهم على وصفات شتى لعلاجات متباينة، ولا شك قد أدرك القارىء اللبيب أن ترويج اشاعة السموط من الدرج واستشارة الاطباء بشأنها كان نتيجة لخطه من رسم مخترع فكرة التأمين : بومراى ... غير ان ذلك المدير الحكيم قد ارتكب بعد ذلك غلطة شنيعة ما كان احراه بالحذر من الوقوع فيها ... تلك أنه لم يصرف ، الوصفات التي حصلت عليها مدام دي بوا من الصيدية ، وهذا فضلا عن أن مدام دي بوا ظلت تؤدي اعمالها المنزلية جريا على عادتها قبل ادعائها المرض حتى اذا استهل شهر نوفمبر وانصرفت بضعة أيام من بداءته أشار عليها بومراى بأن تلامس سريرها ، حتى تهادى فى تضليل أطباء شركات التأمين الذين اتدبوا لعيادتها ، يبدأ أن عشيقها لم يقنع بهذا وحملها على ان تتناول جرعة وصفها لها بأنها تظهر على متعاطيها بعض اعراض الحمى ، ومن سوء الحظ أن مدام دي بوا - رغم تحذيرات بومراى الصريحة الباتة - كانت تسر أدوار سير هذه المؤامرة أولا بأول الى صديقتها تدعى مدموازيل هلند متفائلة أمامها بأنه لن يمضى عليها وقت طويل حتى تكون قد ضمنت لنفسها

ولأولادها دخلا سنويا لا يقل عن ثلاثة آلاف فرنك . وفي الثالث عشر من نوفمبر حضرت الى زيارتها صديقة لها تدعى مدام ريديربناء على دعوة من صاحبها ، وجرى بهما الحديث الى الكلام عن المستقبل وآماله وآلامه، فقصت عليها مدام دي بوا في بساطة تامة ما ينتظرها من مستقبل سعيد بفضل سعة حيلة عشيقها وبعد نظره وعالي حكمته وحتى ذلك الوقت لم تبد أية بادرة يستدل منها على قرب زيارة اطباء شركات التأمين لها

ثم اشتد عليها المرض حقيقة برغم محاولاتها اخفاء وطأته على ابناتها وبناتها وزارها في هذا الوقت بومراي وفحصها فخصا طيا فقرر أنها مصابة بالكولورين (مبادئ الكوليرا) ولكن لن يمضي عليها يوم أو يومان حتى تشفى منه

ولكن لم يمض يوم أو يومان حتى كانت جثة هامدة ، وفي مساء السادس عشر من نوفمبر لفظت مدام دي بوا آخر نفس في حياتها بحضور صديقتها مدموازيل هلند ؛ وبينما كانت هذه نازلة الدرج لتبلغ الخبر الى بوابة المنزل قابلت بومراي صاعدا ، فأنبأته بالخبر المفجع ، فلم يبد عليه أي تأثر ولا دهشة ، ولم يزد على أن قال لها : هذا ما كنت انتظره . . . ثم صعد ووقف بجانب سرير الماتة ، وبعد أن فحصها قال : هذا كله نتيجة السقطة التي سقطتها من على الدرج ، فلم تستطع مدموازيل هلند صبرا على كل ذلك الروغ ، وصارحته بأنه أنما يكذب ؛ وأن صديقتها لم تسقط مطلقا من على درج ، وانها قد أطلعنها بل كانت تطلعها أولا بأول على ما كان يدور بينهما حول تلك الدسيمة المزعومة للحصول على مرتب سنوي لصديقتها الماتة

ومما لا شك فيه أن افشاء مدموازيل هلند الى بومراي بذلك الحديث كان جديرا بأن يعتبر انذارا له يقفه عن التماذي في الاندفاع وراء ماثير الشبهات ضد ، كأن يذهب صيحة اليوم التالي لموت مدام بوا — وحرارة دمائها لم تكد تبرد بعد — الى شركات التأمين مطالبا بتسوية مبالغ الضمانات المأخوذة عليها !!

وبالرغم من هذا الطيش في التعجل بمطالبة شركات التأمين. وما سبقه من أذار مدموازيل هلند له الذي لم يلبث أن شاع وذاع وبلغ جميع الاسماع — حتى تقدم أخوها المسير جوشون دي بوا يلاغ الى السلطات للتحقيق في موت شقيقته — بالرغم من هذا كله

لم تتحرك تلك السلطات للعمل . ودفت مدام دي بوا ، وانقضت بضعة أسابيع ، وأصبحت شركات التأمين على وشك دفع المبالغ المؤمن بها على حياتها ، وجعل يومراي يهنئ نفسه بنجاح لعبته ، وبات يعتقد ان الأرض ستطوى آثار جريمته الثانية كما طوت جريمته الأولى

ولكن المسير جوشون مازال يطرق كل باب ناديا بأن أخته قد قضى على حياتها غدرا ، وأخيرا رضى البوليس أن يتحرك . . . وصرح باستخراج الجثة وتشريحها بواسطة الاستاذ تارديو ، وقد تم ذلك واخرجت الجثة وشرحت في منتصف الليل ، ولكن أستاذ التشريح الذي لا يباري قرر أن الامعاء سليمة وأن ليس فيها أثر مطلقا للسم !

وكان قد عهد بالتحقيق الى المسير جونييه الذي جاء ذكره في احدي الجرائم السابقة . فدرس المسألة من جميع أطرافها ، وأحاط بتفاصيل المؤامرة المزعومة ضد شركات التأمين كما روتها مدموازيل هيلند نقلا عن لسان القليلة ، فماذا يفعل رجل البوليس ؟ لاشك ان الموقف كان حرجا للغاية اذ لو أقدم البوليس على القاء القبض على كل شخص تحوم حوله الشبهات لما وسعت السجون المشبوهين ولعرقل التحقيق معهم — حتي تظهر برائتهم — سير الابحاث وراء الجناة الحقيقيين . ويكون الامر أدهى وأمر اذا كان المقبوض عليه لمجرد الاشتباه طبيا !! اذ تقوم نقابة الاطباء على بكرة أبيها بالاحتجاج على تصرفات البوليس المنحجلة !! منادية بالويل والثبور وعظائم الأمور للاعتداء على عضو منها . . . فماذا يفعل رجل البوليس ؟؟

لبث جونييه يفكر ويفكر عله يهتدى الى طريقة توصله الى كشف غوامض هذه الحادثة دون أن يرتطم بصخور المقتضيات الاجتماعية ، الى أن جاءت عليه الصيحة المبكرة في أحد الايام في أواخر شهر ديسمبر التالي واذا هو في منزل دي لا يومراي واقف تجاهه والطبيب لم يكده يفارق فراشه ولكنه يستقبل ضيفه — أو زائره كما تحب — في أحسن بشاشة وأظرف ترحاب ، ولم تظهر على يومراي أية اشارة مهما تكن ضئيلة تثير فيه شكاً أو ريبه ، ولبثا يتحدثان زهاء الساعة فاظهر الطبيب حسن استعداد له لمساعدة رجال البوليس في الكشف عن غوامض موت مدام دي بوا ، لو أن هناك شيئا غامضا

حقاً ، وسرد على رجل البوليس قصة علاقته بمدام دي بوا من أولها ، ولم يقف عند حد الاقوال بل تقدم لاثبات صدق قوله بالأدلة المادية وهى خطابات عشيقته المنكودة ففتح درج طاولة وأخرج منه رزمة خطابات ملفوفة بعناية فى شريطة من حرير ، وقال لمناظره : « هذه هى خطاباتنا تقرأها وأحكم بنفسك »

فلم يكد نظر المسير جونه يقع على رزمة الخطابات حتى أبرقت أسرته حيث خطر له خاطر فجائى عجيب ، ذلك أن هذه الرزمة لا بد قد أعدت من قبل كما يعد المجرم دفاعه وهو متوقع بين آونة وأخرى زيارة البوليس له ، وكان هذا الخاطر الفجائى بمثابة قضاء حاسم على كل شك ساور المسير جونه فى ارتكاب يومراى للجريمة ، يد أنه لم يشأ أن ينبه المجرم ويظهره على نتيجة استقرائه . وعاود الحديث معه فقال : « أو كذلك يا عزيزى الدكتور أتى لم أشك لحظة قبل قدومى إليك فى برامتك وبعدك عن ارتكاب ما قد يكون ثمة من جريمة ، ولكن مازالت هناك بعض اجراءات شكلية لاستيفاء التحريات والتحقيقات الملقاة على عاتقنا نحن رجال البوليس ، ولا مندوحة عن تدوين مآذاريتا من حديث فى محضر رسمى ، ومن رأى أن يتكرم سيدى الدكتور بمرافقتى الى سراى العدلية بدلا من البقاء هنا حيث قد يقطع علينا الحديث فى أى وقت بدخول واحد من المرضى العديدين الذين تعالجهم ، فهل تستطيع يا سيدى ان تمنحنى نصف ساعة من وقتك ؟ »

أجاب دى لا بومراى فى ذات غتته المستظرفة : « بالطبع ألى طلبك بكل سرور ، ولم ينقض الحوار الذى دار بين المحقق ودى لا بومراى فى دار العدلية — وقد دام عشر ساعات — حتى أصدر المحقق أمره باعتقال الطبيب فى سجن مازاس متهماً اياه بقتل مدام دي بوا عمداً مع سبق الإصرار

وليس يهنا كثيراً ان تابع محاكمة الطبيب خطوة خطوة ، على أنه بالرغم من الدفاع المتين الذى تقدم به الاستاذ لاشو من أشهر محامى ذلك الوقت : وبالرغم من تقارير الخبراء المعينين من قبل الدفاع : فقد كانت الشهادات والأدلة التى قامت ضد بومراى من التهمة بحيث أن المحلفين أصدروا قراراً بالإجماع بإدانته ، فحكم عليه

هذا هو الرجل الذي اتصّب واقفاً من مقعده عند ما دخل عليه الفريد قلبه في غرفة سجنه ، ثم جعل يحدج زائر الجراح الأشهر بناظره بضعة ثوان أشار إليه بعدها بالجلوس على المعقد الذي أخلاه ، واعتمد هو إلى سريره في صمت غائر منتظراً أن يبدأ الزائر بالحديث

قال الزائر : « سيدى ليس بين الأطباء وبعضهم كبير حاجة إلى المجاملة في كلامهم عن الموت ، وهم أبداً معرضون لتلك الخاتمة بسبب مهتهم مهما تنوعت سبل هلاكهم وأنا نفسى اتنى لطائفة المحكوم عليهم . »

فقاطعه دى لا بومراى : « اذن أنت تعنى ياسيدى انه لم يبق لي أمل مطلقاً في النجاة ؟ »

— هذا صحيح ولكن ما يزال باقياً لك بضعة أيام على كل حال ، وعلى ذلك فأن الاقتراح الذى سأعرضه عليك إنما هو اقتراح شرطى ، فإذا ما نجوت بحياتك كان ذلك حناً وإلا ...

فقلصت ملامح وجه بومراى واقتر عن ابتسامة اليأس متائلاً ، وإلا ماذا ؟ ، وبدلاً من أن يحبيه قلبه على سؤاله مباشرة أخرج من جيب سترته كيساً صغيراً محتويّاً على آلات جراحية وتناول منه مبعضاً ورفع به كم دى لا بومراى إلى الورا ، ووضع أصابعه على يده يحس نبضه ثم اندفع قائلاً :

— أن نبضك ثابت ثباتاً عجيباً نادر الحدوث في مثل الموقف الذى أنتأ فيه الآن ، ولذلك فأنى مكاشفك توا بالغرض من هذه الزيارة . أنت تعلم أن من أهم مسائل الطب الحديث البحث عما اذا كان العقل البشرى يستطيع أن يحتفظ بطريقة أو أثر من الذاكرة (الحافظة) بعد انفصال الرأس عن الجسد . . .

أجاب دى لا بومراى : « أعرف هذا وقد أطلعت على جميع ما قيل وكتب في هذا الموضوع ، بل أذكر أنى سمعت احدى محاضراتك عنه ، وأخشى أن لا أستطيع أن أوافقك على النتائج التى وصلت إليها في ختام محاضرتك ، اذ أنى أعتقد باستطاعة العقل البشرى الاحتفاظ بأثر ما من الذاكرة الحافظة ، وقبل اقضاء أسبوع سوف

أعلم صدق نظريتي من كذبها علماً أكيداً ولكنى بكل أسف لن أثبت أن أعلم هذا حتى أكون قد نسيت

وحيث أنك تكلم الجراح ببطء محققاً في مناظره قال : — صحيح أنك سوف تنسى كل شيء ، ولكنك حيث أنك تكون قد خدمت الإنسانية والعلم وأنرت الطريق أمامها أبد الدهر (ثم تحول الى هيئة غريبة واستمر قائلاً) أما وقد تفاهنا فأنى مخبرك أنى قدمت لزيارتك من أجل تلك المسألة ، وأنا موفد من قبل جماعة من أشهر زملائى فى باريس ، وهاك التصريح لى يبحث المسألة ، موقع عليه من الامبراطور نفسه ، وهو يخول لى سلطة واسعة كما ترى ، حتى الى حد أنى أستطيع تأجيل تنفيذ حكم الاعدام فيك اذا باننت لى حاجة الى ذلك

فنظر المحكوم عليه الى محدثه مبهوراً وقال :

— لست أفهم تماماً ما تريد ؟

— دعنى أشرح لك الأمر اذن يا ميسو بومراى باسم العلم العزيز ، علينا بالغنى ما بلغت مصيبتى فرد من طلابه فى سبيل خدمته . باسم العلم الذى يعد صحاباى ممن حاولوا القبض على ناصيته بالمئات — باسم هذا العلم حضرت اليك لأسألك ان تعطى مثلاً فى الشجاعة والذكاء أكثر مما استطاع أى فرد من بنى الانسان أن يعطيه فى زمن مضى ، فأذا ما رفض طلب العفو عنك فلا أنت اعظم الناس كفاءة وأقدرهم على أظهار العلم على حقيقة ينشدها ولما يظفربها بعد ، فلو أنك استطعت ان تجعلنا نفهم بأى وجه من الوجوه ، كأن تعطينا إشارة ما بعد اعدامك وفصل رأسك عن جسدك ، تفيد احتفاظك — أى عقلك — بشيء من الذائرة ، أذن تكون قد خدمت العلم خدمة فائقة ، ويخلد اسمك فى بطون تاريخ عظماء الرجال ، ويمحو الفضل العلى الذى ينسب اليك ما يكون قد علق باسمك من ادران المجتمع ومساوئه

فبهت لون بومراى وهمس بجيا :

— لقد قاربت أن أفهم !

وعاد محدثه يقول :

— لست بحاجة لأؤكد لك ان مهمتك سوف تنتهى عقب ذلك مباشرة ، وحيث

كن على ثقة من أن جثتك سوف نودع مقرها في راحة أبدية دون أن تعرض لها
بمباضعا، وكل ما هنالك أنى سوف أكون ناظرا في وجهك عندما تسقط سكين المقصلة
على رقبتك، ثم اتناول رأسك بسرعة بين يدي بمجرد انفصالها عن جسدك، فأضع فمي
على أذنك — ولأنه كلما كانت التجربة سهلة كان نجاحها أقرب — أقول لك يا سيدي كوني
دي لا يومراي اذا كنت تذكر ما اتفقنا عليه فهل يمكنك في هذه اللحظة ان تغمض
جفن عينك اليمنى ثلاث مرات متتابعة بينما تبقى عينك اليسرى مفتوحة؟ فإذا استطعت
في تلك اللحظة — مهما يكن من ملاح وجهك الأخرى — أن تجعلني أشاهد تلك الحركة
الثلاثية التي شرحتها لك، وأن تغلب ارادتك على ذلك الفزع الرهيب، وتحفظ بنباتك
ضد أسباب الغيوبة المجتمعة في ذلك الظرف — اذا استطعت أن تفعل كل هذا فأنت
تكون قد قدمت للعلم ضوءاً كافياً يسير على دربه مسترشداً بنوره لفهم كثير من الحقائق
التي لا يزال يتلسها . وثق يا سيدي أنى سأعمل على نشر اسمك وفضلك في عداد الأبطال
ومحوه من قائمة المجرمين

وما انتهى قلبه من كلامه حتى سقط دى لا يومراي قاعداً على سريره كالمصعوق
أو كالمأخوذ .. وبعد برهة قال :

— أن الصدمة التي سوف القاها — رغم ما سأبذله من جهد بفضل ارادتي — ستعوقني
عن تذكر كل هذا في ساعة الموت . زد على هذا أن قوة الاحتفاظ بالذاكرة تختلف
باختلاف الأشخاص والأمزجة، لاسيما في موقف الأعدام . ومع ذلك فأرجوك يا سيدي
أن تعود الى صبيحة يوم أعدامى لأخبرك بما يستقر عليه رأيي في هذه المسألة
ولحظة أخرى وغادر قلبه غرفة السجن

ومضت اثنتان وسبعون ساعة بعد تلك المقابلة كان يتناقص الأمل خلالها في تنفيذ
التجربة التي اتفق الطبايعان على اجرائها ، وبعد ظهر ٨ يونيو ذهب الاستاذ لاشو —
محامي يومراي — الى التويلري صحة زوجة المحكوم عليه العسة، وحصل لها على أذن
بمقابلة الامبراطورة. وهذه لم تتردد في الوعد بالتوسل الى الامبراطور . وهذا بدوره
لم يخيب الرجاء المعقود عليه، فوعد الزوجة البائسة بالابقاء على حياة روحها فقهرت

المسكنة في عربة . وخطت لزوجها بضع كلمات بقلم رصاص قالت فيها ، لقد وعدت جلالة
الامبراطور بتعديل الحكم الصادر ضدك ، وارسلتها اليه اذ لم تستطيع مقابله
وبعد ثلاث ساعات انعقد مجلس الوزراء في قصر التويلري برئاسة نابليون الذي
اقترح — برأ بوعده — تعديل حكم الأعدام . وحيتئذ عارض جميع الوزراء تلك
الفكرة مستدين في معارضتهم على أن مهنة بومراي التي سدت السيل في وجه البوليس
دونه في حادثة مدام دوبيزي (حماه) اصبحت هي بذاتها (مهته) السبب القوي
في القصاص منه ، أضف الى هذا أن المحكوم عليه ينتمى لطائفة تتداول ارواح الناس
فمن الضروري أن يضرب لهم مثل يكون فيه عظة وعبرة لمن عسى أن يلعب الشيطان
بلبه من أفرادها : الخ . الخ . فرضخ الامبراطور لوزرائه ، وصدرت الأوامر
بتنفيذ الحكم في صباح اليوم التالي ، ولم يبلغ خبر هذه الأوامر إلى الامبراطورة
ولا إلى مدام دي لا بومراي وانما لم يفت ذلك المحامي الفاضل أن يذهب فيبلغ
الحقيقة الى المحكوم عليه خشية أن يتبادر إلى ذهنه في أخريات لحظاته أن
زوجته قد خدعته

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* * *

أصبح صباح اليوم التاسع من شهر يونيو مشرقا بهيجا ، وأوقف المحكوم عليه
في الساعة الخامسة من ذلك الصباح
وكان بين الذين دخلوا قاعته الجراح فلبو ، وكان أول من خاطبه قيس السجن الأب
كرويز ، فلم يطل الحديث بينهما لأكثر من عشر دقائق ، ثم التفت (بومراي) إلى
الجراح الأشهر وقال له ، لقد تمرنت ، وآمل أن أقوى على تحقيق غايتك ، وبينما
كان حكم الأعدام يتلى عليه كان يغض عينه اليمنى ويفتحها محافظا على أن تبقى عينه
اليسرى مفتوحة خلال التجربة

وبعد ربع ساعة فتح باب السجن على مصراعيه وسرعان ما طرح على المقصلة
ثم لم تكد تمضي ثوان ثلاث حتى هوت سكينها على عنقه ، فارتج المكان من هول
الصدمة . وما كاد الحضور يستجمعون أذهانهم حتى رأوا رجلا يحمل الرأس المقطوع
بين كفيه وقد حلق فيه تحديقا غريبا ، ثم لم يلبث أن قرب أذن الرأس إلى فمه كأنما

يسر اليها شيئاً فبلغ النظارة وأذهلهم العجب الممتزج بالخوف ، على أن ذلك الرجل
اعاد الرأس بعد هنية الى السلة المخصصة لها . ثم شمر أكمامه وغسل يديه من الدم الذي
سال عليهما في قروانة الماء التي يغسل فيها السياف ومساعدوه أيديهم ثم مضى
وقد دون فلبو ذلك الحادث الرهيب فقال : « ما كدت انطق الكلمات الأولى
من الجملة المتفق عليها حتى أطبق جفنا العين اليمنى على بعضهما وظلت العين اليسرى مفتوحة تماماً
وعندئذ صحت : باسم بارتك أعطني الإشارة مرتين أخرتين ، وكان صوتي عالياً
يسمع على بعد بضعة أمتار رغم أن في كان لاصقاً بالأذن ، وحينئذ ارتعش الجفنان
واهتزتا رموشهما اهتزازاً يكاد يكون غير محسوس ، ولكن العين فتحت ثم أغضت
وكان الوجه قد بهت بهوتاً شديداً أقرب إلى الزرقة منه إلى البياض ، وبعد خمس
ثوان لم تكن ثمة أدنى حركة ،

أحمد مختار



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



فهرست

ص	
١	حدود المعرفة وتقسيمها اسماعيل مظهر
١٩	الاشتركية - عن روبرت رشاردز مصطفى حمدي القوني
٢٤	فيلكس لاداتك - البيولوجي ابراهيم حداد
٣٢	لما قرأت نيتشة - عن أميل فاجيه عبد الحميد سالم
٤٧٠	تحسين النسل ع.ع
٥٠	الليل - من أغاني بليتيس - شعر حسن كامل الصيرفي
٥٣	المدنية اليهودية المستقبلية عمر عنایت
٥٦٠	سياسة حزب العمال الانجليزى
٥٩	اعترافات متطفلة - قصة مترجمة عن التركية
٧٠	الغيرية أبو العينين
٧٢٠	فساد النظمات الاجتماعية ح.ا
٧٦	ادمون رويستان - محاضرة للاستاذ الجداوى.
٩٤	نماذج الشعراء ووحدة الحب - قصيدة أبو شادي
٩٦	نظرة نقدية - حد الامكان الحاجري
١٠٠	هل الضوء مادة حسن أحد السلان
١٠٢٠	حقيقة الربا والفائدة سليم على سليم
١٠٧٠	نظام البيع بالتقسيط عمر عنایت
١٢٠	ماذا حدث - في ولاية اركنساس - حول التطور بندلي اليلوني

تابع فهرست العدد

ص	
١١٢	سخرية الحياة - قصيدة
١١٤	هنري برجسون - في نظر معاصرة
١٢٦	موسيقى شوبرت
١٣١	نهضة الترجمة والتعريب - بمناسبة صدور الطبعة الثانية
	من قاموس الدكتور محمد شرف
١٤٥	أفزع جرائم القرن التاسع عشر - قصة كاملة
	أحمد مختار



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

